مركز الجزيرة للدراسات
ALJAZEERA CENTRE FOR STUDIES

# الجهاديون المغاربة
## جدل المحلي والعالمي

**تأليف:**
محمد مصباح

# الجهاديون المغاربة

## جدل المحلي والعالمي

تأليف
محمد مصباح

مركز الجزيرة للدراسات
ALJAZEERA CENTRE FOR STUDIES

بسم الله الرحمن الرحيم

**النسخة الأولى: يناير/كانون الثاني** 2021 م – 1442 هـ

**إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبِّر بالضرورة عن مركز الجزيرة للدراسات**

**جميع الحقوق محفوظة**

مركز الجزيرة للدراسات
ALJAZEERA CENTRE FOR STUDIES

الدوحة – قطر
هواتف: 4930181 –4930183 –4930218 (974+)
فاكس: 4831346 (974+) – البريد الإلكتروني: E-mail: jcforstudies@aljazeera.net

**يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.**

التجهيز وتصميم الغلاف: **قطاع الإبداع الفني بشبكة الجزيرة الإعلامية**

# المحتويات


مقدمة ..... 5

**الفصل الأول: الجذور** ..... 15

أولًا: بنية الفرص ..... 15

ثانيًا: ما قبل عولمة الجهاد ..... 21

ثالثًا: الجهاد الأفغاني ..... 30

**الفصل الثاني: من الوهابية إلى السلفية الجهادية** ..... 45

أولًا: السلفية الوهابية ..... 45

ثانيًا: ولادة تيار "السلفية الجهادية" ..... 53

ثالثًا: جيل جديد من الشيوخ ..... 55

**الفصل الثالث: تطرف الهوامش** ..... 69

أولًا: راديكالية القرب ..... 70

ثانيًا: تيار الهجرة والتكفير ..... 74

ثالثًا: شيوخ التكفير ..... 82

**الفصل الرابع: من الهامش إلى المركز** ..... 89

أولًا: 11 سبتمبر وتأصيل العنف ..... 90

ثانيًا: تفجيرات الدار البيضاء 2003 ..... 94

ثالثًا: ما وراء التفجيرات ..... 109

**الفصل الخامس: الجيل الثاني** ..... 115

أولًا: الجهاديون المغاربة في الجزائر ..... 115

ثانيًا: غزو العراق وجيل الزرقاوي ..... 122

ثالثًا: مغاربة العراق ..... 127
رابعًا: ديناميكيات الجهاد العراقي ..... 131
**الفصل السادس: الربيع الجهادي** ..... 139
أولًا: التكيف الأيديولوجي والتنظيمي ..... 140
ثانيًا: الجهاديون واحتجاجات حركة 20 فبراير ..... 143
ثالثًا: الجهاد "السلمي-المدني" ..... 147
رابعًا: العلاقة المتذبذبة مع السلطات ..... 154
**الفصل السابع: الجيل الجديد من المقاتلين المغاربة في سوريا** ..... 159
أولًا: أساليب التجنيد والتأطير ..... 163
ثانيًا: ديناميكيات الجهاديين المغاربة في سوريا ..... 168
ثالثًا: الطريق إلى داعش ..... 175
رابعًا: الدوافع والعوامل ..... 180
خامسًا: سياسات الدولة ..... 186
خاتمة ..... 189
ببليوغرافيا ..... 195

# مقدمة

فـي ليلـة الجمعة، 16 مايو/ أيار 2003، عاش المغرب على إيقاع سلسـلة من التفجيرات الانتحارية بمدينة الدار البيضاء التي اسـتهدفت فنادق ومطاعم في وسـط المدينة. ففي تلك الليلة انطلق 14 انتحاريًّا تتراوح أعمارهم ما بين 22 و31 سنة في السـاعة التاسعة والنصف ليلًا من هوامش المدينة يجمعهم العزم على تدشين مرحلة جديدة من تاريخ المغرب الدموي.

لقـد أحدثت هذه التفجيرات الإرهابية رجَّـة داخل الدولة والمجتمع؛ فقد كان يُعتقد أن المغرب في منأى عن ظاهرة الإرهاب نظرًا لتميز نظامه السياسـي باسـتقرار نسبي نتيجة مسار الإصلاحات الهرمية التدريجية التي انطلقت منذ منتصف السبعينات من القرن الماضي واسـتمرت مع صعود الملك محمد السـادس إلى سـدة العرش، سـنة 1999. كانـت هذه الإصلاحات تحت رحمة الدولـة حيث تم التحكم في بناء المؤسسـات كما جرت تقوية دور الأجهزة الأمنية، مما سـاعد على احتواء المعارضة بمختلف أطيافها، ولكنها في الوقت نفسه عجزت عن إدراك حالة من الإحباط المتنامي في هوامش المدن، والتي أدت بهؤلاء الشباب إلى تفجير أنفسهم.

وقـد ركـزت مختلف التحليلات علـى البعد الأمني لتفجيرات الـدار البيضاء وحاولت تسـليط الضوء على التهديدات الأمنية العابرة للحدود، والحاجة إلى اعتماد مقاربـة أمنيـة جديدة لمواجهـة التهديدات الأمنية العابرة للحـدود التي انطلقت منذ الهجمات الإرهابية على برجي مركز التجارة العالمي، يوم 11 سبتمبر/ أيلول 2001.

وقـد أدى التركيـز علـى تحليـل العوامل الأمنيـة إلى إغفال جـذور الظاهرة والعوامل العميقة التي أدت إليها؛ فتفجيرات الدار البيضاء، سـنة 2003، كانت إشارة علـى تحولات اجتماعية عميقـة وتعبيرًا "انفجاريًّا" عن حالة الاحتجاج ضد الإقصاء الاجتماعي وحالات اليأس التي أصابت فئة من الشـباب الذي لم يسـتفد من ثمار التنمية. وبالرغم من أنه لا يمكن اختزال ظاهرة الإرهاب بعامل الفقر فقط، إلا أنه لا يمكن القفز على مسألة التهميش الاقتصادي وما يرتبط به من إحساس بالاغتراب عن المجتمع لفهم وتفسير التطرف الديني. فالخلفيات الاجتماعية لمنفذي تفجيرات الدار البيضاء تشير إلى أنهم جميعًا ضحايا وضعية تتسم بالإقصاء الاقتصادي والاجتماعي،

وغيـــاب البدائـــل للخروج من وضعية التهميش، هذا مـــع الأخذ بعين الاعتبار المناخ السياسي الدولي المناهض للهيمنة الأميركية وسياساتها في منطقة الشرق الأوسط.

فـــي الوقت الـــذي بقيت فيه العمليات الإرهابية داخـــل البلاد محدودةً جغرافيةً وتأثيرًا -باستثناء تفجيرات الدار البيضاء سنة 2003 ثم سنة 2007، أو تفجيرات أركانة بمدينة مراكش ســـنة 2011- إلا أن المشـــهد الإرهابي المغربي تؤسسه ظاهرة هجرة المقاتليـــن المغاربة نحو مناطق القتال في العالم الإســـلامي. هذه الهجرة التي بدأت منذ نهاية الثمانينات، عرفت مســـتوى قياســـيًّا بعد اندلاع الثورة السورية، سنة 2011، من خلال التحاق المئات من المقاتلين المغاربة بالتنظيمات الجهادية لاســـيما تنظيم الدولة الإســـلامية في العراق وســـوريا داعش حيث وصل عددهم إلى حوالي 1650 مقاتلًا مغربيًّا، نهاية 2017، ضمنهم حوالي 900 مرتبط بتنظيم (داعش)[1]. في مقابل ذلك، فإن أي تنظيم مسلح لم يفلح في إيجاد قاعدة صلبة لانطلاق عملياته من داخل المغرب، على غرار ما حصل في دول عربية أخرى، مثل: الجزائر وتونس وليبيا.

تتجلى الإشـــكالية الرئيســـية للكتاب في محاولة فهم ســـياقات ومبررات تحول المملكة مُصَدِّرًا للجهاديين وفي نفس الوقت بقاؤها محصنة من تهديدات التنظيمات الجهادية! وتبعًا لذلك، تســـعى أيضًا لفهم وتفســـير مبررات تحول بعض الأفراد نحو الفكر والممارسة الجهادية.

وقبـــل الإجابة على إشـــكالية الكتاب الرئيســـة، من المفيـــد التوقف بإيجاز عند الأدبيـــات الأكاديمية حول جذور الإرهـــاب والتطرف، والتي تقدم مادة غنية للنقاش. فقد تم تفســـير ظهور التيارات الجهادية من خلال عدة مقتربات نظرية ربطت بعضها بينها وبين سيرورة التحديث التي عرفها العالم الإسلامي في العقود الماضية، في حين اعتبرهـــا البعض الآخر نتيجة لتحولات ثقافية واجتماعية في المجتمعات الإســـلامية عنوانها الأساســـي تفكك البنيات الاجتماعية التقليدية وانتشار التعليم والمكتوب مما أسهم في بروز علاقة جديدة مع النص والواقع.

وقد حاولت المقاربات الأولى لدراسة هذه الظاهرة التركيز على العوامل البنيوية والمحددات السوسيو-نفسية والشروط الاقتصادية لفهم عوامل وأسباب التشدد الديني

(1) "تقرير استخباراتي يحذر من عودة المئات من الجهاديين إلى المغرب"، العمق المغربي، 2 فبراير/ شباط 2018، (تاريخ الدخول: 25 يناير/ كانون الثاني 2019): https: / /al3omk.com /267823. html

في العالم الإسـلامي سُـميت بنظرية الحرمان الاقتصادي والاغتراب الثقافي. ركزت هـذه المقاربة علـى حالة الإحباط المزمنة في العالم الإسـلامي نتيجة ظروف الفقر والحرمـان والاغتـراب الثقافي. ولهذا، ترُجع هذه المقاربة تمردات الإسـلاميين إلى التفقير السوسـيو-اقتصادي والاغتراب النفسـي الذي يجد جذوره في فشـل عملية التحديث وكذا سيرورة التغريب القسري[1].

تعرضت المقاربة السوسيو-اقتصادية والنفسية لانتقادات عديدة ومن ضمنها تلك التـي قدمهـا محمد حافظ الذي يؤكد أن كلًّا من الحركات الإسـلامية، العنفية وغير العنفيـة، ظهـرت في نفس الظروف؛ إذ إن العوامل السوسـيو-اقتصادية في عدد من الدول كانت متشـابهة إلى حدٍّ كبير في حين أن النتائج كانت مختلفة[2]. ففي الوقت التي ظهرت فيه التيارات العنفية في الجزائر ومصر في بداية التسعينات لم تظهر هذه الحـركات فـي كل من المغرب وتونس والأردن بل بقيت في شـكلها العام معتدلة، ولهذا خلص إلى أن العوامل السوسـيو-اقتصادية والإحباط النفسـي لا تعتبر عوامل كافية لتفسـير اعتدال وراديكالية الحركات الإسـلامية. فالحرمان السوسيو-اقتصادي والاغتراب الثقافي يشكلان الشروط البنيوية التي تولِّد الإحساس بالمظلومية، إلا أنها ليست كافية لتفسير التطرف. لهذا، يقترح مقاربة بديلة تسمى بالسيرورة السياسية، فبدلًا من التركيز على العوامل السوسـيو-اقتصادية أو النفسـية للحركات الاجتماعية، يتم التركيز في هذه المقاربة الجديدة على تأثير المحيط السياسي على سلوك الإسلاميين وتحديـد بنيـات التعبئة التي اكتسـبوها والموارد التي خصصهـا للحركة وكذا الأطر الأيديولوجية المستعملة للتبرير والتحفيز على الفعل الجماعي[3].

يسـير أوليفي روا في مسـار مختلف؛ حيث يعمل على تفسـير بروز التيارات الأصولية الجديدة من خلال مقترب بنيوي يتجلى في العولمة، أي سيرورة التحديث أو التغريب السـريعة التي عاشتها المجتمعات الإسلامية في السنوات الأخيرة، والتي أدت إلى بروز ردود أفعال متعددة من طرف المسـلمين، إما مقاومات أو تكيف مع التحولات البنيوية التي عاشـتها المجتمعات الإسلامية من جهة[4]. إن ظهور التيارات

(1) Mohammed M Hafez., Why Muslims Rebel: Repression & Resistance in the Islamic World, (Lynne Rienner, London, 2003(, p: 6.

(2) Ibid, p: 9.

(3) Ibid, p: 9-19.

(4) Olivier Roy, Globalized Islam The Search for a New Ummah. (New York: Columbia

الســلفية الجديدة تعتبر في نظر روا تعبيرًا حقيقيًّا عن تمكن نســق الحداثة من فرض شــروطه وقواعده كنســق فكري شامل بما فيها المجتمعات الإسلامية، ومن ثمة فهذه التيارات تعبير عن حالة احتجاجية على سيرورة التحديث السريعة والقسرية التي باتت تعيشها المجتمعات الإسلامية والمسلمون المقيمون في الغرب؛ إذ إن موجات التدين الحالية مطبوعة بالخصائص البنيوية للحداثة وأيضًا العولمة[1].

ورغم تنوع المقاربات التي عالجت هذا الموضوع، إلا أنها اتجهت في السنوات الأخيرة نحو حالة تقاطب حاد بين توجهين يُعرفان اختصارًا بمقولتي: أسلمة التطرف، أو تطرف الإسلام[2]. ففي الوقت الذي يعطي توجه "تطرف الإسلام" الأولوية للثقافة الإسلامية والإسلام نفسه لتفسير التطرف، فإن التوجه الثاني يركز على البنيات السياسية التي أدت إلى توفير بيئة مناسبة للتطرف[3]. في الحقيقة، كلتا المقاربتين تمتلكان جزءًا من المصداقية، إذا استثنينا بعض أحكام القيمة الصادرة عن مقاربة "تطرف الإسلام" نتيجة تأثرها بمناخ الإسلاموفوبيا وصعود اليمين المتطرف في أوروبا، ولكن لا يمكن أيضًا إغفال دور الأيديولوجيا في تفسير التطرف.

لتجاوز هذه الثنائية القطبية، بين تطرف الإســلام أو أســلمة التطرف، نقترح في هذا الكتاب إطارًا تفســيريًّا للصيرورة الجهاديــة المغربية تدمج ثلاثة عناصر: الأول: العنصر الدولي، ويشمل البيئة السياسية الدولية في علاقاتها بموضوع التطرف وعولمة الإرهاب. ومن جهة ثانية، البيئة السياسية الداخلية، وثالثًا: أي التيارات الجهادية نفسها وقدرتها على الاشتغال ضمن بنية من الفرص ودور الأيديولوجيا كمحفز وإطار يضفي معنى على الفعل.

بالنسبة للبيئة السياسية المحلية والدولية، فالظاهرة الجهادية في المغرب، كغيرها من الدول، لم تكن بمعزل عن الديناميات الجيو-استراتيجية التي يعيشها العالم العربي. فهي أحد إفرازات مرحلة ما بعد الاســتعمار التي خلَّفت مظالم تَمَّ ويتم التعبير عنها

University Press, 2004), p: 10

(1) Ibid. p: 10.

(2) Yaroslav Trofimov, "Radicalization of Islam or Islamization of Radicalism?" Wall Street Journal, June 16, 2016. )accessed January 12, 2018): https://www.wsj.com/articles/radicalization-of-islam-or-islamization-of-radicalism-1466069220)

(3) "Olivier Roy et Gilles Kepel, "Querelle française sur le Jihadisme," Libération.fr, April 14, 2016, (accessed January 12, 2018) : https://www.liberation.fr/debats/2016/04/14/olivier-roy-et-gilles-kepel-querelle-francaise-sur-le-jihadisme_1446226

بشـــكل عنفي. إن وجود أراض في عالم الإسلام تحت الاحتلال ابتداء بفلسطين منذ 1948، مرورًا بأفغانستان في الثمانينات و2001، ثم الشيشان والبوسنة والهرسك في التســـعينات والعراق ســـنة 2003، ولَّد لدى المسلمين عبر العالم حالة من الإحساس بالإهانة المعنوية بسبب تصورهم أن دينهم وأرضهم يتعرضان لهجمة من طرف الغرب المسيحي[1].

وهـــي بالإضافة إلى ذلك إفراز من إفرازات العولمة التي أصبحت في حد ذاتها عاملًا مســـاعدًا للردكلة radicalization[2] ليس فقط بالنســـبة للمســـلمين، وإنما في العالم بأســـره. وهو أمر يظهر بشـــكل جلي من خلال العدد الكبير من الاحتجاجات والانتفاضات الشـــعبية التي اجتاحت مجموعة من مناطق العالم خلال العقود الثلاثة الأخيرة[3].

إن الجماعات الجهادية العابرة للحدود تنشـــأ مما يعتبره الجهاديون عولمة غير عادلة وإقصائية ومنافقة، نشـــأت وتقوَّت بسبب سياسات غربية. وهذا الإحساس نحو الغرب لا يتوجه أساسًا نحو تدخل السياسات الغربية في العالم العربي، بقدر ما يركز علـــى نتائـــج التدخل[4]؛ فكلما وقعت منطقة في العالم الإســـلامي تحت الاحتلال أو تمكنت مجموعة مســـلحة من الموارد والســـلاح للقيام بثورة مسلحة انتعش الخطاب الجهادي؛ ومن ثم يمكن استنتاج أن الجهادية العالمية هي منتوج للأزمات البنيوية التي يعيشها العالم العربي والإسلامي وليست سببًا لها.

بالإضافة إلى ذلك، فإن التيارات الجهادية هي تعبير عن أزمة "الديمقراطية" في العالم العربي؛ فالظاهرة الجهادية قبل أن تتعولم كانت في أصلها مجموعات مسلحة تتصارع على الحكم مع الأنظمة الســـلطوية العربية. وهذا تعبير عن فشـــل بناء نموذج للتداول السلمي على السلطة في العالم العربي؛ مما أدى بجماعات المعارضة السياسية الإسلامية وغيرها إلى اللجوء إلى العنف المسلح كأسلوب للوصول إلى السلطة بدلًا

(1) Jane Harrigan and Hamed El-Said, Globalisation, Democratisation and Radicalisation in the Arab World, (Palgrave Macmillan, 2011), p: 220.

(2) المقصود بها هنا هي صيرورة التحول نحو التطرف، ويتم استعمالها في هذا الكتاب كمرادف لمفهوم التطرف.

(3) Harrigan and El-Said, Ibid. p: 210.

(4) Ibid. p: 220.

من المشاركة السلمية والمدنية. فالأنظمة السلطوية، لا الديمقراطية ولا الشمولية، هي الأكثر قابلية لإنتاج الهروب إلى الجماعات المتطرفة المغلقة التي يتماهى معها الفرد. وهي الأكثر قابلية لإنتاج الإرهاب الذي يستخدم العمليات الانتحارية. ومن هنا، فإن الديمقراطية هي بالتأكيد أحد الطرق لحل مشكلة الإرهاب والطابع الانتحاري[1]. إنها بعبـــارة أخرى تعبير عـــن اختناق قنوات التعبير الســـلمي والمدني داخل المجتمعات العربية، ولا يمكن فهمها خارج الصراع على الاستحواذ على الموارد الرئيسية: السلطة والثروة والمعرفة والقيم. فغياب قنوات مؤسسية لتصريف المظالم يفسر في نظرنا إلى حدٍّ ما لجوء الفئات المهمشة من النخبة الحضرية المتعلمة، والتي لم تستفد من عملية التحديث، إلى العنف المغلَّف بالأيديولوجيا الدينية للتعبير عن رفضها للمظالم المرتبطة بفئاتها الاجتماعية أو الثقافية، من خلال تعبئة جملة من الموارد المادية والرمزية لتحقيق التغيير الاجتماعي في اتجاه نموذج المجتمع الذي تتصوره هذه النخب.

البعد الثاني يشمل العنصر المحلي الذي يتمثل في المشروعية السياسية والدينية التي يتمتع بها النظام في المغرب وفعالية أجهزته الأمنية. فمنذ تفجيرات الدار البيضاء، ســـنة 2003، عملت الدولة على إعادة صياغة استراتيجية أمنية ودينية شاملة لمواجهة التحديات المفترضة التي باتت تفرضها التهديدات الأمنية والعمل على تجفيف منابع التطرف، وتبنَّت الســـلطات في الرباط مقاربة متشـــددة للتعامل مع التيارات الإسلامية ســـواء المعتدلة منها والمتطرفة؛ فقد وُجِّه الاتهام بشـــكل مباشر إلى ما يسمى إعلاميًّا وأمنيًّا بـ"السلفية الجهادية"، وقادت الحملة التي كانت تهدف إلى تجفيف منابع التشدد ليس فقط إلى اعتقال المئات من الأشخاص المرتبطين بالتيار السلفي الجهادي، فبين ســـنة 2001 ونهاية 2018 فكَّكت السلطات المغربية حوالي 186 خلية إرهابية، تضم حوالي 3000 شـــخص[2]. وقد شـــملت هذه المقاربة الأمنية أيضًا إغلاق عشـــرات الجمعيات السلفية التقليدية المعروفة بولائها للسلطة. هذا، بالإضافة إلى حل أحزاب سياسية ذات مرجعية إسلامية حزب الأمة والبديل الحضاري وتم التهديد بحل حزب

(1) عزمي بشارة، "فيما يسمى التطرف"، مجلة سياسات عربية، )المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 14، مايو/ أيار 2015)، ص: 14.

(2) Samir El Ouardighi, “Terrorisme: En 4 ans, le BCIJ a arrêté près d’un millier d’individus”, Media24.com, 04 Janvier 2019, accessed January 25, 2018) https://www.medias24.com/MAROC/NATION/188871-Terrorisme-En-4-ans-le-BCIJ-a-arrete-pres-d-un-millier-d-individus.html

العدالة والتنمية واتهامه بـ"المسؤولية المعنوية" عن تلك الأحداث بسبب ما تعتبره السلطات المغربية توفيرًا للغطاء الأيديولوجي للتطرف الديني. بالإضافة إلى ذلك، بلورت سلطات الرباط استراتيجية جديدة في المجال الديني هدفت إلى تأميم هذا المجال وضمه لحظيرة الدولة وتركيز السلطة الدينية في يد المؤسسات الرسمية. هذا فضلاً عن لجوء الحكومة إلى تنمية المناطق المهمشة التي تجد فيها التيارات المتطرفة صدى لخطابها بسبب خيبة الأمل والإحباط المنتشر في هذه الأوساط. هذه المقاربة الأمنية الاستباقية، المخلَّلة طبعًا بسياسات اجتماعية واقتصادية، نجحت نسبيًّا في تجنيب المغرب عددًا من العمليات التخريبية، ونجحت في الحيلولة دون أن يجد الجهاديون أرضية خصبة للنشاط والعمل الجهادي داخل المملكة.

أما العنصر الثالث فيشمل الظاهرة الجهادية المغربية نفسها من خلال التركيز على سوسيولوجية الجسم الجهادي وممارساته وكفاءاته ثم أيديولوجيته. فعلى المستوى الذاتي، تتميز الظاهرة الجهادية في المغرب بالانقسامية وعدم توافرها على استراتيجية للصراع. فمنذ البداية تميز الجهاديون المغاربة بالعجز عن تشكيل هوية أيديولوجية مشتركة تضم كافة الطيف الجهادي ونتج عن غياب الانسجام الأيديولوجي أيضًا انقسام تنظيمي، بحيث لم يشكِّل الجهاديون المغاربة في يوم من الأيام تنظيمًا مركزيًّا بتراتبية واضحة كما هي الحال في دول عربية أخرى، بل بقي طيلة الوقت عبارة عن شبكة فضفاضة من الخلايا والمجموعات والأفراد الذين تجمعهم قناعات متطرفة من دون أن يشتركوا في بنية تنظيمية واضحة المعالم.

وعلى خلاف دول أخرى في العالم العربي مثل مصر والجزائر، افتقد التيار الجهادي في المغرب الزعامة الكاريزمية التي تستطيع تجميع شتات التيار المنقسم على ذاته. ونتيجة لكل هذه الأسباب، لم يمتلك الجهاديون استراتيجية واضحة للصراع وأولويات المواجهة، لاسيما بين أولوية استهداف العدو البعيد الولايات المتحدة والغرب أو العدو القريب الأنظمة السياسية العربية، وهو ما أدى إلى إضعافها بشكل ذاتي، قبل أن تزيد المقاربة الأمنية المتشددة من تشرذمهم.

وهناك سبب آخر لا يشير إليه الكثير من الباحثين، وهو أن تَشَكُّل التيارات الجهادية في المغرب منذ البداية كان مرتبطًا بمساندة التيار الجهادي العالمي ولم يكن -في الغالب- موجهًا نحو مواجهة النظام السياسي في الداخل. فأغلب الرموز المعروفين بشيوخ تيار السلفية الجهادية كانوا متعاطفين مع أفكار الجهادية العالمية ولكن كانوا

حذريــن في التعبير عن معارضتهم أو تكفير النظــام المغربي. وتُظهر المعطيات التي توفرها السلطات المغربية أن أغلب الخلايا التي تم تفكيكها بعد سنة 2012 لها علاقة بتنظيمــات جهادية عابرة للحدود إما بهدف التســفير نحــو الخارج أو تنفيذ عمليات إرهابية في الداخل[1]. وبسبب فعالية الأجهزة الأمنية لم تتمكن المجموعات الجهادية مــن إيجــاد أرضية خصبة للتعبئة وتنفيذ هجماتها داخل المغرب، وهو ما دفع بالعديد من الجهاديين للسفر والالتحاق بالمجموعات المسلحة بالخارج، أو التراجع عن تبني الأفكار الجهادية لتفادي القمع الأمني.

في الوقت الذي يشــير فيه بعض الباحثين إلى مصطلح الســلفية لتحديد التوجه الفكــري لكافة تيارات الإحياء الإســلامي على اعتبــار أن هذه التيارات جميعًا تنادي بإحياء نموذج متصوَّر للماضي[2]، إلا أن هذا الكتاب يركز على التيار السلفي الجهادي فــي المغرب. وأنــا أقصد هنا الأفراد والمجموعات المؤمنــة بالأيديولوجيا الجهادية وبالعنــف المســلح كأداة للتغيير بينمــا لا يدخل ضمن نطاق هــذا الكتاب موضوع التيار السلفي التقليدي الوهابي أو التيارات الإسلامية غير العنيفة التي تقبل المشاركة السياسية، وحين تحضر هذه التيارات في النص فذلك لعلاقتها بالتيارات الجهادية.

بشــكل أدق، يعالــج هذا الكتاب تطور الظاهــرة الجهادية في المغرب، ويرصد الطريقــة التي يتأقلم بها هذا التيار مع معطيات البيئة المحلية والدولية. يتناول الفصل الأول والثانــي جــذور التيار الجهادي بالمغرب ومختلــف المراحل التي مرَّ منها مع عرض لأبرز منظِّري الفكر الجهادي، وتحليل أهم المراحل التي مر منها خلال العقود الأخيرة، لاســيما بروز ظاهــرة المغاربة الأفغان ونمو بعــض المجموعات التكفيرية والجهاديــة المحلية. بعدها يعرض الفصل الثالث عملية التحول الجذري داخل التيار الجهادي في المغرب عقب تفجيرات 16 مايو/ أيار 2003، ويقف بالوصف والتحليل عند أهم العناصر التي تســاعد على فهم هذا اللغز، وأيضًا تداعيات التفجيرات على المجال السياســي والأمني. بينما خُصِّصت الفصــول الباقية لتأثيرات عولمة الجهادية علــى المغــرب. فقد خصصنا الفصــل الرابع لظاهرة المقاتليــن المغاربة في الخارج

(1) محمد قنفوذي، "من أين ينحدر الجهاديون المغاربة؟"، المعهد المغربي لتحليل السياسات، سبتمبر/ أيلول 2018، (تاريخ الدخول:22 أبريل/ نيسان 2019): https: / /mipa.institute /5628/

(2) بشير موسى نافع، عز الدين عبد المولى، الحواس تقية، الظاهرة السلفية: التعددية التنظيمية والسياسات، (مركز الجزيرة للدراسات، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2014)، ص: 15.

لاسـيما في الجزائر ثم العراق بعد الغزو الأميركي لها سـنة 2003. بعدها، توقفنا في الفصـل الخامس عند تفاعل التيـار الجهادي مع ثورات "الربيع العربي" محليًّا، وفي الفصل السـادس توقفنا عند تداعيات الثورة السـورية على التيار الجهادي بالمغرب والتي أنتجت جيلًا جديدًا من الجهاديين يختلف عن الجيل السـابق الذي شـارك في النزاعات المسلحة سابقًا.

من الناحية المنهجية، اعتمدنا على أكثر من أربعين مقابلة خاصة معمقة أجراها المؤلف مع القيادات الأولى للناشـطين الجهاديين السابقين والحاليين المعروفين في السـاحة، وعقدنا أيضًا لقاءات معمقة مع بعض الناشطين من الصف الثاني وذلك في الفترة بين سنة 2012 و2018. وقد كنا نعتمد على مقابلات رسمية وفي أحيان أخرى حظينا بمقابلات غير رسمية، التي ساعدت على خلق جو من الثقة مع عناصر متأثرة بالفكر السلفي الجهادي أو كانت في السابق ولكنها لم تعد كذلك. وفي أحيان كثيرة كانت المقابلة تتم عبر سلسـلة مقابلات تأخذ بين 3 و5 لقاءات في المتوسـط يضم كل لقاء بين ساعتين وأربع ساعات أو أكثر. وتجدر الإشارة إلى أنه تم تجميع جميع المعطيات والمعلومات من مصادر مفتوحة، وعملنا على التأكد من جميع المعلومات الواردة في المصادر المفتوحة عبر المقابلات المعمقة التي أنجزناها للتأكد من صحة تلـك المعلومات الواردة، وللحصـول على معطيات تفصيلية أكثر دقة من المبحوثين أنفسـهم. وقد قمنا أيضًا بتحليل عشـرات الوثائق عبر تقنيـة تحليل المضمون. وتم الاعتماد أساسًـا على المصادر الأصلية، لاسيما كتابات الجهاديين ومذكرات السجن هذا بالإضافة إلى محاضراتهم ومشـاركاتهم الإعلامية. وقد سـمحت لنا هذه التقنية باستكشـاف فكر وخطاب التيار الجهادي من دون وسـائط. كما اعتمدنا أيضًا على مصادر ثانوية مثل الوثائق الرسمية وبعض التقارير والدراسات والمقالات التي أُنجزت حول الموضوع.

# الفصل الأول
# الجذور

منذ السبعينات من القرن الماضي ظهر جيل من الجماعات المسلحة بعدة دول عربية[1] اتخذ من منهج المصادمة مع الأنظمة القائمة والمفاصلة مع مجتمعاتها منطلقًا لنهجه الثوري. وقد كان ظهور هذا النوع من الجماعات المتمردة إبان تلك المرحلة أحد إفرازات البيئة السياسية العربية ما بعد القومية العربية. ومن هنا، لا يمكن فهم تطور التيار الجهادي في المغرب من دون الرجوع إلى الظروف السياسية التي عاشها العالم العربي، والمملكة المغربية على وجه الخصوص. فالوقوف عند البيئة السياسية العربية خلال السبعينات من القرن الماضي يساعد على فهم بنية الفرص -أي العوامل الداخلية والخارجية التي تساعد أو تحد من قدرة الفاعلين الاجتماعيين- التي أتيحت للمعارضة الإسلامية آنذاك، ويساعدنا أيضًا على معرفة طريقة استثمارهم لهذه الفرص لتحدي النظام القائم.

أسهمت مجموعة من العوامل في توفير ظروف مواتية لصعود المعارضة الإسلامية الراديكالية؛ فقد أدت حالة الاختناق السياسي وقمع المعارضة السلمية إلى تشجيع المجموعات السرية على النشاط في الهوامش خوفًا من قمع السلطات. كما أن فشل تحقيق التنمية المنشودة كرَّس حالة من الاحباط لدى فئات واسعة من الشباب، لاسيما الحضري منه والمتمدرس. ثم أخيرًا، أسهمت الهزائم التي لحقت بالحكومات العربية في صراعها مع إسرائيل إلى تراجع شعبية التيارات القومية العربية ومن ثم فتحت هذه الظروف الباب أمام تيارات دينية أكثر تشددًا، لما قدمته من وعود بمستقبل أفضل.

## أولًا: بنية الفرص

يُرجِع بعض الباحثين، وضمنهم جون إسبوزيتو، ظهور تيارات العنف الديني لهزيمة يونيو/ حزيران 1967 وتراجع القومية العربية؛ حيث شكَّلت هذه الأحداث

(1) مثل: الجزائر، والأردن، وسوريا، وليبيا، ومصر، والمغرب، والسعودية وغيرها.

نكسة للعالم العربي بعد سقوط القدس، أولى القبلتين وثالث الحرمين في نظر المسلمين، في أيدي الإسرائيليين واحتلال غزة والضفة الغربية وصحراء سيناء. كما كان لحدث الهجوم على الحرم المكي، سنة 1979، واغتيال الرئيس أنور السادات، سنة 1981، آثار أيضًا في شد الانتباه إلى التيارات الراديكالية التي خرجت من رحم هذه الحركات الدينية وتطورها الذي تميز بمحاولة الخروج من الهامش في اتجاه المركز والعمل على الحضور في المجال العام بشكل أبرز[1].

وقد عاش معظم حكومات ما بعد الاستقلال هشاشة سياسية نتيجة ضعفها الذاتي وتبعيتها الاقتصادية والسياسية، مما جعلها في حاجة إلى مجهود مضاعف لتأكيد مشروعيتها السياسية، وتعزيز قدرتها على التحكم في أجهزة الدولة الوليدة وترويض المجتمع وضبطه. ورغم الاستقرار الظاهري خلال فترة الخمسينات والستينات، فإن عقد السبعينات شكّل مرحلة حرجة للأنظمة العربية[2].

ومن هنا، فإن صيرورة ولادة المعارضة الإسلامية في المغرب خلال تلك الفترة لم تكن استثناء عن باقي الدول العربية الأخرى. فقد تميز عقد الستينات والسبعينات بصراع محموم على السلطة، انتهى بتثبيت هيمنة المؤسسة الملكية على الدولة.

**الملكية والمعارضة**

رغم ما يظهر عليها اليوم من استقرار سياسي، فإن الملكية في المغرب خلال الستينات لم تكن في مأمن من المخاطر التي واجهتها ملكيات عربية أخرى. فقد كان الصراع على أشده بين الجناح اليساري من الحركة الوطنية الذي كان يسعى إلى الحد من صلاحيات المؤسسة الملكية، بينما كان جناحه الراديكالي يسعى للتخلص منها. بالمقابل، كانت المؤسسة الملكية ترى في قوة الحركة الوطنية عمومًا وفي جناحها اليساري خصوصًا تهديدًا لوجودها، لذا سعت بجميع الوسائل لإضعاف وإنهاك مختلف مكونات الحركة الوطنية يمينها ويسارها.

علاوة على ذلك، عاش المغرب خلال عقد الستينات على إيقاع ظرفية اقتصادية

(1) John Esposito, "Trailblazers of the Islamic Resurgence". In Yvonne Haddad, John Voll, John Esposito, Kathleen Moore, and David Sawan. The Contemporary Islamic Revival: A Critical Survey and Bibliography (Westport, CT: Greenwood Press, 1991(. P: 41.

(2) Giacomo Luciani, The Arab State, (University of California Press, 1990(, p: 18.

واجتماعيــة صعبــة، حيث كانت الأوضاع قابلة للانفجار فــي أية لحظة؛ وذلك لعدة أســباب: تنمية اقتصادية مهدورة، وتطور ديمغرافي هائل، وبيروقراطية فاســدة، ونظام تعليمي فاشــل، وصعود اجتماعي معطَّل، وعجز عمومي، وبطالة وتضخم في ارتفاع، ومــا صاحــب ذلك من إضرابات متعددة للعمال والطلبــة. كلها مكونات تحيل على وضعية اجتماعية متوترة. وقد ســاعد المناخ السياســي المخنوق في تســريع فرص الانفجار[1].

ونتيجة لحالة الهشاشــة السياســية والاقتصادية وفشــلها في تدبير الصراع على الســلطة، لجــأت المؤسســة الملكية إلى العنف المبالغ فيه لقمــع خصومها، وهو ما ســيُعرف فيما بعد بســنوات الرصاص[2]. أدى هذا النهج إلى توسيع الهوة بين الدولة وبين فئات من المجتمع، وخلق حالة من الإحباط واهتزاز الثقة في النظام السياســي الذي تم تحميله مسؤولية الفشل السياسي والاقتصادي.

وفي خضمِّ واقع سياســي مأزوم وتفشي الفساد، ووضعية اقتصادية هشة، عرف المغرب في مطلع السبعينات محاولتين انقلابيتين نفذهما ضباط في القوات المسلحة. فقد شجعت الانقلابات العسكرية على الأنظمة الملكية الشائعة في تلك الفترة، لاسيما فــي مصــر والعراق وليبيا، ضباطًا في الجيش المغربي على محاولة تغيير نظام الحكم فــي المغــرب. وقعت المحاولة الأولى يوم 10 يوليو/ تموز 1971 في القصر الملكي بمدينة الصخيرات 20 كلم من العاصمة المغربية الرباط، قُتل فيها عشــرات الضيوف من مختلف المسالك السياسية والدبلوماسية ومسؤولون رفيعو المستوى في الدولة[3]. وبعد ســنة من المحاولة الانقلابية الفاشــلة الأولى، قام ضباط آخرون بمحاولة ثانية 16 أغسطس/ آب 1972 باستعمال طائرات حربية استهدفت طائرة ملكية كانت قادمة

(1) Michel Abitbol (Ed.), Histoire du Maroc (Paris, Perrin, Collection : Pour l'Histoire, 2009), P : 571.

(2) "تسليم ملفات (سنوات الرصاص) بالمغرب للأرشيف"، الجزيرة نت، 27 يوليو/ تموز، 2017، (تاريخ الدخول: 25 يناير/ كانون الثاني 2019): https://www.aljazeera.net/home/c54c246c-3a58-94db-48d5-8ebc-076c30f509ce/6ef93074-42e6-Getpage/85c0--f18d1379d3de.

(3) للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، انظر: Aziz Binebine, Tazmamort: Recit de vie, (Éditions Le Fennec, 2015).

من إسـبانيا[1]، إلا أنها فشلت أيضًا، ونتج عنها انتحار/ تصفية الجنرال محمد أوفقير، بالإضافة إلى تغييرات كبيرة في الجيش وحملة اعتقالات واسـعة في صفوفه. وتشـير بعض الروايات إلى أن الانقلاب الثاني كان بتنسيق مع بعض قادة اليسار[2].

**تشجيع التدين السلفي**

أمام هذه الوضعية، وجد الحسن الثاني نفسه في مواجهة ثلاثة أخطار: المعارضة اليسارية، والإسلامية، والانقلابات العسكرية. ومن هنا كان الحسن الثاني بحاجة إلى دعـم أيديولوجي لسياسـاته. ولهذا، لم يكن القمع هـو الأداة الوحيدة لردع خصومه السياسـيين، ولكنه لجأ أيضًا إلى أدوات ناعمة لتكريس سـلطته الدينية والسياسـية. تجلت هذه القوة الناعمة أساسًا من خلال توظيف الدستور، وذلك عبر تكريس الملك لسلطته الدينية في الدستور لاسيما عبر الفصل 19 الذي ينص على أن الملك هو أمير المؤمنين[3]، وهو ما منحه -حسـب بعض الباحثين- "صلاحيات فوق دسـتورية"[4]. وحسب سليم حميمنات، فإن هذا اللقب يخول الملك ممارسة سلطة أخلاقية ودينية يمكن أن تمتد إلى خارج حدود المملكة، كما أن النسـب الشـريف الذي يتمتع به أمير المؤمنين يعتبر منطلقًا للطابع القدسـي للمؤسسـة الملكية، وهو ما تجلى أساسًا فـي الاحتـرام أو الخضوع التام الذي لا يبرره العقل وفي الخوف الكبير من العصيان الذي يعني انتهاك الحرمات[5].

(1) Abitbol, Histoire du Maroc, p : 574

(2) " Maroc. Un ancien dirigeant socialiste affirme que la gauche marocaine a été impliquée dans le coup d'État manqué de 1972 contre Hassan II ", L'Humanité, 2 Décembre, 2000. (accessed January 12, 2018): https://www.humanite.fr/node/237882

(3) ()Mohamed Madani, Driss Maghraoui, and Saloua Zerhouni, "The 2011 Moroccan Constitution: A Critical Analysis", International Institute for Democracy and Electoral Assistance (International IDEA), 2012, (accessed January 12, 2018): http://www.idea.int/publications/catalogue/2011-moroccan-constitution-critical-analysis?lang=en.

(4) حسن طارق، دستورانية ما بعد انفجارات -2011قراءات في تجارب المغرب وتونس ومصر، (الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة: الأولى، 2016). ص: 73-81.

(5) سليم حميمنات، السياسة الدينية بالمغرب (-1984 2002): أصولية الدولة وإكراهات التحديث السلطوي، (الدار البيضاء، دار إفريقيا الشرق، 2018)، ص: 70-73.

علاوة على ذلك، عمل نظام الحسن الثاني على مواجهة الإسلاميين من خلال سياسة "فرِّقْ-تَسُدْ" وضرب التيارات المختلفة ببضعها البعض. ففي ظل واقع سياسي مضطرب، كانت الملكية تحتاج إلى حلفاء في المجتمع يقومون بدور مَصَدَّات لامتصاص الصَّدَمات ومواجهة التحديات التي كانت تهدد الملكية ووضعت شرعيتها على المحك[1]. ومن هنا، يمكن فهم لماذا لجأت الدولة في تلك الفترة إلى سنِّ سياسة دينية متزمتة وشجعت التيار السلفي الوهابي. إن رغبة النظام في تكريس سلطته هو ما دفعه إلى تقوية ما يسميه بعض الباحثين "الأصولية الدولتية" أو سياسة إنعاش الأسلمة "من فوق"[2] عبر سياسات عمومية تهدف إلى تشجيع التدين التقليدي وإضفاء الطابع المحافظ على المجتمع المغربي. وتجدر الإشارة هنا إلى أن تقارب السلطة مع التيار المحافظ لم يكن تحالفًا استراتيجيًّا بقدر ما كان تكتيكًا أمْلته الظرفية السياسية للبلاد وطبيعة موازين القوى السائدة[3]، ولكن هذا التقارب وفَّر بيئة مناسبة لصعود التيار السلفي.

في مرحلة أولى، سعت الدولة إلى احتواء مؤسسة العلماء التقليدية ضمن الأجهزة البيروقراطية والتحكم في مؤسسات إنتاج المعرفة الدينية وذلك عبر تأسيس المجالس العلمية، سنة 1981، كرد فعل على التحولات السياسية الإقليمية وخصوصًا تداعيات الثورة الإيرانية والرغبة في الحد من انتشار تأثيرها. وردًّا على تنامي نفوذ اليسار في الجامعات المغربية، فتحت السلطات شُعب الدراسات الإسلامية في الجامعات أمام الآلاف من الطلبة المتدينين أو القادمين من التعليم الديني التقليدي. وفي الوقت نفسه قامت بالتضييق على شُعب الفلسفة وعلم الاجتماع وأغلقت معهد السوسيولوجيا بالرباط باعتبار هذه الشعب وهذا المعهد معقلًا لليسار آنذاك[4].

إلا أن سياسة تشجيع السلفية الوهابية كانت أبرز ما طبع تلك المرحلة؛

(1) Ira M. Lapidus, A History of Islamic Societies, (Cambridge, Cambridge University Press, 1988), p: 709.

(2) حميمنات، السياسة الدينية بالمغرب، ص: 99.

(3) محمد بوشيخي، "التعليم الديني في المغرب: من المفارقات إلى التوافقات"، مجلة "المستقبل العربي"، (مركز الوحدة العربية، العدد 409، مارس/ آذار 2013)، ص: 97.

(4) Hassan Rachik et Rahma Bourqia, " La sociologie au Maroc ", SociologieS, Théories et recherches, mis en ligne le 18 octobre 2011, consulté le 16 février 2019. URL : http://journals.openedition.org/sociologies/3719.

فنتيجة حسابات استراتيجية وأيضًا تكتيكية، عملت السلطات المغربية على تشجيع ضمني للتيار السلفي الوهابي. وكما سيتم إبراز ذلك بتفصيل لاحقًا، فقد ساعدت العلاقات الجيدة التي كانت تربط الرباط بالرياض في تصدير الوهابية للمغرب من خلال دعم شبكة واسعة من الجمعيات السلفية التي تنشط في مجال تحفيظ القرآن الكريم والدعوة السلفية، علاوة على استقبال مئات الطلبة لدراسة العلوم الشرعية في الجامعات السعودية ونشر كتب الوهابية مجانًا في معارض الكتب، وغيرها. وقد كان الغرض أيضًا خلق منافس للإسلام السياسي، وليس فقط مواجهة التيارات اليسارية والشيعية.

لم تكن هذه السياسات تقصد تشجيع التطرف الديني، ولكنها أدت بشكل غير مقصود إلى توفير بيئة مناسبة لتصاعد التيارات الإسلامية بمختلف ألوانها، بما فيها تلك المعارضة للنظام التي استفادت من الأوضاع الاقتصادية والسياسية الهشة واستغلت الفرصة لمساءلة الحكومات المتعاقبة عن الحالة التي آلت إليها الأوضاع. ومن هنا وجد خطاب الإسلاميين صدى في أوساط اجتماعية واسعة في المغرب وخارجه. وهذا يرجع في جزء منه إلى سياسة الحسن الثاني الذي كان يرغب في مواجهة اليسار وأيضًا إلى مشكلة أعمق وهي أن الأنظمة في العالم العربي كانت تفتقد إلى المشروعية السياسية مما أدى إلى زعزعة الثقة فيها، لاسيما تلك التي كانت تتأسس على فكرة القومية العربية وحلم الوحدة العربية.

**المحنة ودورها في صناعة ثقافة العنف**

علاوة على ذلك، من المفيد أيضًا الإشارة إلى الدور الذي لعبه ما يمكن تسميته بـ"أدبيات المحنة" في تغذية مخيال الإسلاميين في المغرب، والتي نجحت في بناء مشاعر الغبن وإعطاء الإحساس بالظلم طابعًا سياسيًّا، وتهيئة بيئة لاحتضان فكر التطرف والعنف باعتبار ذلك ردَّة فعل على عنف السلطات القائمة.

وفي الوقت الذي كان فيه العنف المصري والجزائري بمنزلة ردة فعل على عنف الدولة، فإنه في الحالة المغربية كان استيرادًا لنموذج "المحنة" من دون أن يعيش التيار الإسلامي نفس ظروف القمع التي عاشها الإسلاميون في مصر والجزائر. فالإسلاميون المغاربة لم يعيشوا حالة قمع توازي لا من قريب ولا من بعيد العنف الذي سُلِّط على إسلاميي الجزائر أو مصر، بل بالعكس من ذلك، عاش بعض الإسلاميين، كما

ستتم الإشارة إليه لاحقًا، حالة من التعايش الحذر مع نظام الحسن الثاني، ولكنهم بالرغم من ذلك عاشوا نفس الإحساس بالغربة والغبن، لاسيما الجيل الأول الذي نشأ في أحضان شيوع كتابات المحنة الإخوانية في السبعينات. وهذا ما قد يفسر الفشل الداخلي في بناء تنظيم عنفي قوي محليًّا مقابل نجاح الإسلاميين المغاربة في تصدير العنف إلى الخارج، باعتبار التصدير انتقالاً إلى بيئات المحنة شبه المفقودة في المغرب.

لقد كانت هذه المجموعات في الأصل حركات تمرد ضد الأوضاع القائمة اختلطت فيها الحوافز والمظالم الاجتماعية مع الأيديولوجية الدينية. فالحركات الإسلامية المعارضة، في المغرب وغيره، كانت تمثل بالنسبة لمجموعة من الشباب المهمش جماعات انتماء يلجؤون إليها لتفريغ مكبوتات لم يستطيعوا الحصول عليها في نظام سياسي مغلق؛ فليس مفاجئًا أن يشكِّل الشباب الحضري المُهَمَّش أغلبية أعضاء هذه التنظيمات. بالإضافة إلى ذلك، فقد كانت تضم في قيادتها مثقفين دينيين تخرجوا في المدارس العصرية، وينتمي أغلبهم إلى الطبقة المتوسطة المتدينة. فعلى سبيل المثال، كان أيمن الظواهري نموذجًا لهذا النوع من الشباب الحضري الغاضب، فقد كان طبيبًا وكانت معرفته الشرعية محدودة، إلا أنه كغيره من الشباب المتدين كان يراود مخيلته الخطاب الرومانسي حول بناء دولة الخلافة وتطبيق الشريعة باعتبارها الخلاص من الأزمة الوجودية وتحقيق المدينة الفاضلة في الواقع. ومن ثمة شكَّلت الأيديولوجية الثورية الإسلامية اللُّحمة التي تجمع بين أعضاء هذه الجماعات.

ورغم أن عددًا من التيارات الجهادية قد تعولمت في الثمانينات والتسعينات، إلا أنها لم تكن كذلك في البداية. فأغلب هذه المجموعات اتخذت في مرحلة أولى طابعًا محليًّا، بحيث كان التركيز منصبًّا على المواجهة مع "العدو القريب"، أي الأنظمة القائمة، والعمل على تغييرها من خلال استعمال العنف المسلح كأداة للوصول إلى السلطة وتأسيس دولة إسلامية على المستوى القُطري. ولم يكن المغرب استثناء من هذه القاعدة.

## ثانيًا: ما قبل عولمة الجهاد

برزت الإرهاصات الأولى للجماعات الإسلامية المتشددة في المغرب بتواز مع نظيرتها التي ظهرت بالمشرق وكأنها رجع صدى لهذه الأخيرة. وقد ارتبطت في

الحالة المغربية مع بروز حركة الشبيبة الإسلامية بقيادة الشيخ عبد الكريم مطيع[1] في فترة السبعينات، ثم بعد ذلك مع تنظيم حركة "المجاهدون المغاربة" التي تشكَّلت من بعض بقايا الشبيبة الذين انشقوا عنها وأسسوا تنظيمًا مسلحًا بهدف المواجهة مع النظام. ففي ظل مناخ سياسي متوتر بين القصر والمعارضة، بدأت الشبيبة الإسلامية بوصفها حركة ثورية إسلامية تعتمد على السرية وتنشط أساسًا في التعبئة ضد النظام وأيضًا في مواجهة الأفكار اليسارية.

**الشبيبة الإسلامية وتفرعاتها**

ورغم معارضتها الشديدة لليسار، إلا أن حركة الشبيبة الإسلامية كانت تستقطب زبائنها من نفس الأوساط الاجتماعية. فقد نشطت أساسًا في استقطاب أعضائها ضمن فئة التلاميذ والطلبة والمعلمين في المجال الحضري بالمدن الكبرى والمتوسطة، في حين كان حضورها محدودًا في العالم القروي[2]، وعملت على تجذير حضورها في المساجد والجمعيات وغيرها، ثم المدارس والثانويات والجامعات، وعبر العلاقات الاجتماعية في إطار الأحياء المدينية وداخل مجالات العمل أو بعض الأماكن العمومية[3]. وقد كان زعيمها، عبد الكريم مطيع، متشبعًا بفكرة العمل السري بسبب نشاطه السابق في صفوف اليسار، كما أن الأوضاع السياسية المتوترة في المغرب إبَّان السبعينات والمناخ الإقليمي المتوجس من صعود الحركات السياسية الإسلامية لم يكن مساعدًا على النشاط العلني في تلك الفترة، علاوة على أن الأدبيات القطبية كانت تشجع مثل هذا المنحى السري.

على المستوى التنظيمي، كان تنظيم الشبيبة الإسلامية يشتغل عن طريق نظام شبكي مكون من عدد من الخلايا العنقودية الصغيرة، المفصولة فيما بينها في

(1) كان عبد الكريم مطيع الحمداوي (1935 –...) مفتشًا في التعليم، سنة 1961، وشغل منصب رئيس لجنة مراجعة مناهج التعليم، سنة 1973.

(2) في المغرب، لم تتمكن الحركات الإسلامية والأحزاب المنحدرة من الوطنية من التغلغل في المجالات الريفية بشكل أوسع؛ الأمر الذي ملأته أحزاب الإدارة المقربة من القصر، خصوصًا حزب الحركة الشعبية، في الأوساط الريفية الأمازيغية، ثم حزب التجمع الوطني للأحرار لاحقًا.

(3) رشيد مقتدر، الإدماج السياسي للقوى الإسلامية في المغرب، ط.1 (مركز الجزيرة للدراسات، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2010)، ص: 34.

المســتويات الدنيا، ولكنها مرتبطة في المســتوى الأعلى برئيس التنظيم من دون أن تكون للخلايا نفسها علاقات مباشرة معه. ومن هنا، كانت عملية الاستقطاب والتجنيد تتم بشــكل ســري داخل الجلسات التربوية، وهو ما يشبه الخلايا عند الشيوعيين، أي مجموعات صغيرة يجتمع فيها الشــباب ويتدارسون بعض الآيات والأحاديث وبعض التفاســير والأقوال والآراء الفقهية ويناقشونه والكتابات الحركية ولاسيما كتابات سيد قطب[1].

أيديولوجيًّا، كان تنظيم الشبيبة الإسلامية متشبعًا بفكر الإخوان المسلمين، لاسيما كتابات ســيد قطب؛ حيث اكتســب كتاب معالم في الطريق[2] شهرة كبيرة في صفوف أعضاء الشــبيبة الإسلامية وعموم الإســلاميين؛ حيث كان هذا الكتاب وباقي كتابات ســيد قطب ضمن المقررات التي يتم تلقينها بشــكل مكثف ضمن الجلســات السرية لأعضاء الشــبيبة. والحقيقة، أن كتابات سيد قطب لم يكن يُنظر لها بشكل سلبي إبَّان تلك المرحلة من طرف عموم التيار المحافظ في المغرب، فقد كان يُحكى أن زعيم حزب الاستقلال، علال الفاسي، كان من بين العلماء الذين توسطوا لدى جمال عبد الناصر من أجل العفو عن ســيد قطب وأرســل رسالة موقعة من طرفه إلى جانب أبي بكر القادري، وانتدب حزب الاســتقلال آنذاك كل من امحمد بوســتة والمحامي عبد الكريم بنجلون لمؤازرة سيد قطب أثناء عملية المحاكمة، كما أنه دبَّج مقالات بجريدة العلم يرثي فيها ســيد قطب، وأعاد طباعة كتابه الشــهير "معالم في الطريق" بمطابع الرسالة التابعة لحزب الاستقلال[3].

وقد كان لفكر ســيد قطب أثره على المواقف السياســية للشــبيبة الإســلامية وخطابها؛ إذ كانت خياراتها مُؤسَّســة علــى مواقف رافضة للأوضاع القائمة وتقر بأن النظام "طاغوتي" ولا يطبق الإسلام ويعاديه ويعادي الحركة الإسلامية، وكانت تؤمن بالثورة المســلحة ضد النظام لدرجة أن اتهم مصطفى الرميد عضو ســابق بالشــبيبة

(1) Emilie Siobhan François, "The Movement for Unicity and Reform: Between daʿwa and Dissent", PhD Thesis, University of Oxford, 2016), p: 46.

(2) للمزيد من التفاصيل حول هذا الكتاب، انظر:
سيد قطب، معالم في الطريق، (دار الشروق، الطبعة الثامنة، 1980).

(3) عبد العلي حامي الدين، "علال الفاسي ومصرنة المغرب"، موقع العدالة والتنمية، 13 يناير/ كانون الثاني 2010، (تاريخ الدخول: 25 يناير/ كانون الثاني 2019): https: / /www.pjd.ma /node /7550

الإســلامية وقيــادي بارز حاليًّا في حزب العدالة والتنميــة عبد الكريم مطيع بأنه كان يمتلك "منهجًا انقلابيًّا"[1].

كان الصراع مع اليسار أحد أهم القضايا التي كانت يتم التركيز عليها في عملية التلقين الأيديولوجي؛ فقد ذكر أحمد الريسوني في مذكراته أن عبد الكريم مطيع كان يحدثهم في اللقاءات الخاصة التي كانت تجمعه بهم بما يقع في بعض ثانويات الدار البيضاء من صراعات مع اليســار والماركسيين[2]. كما وجَّهت الشبيبة الإسلامية أيضًا نقدًا لاذعًا للعلماء التقليديين وأدانت ما اعتبرته عدم قيامهم بأداء "أدوارهم الحضارية في رفع الظلم عن المجتمع، ومهادنتهم للحكام ومتنكرين لدعوة الجهاد لكلمة الحق الصريحة وموقف الرجولة الصادق وأداء الشهادة المنزهة عن المجاملة وقول الزور"[3].

وقد غضَّت الدولة في البداية الطرف عن نشــاطات الشــبيبة الإسلامية، وسعت بــدلًا من ذلك إلى احتوائها من خلال ربــط الاتصال بقيادتها والتفاوض معها. وبعد تقارير صاغها عمر بهاء الدين الأميري -وهو مواطن ســوري كان موظفًا في الديوان الملكــي- حول عبد الكريم مطيع وتنظيم الشــبيبة[4]، عمل القصر على التفاوض مع مطيع بشــكل غير مباشــر من خلال تكليف عبد الكريم الخطيب، وهو سياسي مقرب من القصر، بالحوار مع الشــبيبة الإســلامية. وفي لقاء مع مطيع، اقترح الخطيب عليه تولي منصب وزاري، إلا أنه اعتذر عن تولي هذا المنصب، وفهم أنها رغبة من النظام في فصله عن حركة الشبيبة الإسلامية[5].

بالإضافــة إلى التأثر الفكري بالإخوان المســلمين، كانــت فكرة تكوين "تنظيم ســري" من الأمور التي نالت اهتمام قيادات الشــبيبة؛ فعلى غرار "التنظيم الخاص"،

(1) بلال التليدي، ذاكرة الحركة الإسلامية: الجزء الرابع، (منشورات التجديد، مطبعة طوب بريس، الرباط، 2010)، ص: 98.

(2) المرجع السابق، ص: 11.

(3) الشيخ عبد الكريم مطيع: مسؤولية العلم وواقع العلماء، 1987، قناة الشبيبة الإسلامية على موقع اليوتيوب، (تاريخ الدخول: 25 يناير/كانون الثاني 2019): http://www.youtube.com/watch?v=JurtflTFtp4

(4) الشبيبة الإسلامية المغربية، الأمانة العامة، "المؤامرة على الشبيبة الإسلامية المغربية سنة 1975م"، د.ت. د.ن. ص: 11.

(5) عبد الكريم مطيع، من ذاكرة العمل الإسلامي التأسيسي في المغرب، د.ت. د.ن، ص: 35.

الذي أسسه تنظيم الإخوان المسلمين في الأربعينات من القرن الماضي[1]، سعى إخوان مطيع إلى محاكاة هذه التجربة محليًّا. ورغم غياب تفاصيل كافية عن التنظيم السري للشبيبة الإسلامية، إلا أن بعض التحقيقات الصحفية تشير إلى أن مهمة التنظيم السري داخل الشبيبة أُسندت إلى عبد العزيز النعماني[2] الذي كان نشيطًا في صفوف هذه الأخيرة في السبعينات وكان مقربًا من مؤسسها، عبد الكريم مطيع. لقد كانت شخصية النعماني غامضة، واختلفت حوله الروايات، ففي الوقت الذي يصفه محمد النكاوي، المسؤول الذي تولى قيادة حركة المجاهدين المغاربة بعد وفاة النعماني، بكونه "المؤسس الفعلي والأب الروحي للتيار الجهادي في المغرب الأقصى"[3]؛ فإن الشبيبة الإسلامية تبرأت منه لاحقًا واعتبرته عميلًا للمخابرات المغربية[4]، كما أن أطرافًا يسارية تتهمه بكونه وراء اغتيال عمر بنجلون، سنة 1975[5].

لقد كانت عملية اغتيال المناضل اليساري، عمر بنجلون، نقطة تحول في مسار الشبيبة الإسلامية والتيارات الإسلامية برمتها في المغرب. فقد أثارت هذه العملية انتباه الدولة إلى ما يمكن أن تشكِّله الحركة الإسلامية من تهديد أمني، وتأكد هذا التهديد أكثر مع انطلاق الثورة الإيرانية نهاية السبعينات. فقبل ذلك كان النظام غاضًّا الطرف عن الإسلاميين، بل كان يرى فيهم عاملًا مساعدًا لإضعاف وتحجيم المعارضة اليسارية.

(1) للمزيد من التفصيل حول التنظيم الخاص للإخوان المسلمين، انظر: Barbara Zollner, The Muslim Brotherhood: Hasan Al-Hudaybi and Ideology. (London: Routledge, 2009).

(2) سامي المودني، ""المساء" تكشف الوجه الخفي للنعماني قاتل بنجلون.. النعماني.. حكاية الأب المؤسس للتنظيمات الدينية المسلحة في المملكة"، جريدة المساء، 21 يناير/ كانون الثاني 2013، (تاريخ الدخول: 13 يناير/ كانون الثاني 2018): https: / /www.maghress.com / almassae /171958

(3) "حوار مع الشيخ محمد النوكاوي، أمير حركة المجاهدين بالمغرب سابقًا، المعتقل بالسجن المحلي في طنجة"، شبكة المرصد الإخبارية، 26 نوفمبر/ تشرين الثاني 2013، (تاريخ الدخول: 13 يناير/ كانون الثاني 2018): http: / /marsadpress.net/?p=16024

(4) سليمان الريسوني، "الشبيبة الإسلامية تقول: إن النعماني عميل للمخابرات"، جريدة المساء، 13 يونيو/ حزيران 2012، (تاريخ الدخول: 13 يناير/ كانون الثاني 2018): https: / /www.maghress. com /almassae /158789

(5) عبيد أعبيد، "مقتل" بنجلون.. "الشبيبة الإسلامية" تتهم الاتحاديين بـ"طمس الحقيقة" واليازغي: نعرف القَتَلة، موقع لكم، 29 ديسمبر/ كانون الأول 2015، (تاريخ الدخول: 13 يناير/ كانون الثاني 2018): (http: / /lakome2.com /politique /9405.html)

وبغـضِّ النظر عن مدى تورط التنظيم الســري للشــبيبة الإســلامية في اغتيال بنجلون، فقد كان لهذا الحادث انعكاسات كبيرة على هذا التنظيم الوليد؛ فقد اتهمت السلطات المغربية تنظيم الشبيبة الإسلامية بالوقوف وراء عملية الاغتيال، ونتيجة لذلك تــم حظرهــا ومتابعة أعضائها في المحاكم والتــي وصلت أحكامها إلى حد الإعدام. وبســبب الخوف من الاعتقال، هرب مطيع خارج المغرب، ومن هناك حاول تســيير الحركة من الخارج، إلا أن مســعاه باء بالفشــل بســبب ضغط السلطات من جهة، ثم بســبب التصدعات والانقسامات التي حصلت لاحقًا نتيجة الفراغ التنظيمي والفكري الذي تركه حظر التنظيم من جهة ثانية.

وفي نهاية المطاف، انقسمت الشبيبة الإسلامية إلى عدة مجموعات[1]:

مجموعــة ظلــت وفية لعبد الكريم مطيع إلى غاية 1981؛ حيث ســتنقلب عليه لتؤســس ما سيُعرف بالجماعة الإسلامية، ثم فيما بعد حركة الإصلاح والتجديد التي تحولــت لاحقًا نحو العمل السياســي، تحت لافتة حــزب العدالة والتنمية الذي يقود الحكومة المغربية منذ نهاية 2011. ويُعتبر عبد الاله بنكيران من أبرز مؤسســي هذه المجموعة.

مجموعة ثانية انحازت إلى جانب ما يســمى بالقيادة السداســية، التي رغبت في قيادة التنظيم من الداخل إلا أنها سرعان ما فشلت وتلاشت.

المجموعة الثالثة رفضت الانحياز لأي طرف من الطرفين ودعت إلى التبين في الاتهامات والانتقادات المتبادلة.

ثم هناك فريق رابع تمثل في بعض المجموعات المتفرقة التي خرجت من الشبيبة أو نبتت فيها، من بينها مجموعة التوحيد بقيادة عبد السلام بلاجي، ومجموعة مصطفى المعتصم التي أسست ما سُمي جند الله ثم البديل الحضاري فيما بعد.

وأخيرًا، مجموعة منشقة بقيادة عبد العزيز النعماني، أسست في بداية الثمانينات جناحًا مســلحًا للشــبيبة سُمي بــحركة المجاهدين المغاربة بهدف إسقاط النظام في المغرب وتعويضه بنظام إسلامي بديل[2].

(1) مقتدر، الإدماج السياسي للقوى الإسلامية في المغرب، ص36.

(2) Frank Peter and Rafael Ortega, Islamic Movements of Europe (London and New York.: I.B. Tauris. ,. 2014.), p: 61.

نشـــطت حركة المجاهدين المغاربة في المرحلة الأولى لتأسيســـها في استقطاب الطلبة المغاربة الذين يدرسون في فرنسا. وقد شكَّلت مساجد باريس والحي الجامعي هناك المنطلق لعملية الاستقطاب والتأطير الأيديولوجي. وبالإضافة إلى الأفكار القطبية التي حملها معه من داخل الشبيبة الإسلامية، فقد استلهم عبد العزيز النعماني أفكاره أيضًا من الثورة الإيرانية، واســـتفاد من طرق وأســـاليب عمل منظمة الجهاد الإسلامي المصرية[1].

ركـــزت عملية التعبئة والتأطير الأيديولوجي على التوترات السياســـية في العالم الإســـلامي التي كانت رائجة خلال تلك الفترة، لاســـيما الغزو الســـوفيتي للأراضي الأفغانيـــة وتداعيـــات الثورة الإيرانية، هـــذا بالإضافة إلى النقاشـــات حول الأوضاع السياسية في المغرب وحول مشروعية الثورة المسلحة على النظام في المغرب الذي كانوا يعتبرونه "طاغوتًا"[2]، وهو ما يحيل على استمرار هيمنة الأفكار القطبية على هذا التنظيم. بالإضافة إلى ذلك، أصدرت الحركة في منتصف الثمانينات مجلة السرايا التي كان يشرف عليها محمد النكاوي، إلا أن هذه التجربة لم تدم طويلًا، بحيث لم تستطع الحركة إصدار أكثر من عددين سنتي 1984 و1985[3].

ولتحقيـــق أهدافها، حاولـــت حركة المجاهدين المغاربـــة الحصول على الدعم المـــادي والتدريب العســـكري. ونظرًا لتأثرها بنموذج الثـــورة الإيرانية، فقد تواصلت مع الســـفارة الإيرانية بباريس، حســـب بعض التقارير الصحفية، للحصول على الدعم، وفي ســـنة 1982 أو 1983 ســـافر بعض أعضاء الحركة إلى إيران ولكنهم فشـــلوا في مهمتهم في الحصول على المساعدة[4]. مع ذلك، بقيت قيادة الحركة مُصِرَّة على العمل

(1) مجموعة من المؤلفين، الكتاب الأبيض عن الإرهاب في المغرب، (منشورات الفريق الدولي للدراسات الإقليمية والأقاليم الصاعدة، 2015)، ص: 33.

(2) المرجع السابق، ص: 110– 112.

(3) "حوار مع أمير حركة المجاهدين في المغرب الشيخ محمد النوكاوي"، شبكة المرصد الإخبارية، 23 يناير/ كانون الثاني 2013، (تاريخ الدخول: 13 يناير/ كانون الثاني 2018): (http: / /marsadpress.net /?p=6397)

(4) "تأجيل النظر في ملف خلية "حركة المجاهدين بالمغرب""، جريدة الأحداث المغربية، 10 يوليو/ تموز 2015، (تاريخ الدخول: 13 يناير/ كانون الثاني 2018): (http: / /ahdath.info /89719)

المسلح ضد النظام المغربي ولهذا كانت تحتاج إلى مكان لتلقي التدريبات العسكرية، وهـو مـا تم في منتصف الثمانينات، مع توجه مجموعة من أعضاء الحركة بقيادة عبد العزيز النعماني إلى مدينة طرابلس، وهي منطقة سُـنية شـمال لبنان، تلقوا فيها على الراجح تدريبات شـبه عسـكرية، وتشـير بعض المصادر الإعلامية إلى أنهم انخرطوا أيضًا في القتال جنبًا إلى جنب حركة التوحيد بقيادة الشـيخ سـعيد شـعبان في لبنان قبل الرجوع لفرنسا[1].

في سـنة 1986، سـتعرف الحركة صدمة تنظيمية نتيجة اغتيال مؤسسـها، عبد العزيز النعماني، على الأراضي الفرنسـية. ورغم أنه لم يعرف لحد الآن الجهة التي كانـت وراء العمليـة، إلا أن بعض الروايات تُرجِّح مقتله من طرف أصهاره في قضية انتقام[2]، في حين يتهم أعضاء الحركة، أجهزة اسـتخبارات مغربية وفرنسـية بالوقوف وراء الاغتيال[3]. بعد وفاة النعماني، تم اختيار علي البوصغيري رئيسًا جديدًا للتنظيم، باعتباره كان اليد اليمنى للزعيم السـابق. وبسـبب تفاقم الصراعات والانقسامات بين قيادات الحركة بعد وفاة النعماني، فقد تم تجميد نشاطها لبضع سنوات قبل أن يرجع أعضاء من الحركة للمغرب في التسـعينات، من أجل اسـتقطاب مزيد من الأعضاء الجدد[4]، وترويج الكتب الجهادية التي كانت منتشـرة آنذاك، لاسـيما كتاب الجامع في طلب العلم الشريف[5] الذي كان يعتبر إنجيل التيار الجهادي في تلك الفترة، قبل أن يقوموا بصياغة مؤلَّف خاص بهم، سـنة 2000، سُـمي بـميثاق العمل الإسلامي كان يهـدف إلى التعريف بحركة المجاهديـن بالمغرب وأيديولوجيتها الجهادية، وقد

(1) "حوار مع أمير حركة المجاهدين في المغرب الشيخ محمد النوكاوي"، مرجع سابق.

(2) "بعد تورطه في اغتيال الشهيد عمر بنجلون.. التحقيق يكشف اغتيال عبد العزيز النعماني على يد أصهاره في قضية انتقام"، جريدة الاتحاد الاشتراكي، 25 مايو/ أيار 2012، (تاريخ الدخول: 13 يناير/ كانون الثاني 2018): https: / /www.maghress.com /alittihad /150196

(3) يونس الجنوحي، "حوار مع عبد الكريم مطيع الحمداوي"، جريدة الأخبار المغربية، العدد 950 ليومي السبت/ الأحد 19/ 20 ديسمبر/ كانون الأول 2015.

(4) "تفكيك شبكة إرهابية تعمل تحت إمرة "شبكة المجاهدين في المغرب""، جريدة الاتحاد الاشتراكي، 7 مايو/ أيار 2012، (تاريخ الدخول: 13 يناير/ كانون الثاني 2018): https: / /www. maghress.com /alittihad /148908

(5) للمزيد من التفاصيل حول هذا الكتاب، انظر: عبد القادر عبد العزيز، الجامع في طلب العلم الشريف، د.ت. د.ن.

كان يوزَّع على قادة الحركة والذي يعتبر أداة التأطير للأعضاء الذين تم استقطابهم[1].

وفـي كل الأحـوال، لم تتمكن حركة المجاهديـن المغاربة من تنفيذ أي عملية إرهابية في المغرب، رغم اتهام السـلطات المغربية لهذه المجموعة بإدخال أسـلحة للمغرب وإخفائها والدخول في تدريبات شـبه عسكرية، وقامت الأجهزة الأمنية، بعد 2003، باعتقـال العديد من أعضاء هـذا التنظيم في مدن العروي والناظور وبركان[2] الموجودة في شمال شرق المملكة المغربية. ويُشتبه في أن الحركة كانت متورطة في تفجيرات فندق آسني بمدينة مراكش، سنة 1994، من خلال عضوها، عبد الإله زياد[3]، الذي كان عضوًا سابقًا في الشبيبة الإسلامية وسافر إلى أفغانستان، سنة 1992، لتلقي التدريبات العسكرية، والذي تشير بعض التحليلات الصحفية إليه باعتباره العقل المدبر لتفجيرات مراكش سـنة [4]1994، رغم أنه من الصعب تأكيد هذه الرواية من مصدر مستقل[5].

وبغضِّ النظر عن محاولات تنظيم الشـبيبة الإسـلامية وفروعه تأسـيس العمل المسلح في المغرب، إلا أنه فشل في المحصلة في تحقيق هدفه الأساسي، أي إيجاد تربة خصبة في المغرب. سـيعرف هذا المسار تحولًا مع عولمة الجهاد في أفغانستان في الثمانينات والتسعينات.

---

(1) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع أ.ر. مدينة سلا، 25 أغسطس/ آب 2013.

(2) "Eclairage sur le " Mouvement des Moudjahidines au Maroc" Un activisme dont les origines remontent à 1983". L'opinion, 14 Mai 2012. (accessed 13 January 2018) http://www.lopinion.ma/def.asp?codelangue=23&id_info=25197)

(3) "Moroccan admits planning hotel attack ", upi.com, Dec. 11, 1996. (accessed 13 January 2018):https://www.upi.com/Archives/1996/12/11/Moroccan-admits-planning-hotel-attack/7286605804010

(4) Ahmed Chaarani, La Mouvance Islamiste au Maroc: du 11 Septembre 2001 aux attentats de Casablanca du 16 Mai 2003, (Karthala Editions, 2004), p: 119.

(5) تشير بعض التحليلات الأخرى إلى احتمال تورط الاستخبارات الجزائرية في الحادث، انظر: Jamal Hafsi, "Entretien avec l'ex-agent du DRS, Karim Moulai, déballe tout à Libération: révélations sur de multiples assassinats et sur l'attentat de l'hôtel Atlas Asni ", Libération, Lundi 6 Septembre 2010. http://karim-moulai.blogspot.com/2010/09/entretien-avec-lex-agent-du-drs-karim_06.html (accessed 13 January 2018). ولكن بالرغم من ذلك يصعب تأكيد هذه الرواية من مصدر مستقل لاسيما أن السلطات الجزائرية تنفي أي ارتباط لها بتفجيرات أطلس افني.

## ثالثًا: الجهاد الأفغاني

سيعرف مسار الجماعات الإسلامية المسلحة تحولًا دالًّا منذ الغزو السوفيتي لأفغانستان بداية الثمانينات؛ فقد وفرت أفغانستان أرضية مناسبة لبروز جيل جديد من المتطوعين المتحمسين، استطاع أن يمزج بين الأعمال الإغاثية والأنشطة القتالية، وشكَّل ملاذًا آمنًا للجهاديين الفارين من بلدانهم نتيجة القمع الذي تعرضوا له هنالك، وأيضًا أرضًا للهجرة بالنسبة لمن كان يحلم بالعيش في كنف "الدولة الإسلامية".

### السياق الدولي

إلى حدود نهاية الثمانينات من القرن الماضي، حجَّ الآلاف من المتطوعين المسلمين من مختلف أنحاء العالم إلى أفغانستان لمواجهة القوات السوفيتية التي اجتاحت البلاد. لم يكن لهذا الزخم أن يحصل لولا الدعم الذي قدمته المملكة العربية السعودية التي كانت تدعم من دون تحفظ المجاهدين العرب والأفغان. ترجع أسباب هذا الدعم إلى رغبة السلطات السعودية آنذاك في تحسين صورتها في العالم الإسلامي باعتبارها مناصرة لقضايا المسلمين من جهة، وأيضا مرتبطة بحسابات سياسية داخلية لاسيما رغبتها في تنفيس الضغط الداخلي عليها بعد تراجع أسعار النفط في منتصف الثمانينات وعدم قدرة الحكومة على توظيف خريجي الجامعات[1]. ومن هنا، عملت على تصدير الضغط الداخلي نحو الخارج عبر تشجيع الشباب المتحمس للتطوع إلى السفر نحو أفغانستان.

لم تكن الضغوط الداخلية هي الدافع الوحيد وراء الدعم السعودي للجهاد الأفغاني؛ فقد كانت تلك السياسة متوافقة موضوعيًّا مع سياسات حلفائها الغربيين في إضعاف المعسكر الشرقي. فقد عمدت السعودية إلى مشاركة الولايات المتحدة نفقات الحرب الأفغانية. فقد أشار توماس هيغهامر إلى أن الدعم الذي قدمته الحكومة السعودية للمجاهدين الأفغان في خمس سنوات بين سنتي 1984 و1989 تجاوز ذلك المقدم إلى منظمة التحرير الفلسطينية خلال عقدين من الزمن منذ تأسيسها سنة 1970. فبين سنتي 1978 و1991 قدمت الحكومة السعودية رسميًّا ما مجموعه 992 مليون

(1) توماس هيغهامر، الجهاد في السعودية، قصة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، ط.1، (بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2013)، ص 43.

دولار لمنظمة التحرير الفلسطينية، في حين ضخَّت ضعف هذا المبلغ 1.8 مليار دولار خلال ثلاث سنوات 1987 و1989[1]. أما الدعم الإجمالي الرسمي والشعبي فقد تفاوتت التقديرات فيما يتعلق به، وتراوحت بين مليارين و20 مليار دولار أميركي، بحسب المصادر المتعددة[2]. بدورها، لعبت باكستان دورًا أساسيًّا في دعم الجهاد الأفغاني، فحسب عبد الله أنس -صهر عبد الله عزام- فإن باكستان لعبت دورًا محوريًّا في تشكيل القاعدة الخلفية للمجاهدين الأفغان ومركز تسليحهم وتدريبهم[3].

بالإضافة إلى الدعم المادي والعسكري، فقد كان الجهاد الأفغاني يحتاج إلى أيديولوجية للتعبئة، وهي مهمة اضطلع بها كل من خطباء المساجد والعلماء والناشطون الإسلاميون الذين كانوا ينظرون إلى الأيديولوجية الشيوعية بمنزلة العدو المثالي للعالم الإسلامي، وكان يُنظَر للاحتلال السوفيتي لأفغانستان كحلقة ضمن سلسلة من الاعتداءات الغربية على العالم الإسلامي منذ فترة الحروب الصليبية. بل أكثر من ذلك، لقد كان السلفيون ينظرون إلى الاحتلال السوفيتي بأنه أكثر خطورة من الغزو "المسيحي" للعالم الإسلامي باعتبار الاتحاد السوفيتي "دولة إلحادية" تريد فرض مذهبها على المسلمين الأفغان. هذا، واعتبر كبار علماء السعودية الجهاد الأفغاني فرض عين للأفغان ولكنها لم تمنع بقية المسلمين من الالتحاق به إذا هم أرادوا المشاركة، فقد أفتى الشيخ عبد العزيز بن باز بأن: "الجهاد الأفغاني جهاد شرعي لدولة كافرة، فالواجب دعمه ومساعدة القائمين به بجميع أنواع الدعم، وهو على إخواننا الأفغان فرض عين للدفاع عن دينهم وإخوانهم ووطنهم"[4]. ورغم أن فتوى ابن باز لم تعتبر الجهاد الافغاني فرض عين على كل مسلم، إلا إنها أعطت غطاء شرعيًّا للراغبين في الالتحاق بالجهاد الأفغاني. لقد كانت تلك الفتوى موقفًا سياسيًّا متساوقًا مع الموقف السعودي المؤيد للجهاد الأفغاني.

على نفس المنوال، سارت دول منظمة المؤتمر الإسلامي بالنسبة للاحتلال

(1) المرجع السابق، ص: 25.

(2) عبد الباري عطوان، القاعدة: التنظيم السري، ط.1، (بيروت، دار الساقي، 2007)، ص: 51.

(3) عبد الله أنس، ولادة الأفغان العرب: سيرة عبد الله أنس بين مسعود وعبد الله عزام، ط.1. (بيروت، دار الساقي، 2002)، ص: 86.

(4) عبد العزيز بن عبد الله بن باز، "مجموع فتاوى ومقالات متنوعة الجزء الخامس"، مجلة المجاهد، (السنة الأولى ـ عدد 10، شهر سبتمبر/ أيلول 1989م/ صفر 1410هـ).

الســوفيتي، وطالبت بانســحاب الاحتلال في اجتماع في إسلام أباد، في يناير/ كانون الثانــي 1980[1]. كمــا قام العديد مــن الحكومات العربية وضمنهــا المغرب، بدعم الجهاد الأفغاني -غالبًا- عن طريق قنوات غير رســمية، وغضَّت الطرف عن عمليات الاســتقطاب للشــباب الراغب في الالتحاق بجبهات القتال. علاوة على ذلك، أُعطي الضوء الأخضر للخطباء والدعاة لاســتعمال المساجد وشبكة علاقاتهم بهدف تكوين مزاج متعاطف مع القضية الأفغانية، ونجحت فعلًا في استقطاب العشرات من الشباب في صفوفها، أدت إلى بروز ظاهرة المتطوعين العرب الذين ســافروا إلى أفغانســتان لمساندة الشعب الأفغاني، وهي ظاهرة سميت بظاهرة العرب الأفغان.

**عبد الله عزام وظاهرة "العرب الأفغان"**

ســيعيش الجهــاد الأفغاني تحولًا نوعيًّا مع دخول الشــيخ عبــد الله عزام على الخــط وظهــور ظاهرة "العرب الأفغان" في منتصف الثمانينات نتيجة توافد متطوعين من أقطار كثيرة لمساندة الأفغان ضد الاحتلال السوفيتي. يوصف عبد الله عزام بكونه رائد الجهاد الأفغاني ومؤسسه والمنظِّر الأول للجهادية العالمية من خلال نشاطه في التعبئة للجهاد الأفغاني وكتاباته الأيديولوجية للتنظير للعمل المســلح المستمر لتحرير جميــع الأراضي الإســلامية المحتلة، والتي تعتبر في نظــره مبررًا كافيًا لجعل الجهاد فرضًا واجبًا على جميع المسلمين.

التحق عزام بالعمل المســلح في العشــرينات من عمره عندما شــارك في بعض العمليات العسكرية ضد الإسرائيليين نهاية الستينات بعد سقوط الضفة الغربية، إلا أن النقلة النوعية التي سيعرفها ستبدأ في بداية الثمانينات عند التحاقه بأفغانستان.

وكانت نظرية عبد الله عزام في التغيير تقوم على مبدأ بسيط، وهو جعل أفغانستان القاعدة الصلبة التي تنطلق منها الجماعات الجهادية لتحرير الأراضي الإسلامية المحتلة وفي مقدمتها فلســطين. فقد كان عزام مؤمنًا بجعل أفغانســتان قاعدة خلفية للتدريب والتنظيم، ليتم من خلالها تأســيس دولة إســلامية مســتقلة، ثم الانتقال بعد ذلك إلى الخطوة الموالية، وهي تحرير فلسطين.

(1) مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامي، "الدورة غير العادية في إسلام آباد"- القرار رقم: 1/ غ ع، منظمة المؤتمر الإسلامي، بيانات وقرارات مؤتمرات القمة ووزراء الخارجية 1969-1981، ص: 525-526.

أســهم عبد الله عزام في اســتقطاب العديد من المتطوعين من جنسيات مختلفة عرب وغيرهم للمشاركة في الجهاد الأفغاني عبر مؤسسة سميت بـ"مكتب الخدمات" الذي تأســس نهاية 1984 بهدف تنظيم مشــاركة المتطوعين العرب في العمل داخل أفغانســتان[1]. بالإضافة إلى ترتيب ســفر المتطوعين إلى أفغانســتان، ســعى "مكتب الخدمات" إلى تقديم المســاعدات الإنســانية والإغاثية وأنشطة ودعوية وفتح معاهد ومدارس في داخل أفغانســتان وتكفل بآلاف العائلات الفقيرة. ونجح في مهمته من خلال التكامل والتعاون الذي حصل بينه وبين منظمات إغاثية رســمية تمتلك موارد وإمكانــات أكبــر؛ حيث تكفل المكتب بنقلها إلى العمــق الأفغاني في جبهات القتال مــن خلال شــبكة العلاقــات التي يمتلكها وهو ما منحه شــرعية رمزية. كما أنه كان يتقاســم الأدوار مع "بيت الأنصار" الذي أسســه أسامة بن لادن، وهو مَضيف أسسه ابن لادن لتهيئة المجاهدين للعمل المســلح في الداخل الأفغاني. ففي ســنة 1986، أَســس أســامة بن لادن "بيت الأنصار" أو "مضافة الأنصار" في مدينة بيشــاور على الحدود الباكســتانية-الأفغانية الذي كان عبارة عن بيت كبير يســتقبل فيه المتطوعين العرب الوافدين من مناطق مختلفة من العالم قبل إرسالهم إلى معسكرات التدريب[2]. وقد نجح مكتب الخدمات في فتح فروع له في عدد من دول العالم بما فيها الولايات المتحدة، حيث تم افتتاح فرع للمكتب سُمِّي مكتب اللاجئين-كفاح، بمسجد الفاروق، في حي بروكلين بمدينة نيويورك لقبول المتطوعين من المسلمين، كما كان الشيخ عزام يسافر باستمرار لحضور المؤتمرات وتعبئة المسلمين في أميركا ويحدثهم عن الجهاد الأفغاني[3].

تلقى عبد الله عزام دعمًا كبيرًا من دول الخليج؛ حيث كان يذهب إلى السعودية ويخطــب في مســاجدها علنًا، ويجمع التبرعات بالملايــين[4]. ولتعزيز حضور قضية الجهــاد الأفغاني في الوعي الشــعبي، قام عزام بتنظيم أســفار ورحلات دعائية ألقى

(1) أنس، ولادة الأفــغان العــرب، ص: 33.

(2) ستيف كول، آل ابن لادن وعالم النفط والمال والإرهاب، (بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2014)، ص: 289.

(3) Lawrence Wright, The Looming Tower: Al-Qaeda and the Road to 9/11, )Alfred A. Knopf, 2006(, p.179

(4) أنس، ولادة الأفــغان العــرب، ص: 36.

خلالها عشـرات الخطب في دول عديدة من أجل الحشـد للجهاد الأفغاني، وحثَّ الشباب على الرحيل إليه والاستفادة منه وأداء فريضة الجهاد. بالإضافة إلى ذلك، قام عزام بتأسيس مجلة "الجهاد" بهدف الدعاية للجهاد الأفغاني، وقد كانت مجلة الجهاد أول مجلة جهادية مصورة تنقل الصور الحية للجهاد والمعاناة في أفغانسـتان، فصار لها مكاتب توزيع في أوروبا وأميركا وبعض بلدان العالم العربي[1].

بالإضافة إلى ذلك، لقيت كتب عزام شهرة واسعة في العالم الإسلامي خصوصًا كتابه الموسوم بـ"آيات الرحمن في جهاد الأفغان"[2] الذي لاقى شهرة واسعة وجدلًا واسعًا كذلك، ثم كتاب "الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان"[3]. ويعتبر أبو مصعب السوري أن هذا الكتاب وهذه الفتوى لعبا دورًا بارزًا في عملية التحريض للجهاد الأفغاني[4]. وقد أفتى عزام في هذا الكتاب بفرض العين على جميع المسلمين من غير ذوي الأعذار للذهاب للجهاد في أفغانستان. استطاع عزام تعبئة علماء السنَّة وتمكـن مـن الحصول على أكثر من ثمانين توقيعًا من كبار العلماء والدعاة في العالم الإسلامي وعلى رأسهم كبار العلماء في السعودية[5].

لم تكن أنشـطة عزام تقتصر فقط على الأنشـطة الدعائية وحشد الدعم للجهاد الأفغاني، وإنما عمل أيضًا على تكوين معسـكرات تدريبية، لاسـيما معسـكر صدى قرب الحدود الأفغانية، داخل الأراضي الباكستانية في منطقة القبائل من أجل تدريب المتطوعين الراغبين في الالتحاق بالعمل المسلح في الداخل الأفغاني[6].

**الدعم الرسمي وغير الرسمي للجهاد الأفغاني**

ورغـم وصول صـدى التعبئة الأيديولوجية للجهـاد الأفغاني إلى مختلف دول العالم الإسـلامي، إلا أن التفاعل معه كان مختلفًا في المغرب مقارنة مع دول أخرى

(1) عمر عبد الحكيم، (أبو مصعب السوري)، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، (منبر التوحيد والجهاد، ديسمبر/ كانون الأول 2004)، ص: 733.

(2) عبد الله عزام، آيات الرحمن في جهاد الأفغان، (منبر التوحيد والجهاد، د.ت).

(3) عبد الله عزام، الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان، (منبر التوحيد والجهاد، د.ت.)

(4) السوري، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، ص: 734.

(5) المرجع السابق، ص: 716.

(6) Stephen Atkins, Encyclopedia of Modern Worldwide Extremists and Extremist Groups. (Greenwood Publishing Group. 2004), p. 35.

مثل السعودية أو الجزائر. فقد بقي تفاعل المغرب مع القضية الأفغانية محدودًا وارتبط أساسًا بالتعاطف المعنوي والتعبئة الأيديولوجية أكثر منه تجنيدًا للشباب للمشاركة في أعمال القتال هناك. فقد انصبت معظم الجهود في تنظيم أنشـطة ثقافية ومحاضرات للتعريف بالقضية الأفغانية وجمع التبرعات للمساعدة الإنسانية.

وعلـى غرار دول إسـلامية أخرى، سـاندت التيارات الإسـلامية في المغرب الجهاد الأفغاني؛ فقد أعلنت رابطة علماء المغرب، سنة 1981، أن احتلال أفغانستان "يسـتوجب على المسـلمين كافة والقادة خاصة أن يقفـوا وقفة رجل واحد لإعلان اسـتنكارهم ضد الاحتلال الأجنبي المسـتمر والمطالبة بإمـداد المجاهدين الأفغان بالدعم المادي والمعنوي اللازم"[1]. وجددت، سنة 1984، مساندتها للجهاد الأفغاني ودعت "المسـلمين إلى مؤازرة المجاهدين قولًا وعملًا حتى تعلو كلمة المسـلمين ويندحر جيش الغزاة وعملاؤهم"[2]، إلا أن الرابطة نفسها لم تشارك في عملية التجنيد، وبقي عملها محصورًا في حدود الدعم المعنوي، لطابعها شبه الرسمي، زيادة على حالة الضعف التي كانت تعيشها في تلك الفترة.

على المسـتوى الرسمي، شجَّعت السـلطات المغربية بشكل غير مباشر التعبئة للجهاد الأفغاني عن طريق الجمعية المغربية لمسـاندة الجهاد الأفغاني التي أسسـها عبد الكريم الخطيب الذي كان مقربًا من القصر ومهندس الإدماج السياسي للإسلاميين في المغرب. وقد أسس الجمعية في الثمانينات لتوفير الغطاء القانوني لسفر المتطوعين المغاربة لأفغانستان وتقديم الدعم اللوجستي والخدمي للجهاد الأفغاني. بالإضافة إلى ذلك، لعبت هذه الجمعية دورًا غير مباشر في التقارب بين الخطيب والإسلاميين؛ حيث تم تنظيم أنشـطة مشـتركة تضامنية مع الجهاد الأفغاني بين جمعية الدكتور الخطيب والتيارات الإسـلامية في مدرجات الجامعات[3]. ويتذكر أحد الجهاديين السـابقين أن المهرجانات الخطابية التي كان يخطب فيها عدد من رموز التيار الإسلامي الذي كان ممثَّلًا في الجماعة الإسـلامية هو الذي أيقظ في نفسـه "حب التيارات الجهادية؛ فقد

(1) أحمد بن شقرون، مواقف وآراء رابطة علماء المغرب من التأسيس 1960 إلى المؤتمر العاشر 1987، (منشورات رابطة علماء المغرب، د.ت.) ص: 459.

(2) المرجع السابق، ص: 520.

(3) مقابلة الكاتب مع ناشط سلفي سابق، سلا، فبراير/ شباط 2016.

كانت خطبهم حول وجوب دعم القضية الأفغانية رنَّانة وحماسية"[1].

وإلى جانب عبد الكريم الخطيب، لعب علي المنتصر الكتاني والد الشيخ حسن الكتاني دورًا مهمًّا في توفير الدعم المالي للجهاد الأفغاني ثم الجهاد في البوسنة والهرسك. فقد كان الكتاني يتوفر على علاقات واسعة مع ملوك ورؤساء السعودية وباكستان وتركيا حيث تولى رئاسة "المؤسسة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا والتنمية" ابتداء من سنة 1982، وهو ما مكَّنه من توفير منح للطلبة الأفغان للدراسة في المغرب، كما لعب علي الكتاني أيضًا دورًا في محاولات الوساطة بين الفصائل الإسلامية الأفغانية[2] المتطاحنة بعد نهاية الحرب.

**المغاربة الأفغان**

وقد كان المتطوعون المغاربة جزءًا من ظاهرة العرب الأفغان. ورغم أنه لا توجد بيانات دقيقة حول عدد المغاربة الذين التحقوا بأفغانستان، إلا أن بعض التقديرات غير الرسمية تقدر عددهم بين مئتين وأربعمئة متطوع[3] الذين التحقوا منذ نهاية الثمانينات إلى حدود 2001. ويقلِّل متطوع سابق سافر لأفغانستان من هذه الأعداد، ويعتبر أن الفترة التي سافر فيها لأفغانستان نهاية الثمانينات، كان عدد المتطوعين المغاربة في أفغانستان لا يتجاوز عدد رؤوس الأصابع[4]. وبغضِّ النظر عن أرقام المتطوعين المغاربة في أفغانستان، يمكن التوثيق لأولى حالات الالتحاق ابتداء من سنة 1989، أي عامًا واحدًا فقط قبل نهاية الحرب، وهي مشاركة متأخرة نسبيًّا إذا ما قورنت بمشاركة جنسيات أخرى، مثل: مصر والسعودية واليمن. كما أن تأخر المغاربة في الوصول إلى أفغانستان جعل مساهمتهم هامشية في الزعامة والتعبئة.

هناك عدة تفسيرات يمكن أن تقدم لهذا التأخر، الأول: يرتبط ربما ببعد المسافة

(1) عماد استيتو، "حوار مع عبد الوهاب رفيقي "أبو حفص""، مجلة "زمان"، العدد 43، (تاريخ الدخول: 22 أبريل/ نيسان 2019): https: / /zamane.ma /ar/ عبد-الوهاب-رفيقي-أبو-حفص-اكتشفت-أنن/

(2) إسماعيل بلاوعلي، "الطريق إلى كابول"، مجلة زمان، (العدد 5، نوفمبر/ تشرين الثاني 2014)، ص: 8.

(3) مقابلة الكاتب مع ناشط سلفي سابق، الرباط، أغسطس/ آب 2014.

(4) مقابلة الكاتب مع علي العلام، متطوع سابق في الجهاد الأفغاني، الرباط، أغسطس/ آب 2018.

بين المغرب وبؤر التوتر في الشـرق الأوسـط كأحد الأسـباب التي تفسر نسبيًّا تأخر الاستجابة للتعبئة للجهاد الأفغاني. هناك أسباب أخرى، تتجلى في تأخر وصول التعبئة الشـعبية مقارنـة مع دول عربية أخرى. فخلال تلك الفتـرة لم يزر رموز تيار الجهاد الأفغاني المغرب إلا في مرحلة متأخرة من الثمانينات[1]، كانت الحرب فيها قد شارفت على الانتهاء.

ففـي تلك الفترة، لم تكـن تكنولوجيا الاتصال متطورة مثلما عليه الحال اليوم. وكانت المجلات والكتب التي أصدرها عبد الله عزام، بالإضافة إلى الأشرطة الصوتية هي القنوات الأساسـية للتعبئة الأيديولوجية للجهـاد الأفغاني. وقد كان تأثيرها لافتًا بمعاييـر تلك الفترة؛ فقد نشـرت مجلة الجهاد -التـي كان يصدرها عبد الله عزام- مقالات رومانسـية حول الكرامات التي تحصل عند مقتل "الشهداء"، وقد أشار عزام فـي مقالـة واحدة على الأقل إلى كرامات مغربي قُتل أثناء القتال في أفغانسـتان كان يدعى يوسف وينحدر من مدينة فاس[2]. وبعد ذلك ببضع سنوات بدأت أشرطة الفيديو المرئية تغزو الأسواق المحلية[3].

اختلفت أسـاليب سفر المتطوعين المغاربة إلى أفغانستان؛ فبعضهم سلك طرقًا قانونية للسـفر، مثل أحمد رفيقي[4]، فيما تسـلل البعض الآخـر عبر الجزائر وتونس

(1) المرجع السابق.

(2) بلاوعلي، "الطريق إلى كابول"، ص: 8.

(3) لاقى شريط "جحيم الروس في الشيشان" على الخصوص رواجًا كبيرًا في المغرب، وهو شريط من عدة حلقات كان يُصوِّر بشكل رومانسي العمليات القتالية التي كان يقوم بها المجاهدون ضد الروس في الشيشان، انظر:
جحيم الروس في الشيشان (الإصدار الرابع)- الجزء 1، (تاريخ الدخول: 15 يناير/ كانون الثاني 2018): ( https: / /archive.org /details /Jaheem_Alros_04

(4) يمثل أحمد رفيقي (الملقب بأبي حذيفة) أحد أبرز المغاربة الذين تطوعوا في أفغانستان ابتداء من سنة 1989. وقد اتصل عبد الكريم الخطيب بأحمد رفيقي، سنة 1989، ليكلفه بنقل كميات من الدواء إلى أفغانستان بحكم خبرته الطبية. فقد كان أحمد رفيقي يشتغل ممرضًا في مستشفى ابن رشد بالدار البيضاء، وكان من أوائل المغاربة الذين سافروا إلى أفغانستان، وبقي يتردد عليها خلال فترة التسعينات وتمكن خلال تلك الفترة من توثيق علاقاته مع بعض المغاربة الأفغان؛ حيث عُرف بعلاقاته مع عبد الله تبارك -المعتقل السابق بمعتقل غوانتانامو- المقرب من أسامة بن لادن والذي أصبح لاحقًا حارسه الشخصي، وبعد وصوله إلى أفغانستان بشكل قانوني عبر الطائرة، قرر أحمد رفيقي تسخير خبرته في التمريض وعلاج المصابين الأفغان، ثم طلب بعد ذلك تقاعدًا نسبيًّا واستقر

وليبيا وسافروا من مصر إلى باكستان[1]، ومن ثمة إلى أفغانستان. في كل الأحوال، تم استقبال المتطوعين المغاربة، مثلهم مثل باقي المتطوعين الأجانب، في "مضافة الأنصار" التي أسسها أسامة بن لادن. والمضافات هي عبارة عن بيوت ضيافة مخصصة لاستقبال المتطوعين القادمين من الخارج. وكان جميع الوافدين يقضون أيامهم الأولى في تلك البيوت الموجودة في مدينة بيشاور، يتم خلالها تحضيرهم النفسي للمرحلة التي ستليها. وخلال فترة مكوثهم في المضافات كان يتم تقسيمهم إلى ثلاثة أصناف: صنف يتم إرساله إلى المعسكرات للتدرب على القتال، والبعض الآخر إلى القيام بأعمال الدعوة والوعظ في صفوف المقاتلين لرفع معنوياتهم، والصنف الثالث كان يشتغل في الأعمال الإغاثية والتنموية[2].

والحقيقة أن عددًا من المغاربة الأفغان قرر الاستقرار بشكل نهائي في "الإمارة الإسلامية" التي أسستها طالبان[3]، لاسيما حالة فتيحة المجاطي وزوجها عبد الكريم المجاطي، الذي كان من الواضح أن شبكة علاقاته قد توطَّدت مع الجهاديين ومع القاعدة خلال تلك الفترة، بالرغم من أن زوجته فتيحة تنفي أن يكون قد انضم إلى القاعدة، قبل الحرب الأفغانية نهاية العام 2001[4]. وقد شارك المغاربة الأفغان في دعم حركة طالبان؛ ففي تلك الفترة لم يكن السفر إلى أفغانستان مصدر قلق لعدد من المتطوعين آنذاك. فلم يكن العديد منهم يخفون رغبتهم في السفر لأفغانستان، بل كان يعتبرون التصريح العلني بذلك بمنزلة شرف؛ "كنَّا نُستقبل كأبطال"، كما صرَّح بذلك

في أفغانستان ثلاث سنين لتقديم الخدمات الطبية المجانية. وفي صيف 1990، لحقه ابنه محمد رفيقي -أبو حفص- قادمًا من المغرب.

(1) "شقوري: لاحقتني تهمة زيارة كشك..وهذه رحلتي إلى باكستان"، موقع هسبريس، 6 يونيو/ حزيران 2016، (تاريخ الدخول 10 يناير/ كانون الثاني 2018): https: / /www.hespress.com / interviews /308862.html

(2) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع م.م. سلفي سابق، مدينة الدار البيضاء، أغسطس/ آب 2013.

(3) "زوجة عبد الكريم المجاطي: دخلنا السعودية بجوازات قطرية مزورة..ولا علاقة له بتأسيس "الجماعة المغربية المقاتلة""، جريدة الشرق الأوسط، 18 يونيو/ حزيران 2005، العدد 9699، (تاريخ الدخول: 4 فبراير/ شباط 2019): http: / /archive.aawsat.com /details.asp?issueno=9532&artic le=306243#.WlZ37COZPVo

(4) محمد أبو رمَّان، حسن أبو هنيَّة، عاشقات الشهادة: تشكُّلات الجهادية النسويَّة من القاعدة إلى الدولة الإسلامية، (عَمَّان، مؤسسة فريديريش إبرت، 2016)، ص: 222.

أحد المغاربة الأفغان[1].

**الجماعة الإسلامية المقاتلة المغربية**

رغم سفر عدد من المغاربة إلى الساحة الأفغانية، إلا أن الحضور المغربي هناك كان ضعيفًا إنْ على المستوى الكمي أو الكيفي. فعلى المستوى الكمي، بقي الحضور محدودًا مقارنة مع دول عربية أخرى، مثل: السعودية ومصر واليمن. ومن زاوية الكيف، لم يكن للمغاربة دور يُذكر على مستوى الدوائر القيادية في تيار العرب الأفغان، الذي كان يضم أساسًا المصريين والسعوديين[2]. علاوة على ذلك، لم يكن الأفغان المغاربة يمثلون فئة متجانسة؛ فقد كان بعضهم ينتسب إلى تيار التكفير والهجرة لاسيما أولئك المنفيين إلى أفغانستان للهرب من "الدولة الكافرة"، بينما كان الآخرون ينحدرون من الشبيبة الإسلامية[3].

وقد عرفت أواسط التسعينات تحولًا على مستوى بنية وأدوار المغاربة في أفغانستان بعد تأسيس الجماعة الإسلامية المقاتلة المغربية. وتختلف الروايات بشأن تاريخ ومكان تأسيسها، فقد أشار محمد ضريف إلى أن المخابرات المغربية تعتقد أن هذه المجموعة تأسست سنة 1995 في السودان[4]، في حين يعتقد أبو مصعب السوري -وهو أحد أبرز منظِّري التيار الجهادي العالمي- أن البوادر الأولى لهذا التنظيم تشكَّلت في أوساط المهاجرين المغاربة في بعض الدول الأوروبية لاسيما من فرنسا وبلجيكا وهولندا[5] في منتصف التسعينات. في حين يشير علي العلام، وهو أحد المتطوعين المغاربة الذين سافروا إلى أفغانستان نهاية الثمانينات، إلى أن تأسيس

(1) " L'histoire secrète des ''Afghans marocains''", bladi.net, 18 février 2007. (accessed 14 January 2018) https://www.bladi.net/l-histoire-secrete-des-afghans-marocains.html

(2) Mohamed Darif, Monarchie marocaine et acteurs religieux,) Éditions Afrique Orient, Casablanca, 2010(. p: 165

(3) Ibid. p: 154.

(4) محمد ظريف، "الجماعة المغربية المقاتلة والبحث عن التمايز التنظيمي"، جريدة المساء، 11 نوفمبر/ تشرين الثاني 2009، (تاريخ الدخول: 10 يناير/ كانون الثاني 2018(: https: //www. maghress.com /almassae /30887

(5) السوري، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، ص: 805.

الجماعة المغربية المقاتلة وكذا أول اجتماعاتها كان سنة 1992 في أفغانستان[1].

بغضِّ النظر عن ملابسات التأسيس، فإن ظهورها جاء في سياق دقيق تميز بقيام حركة طالبان بتأسيس الإمارة الإسلامية في أفغانستان، سنة 1996، ونجاحها في توحيد أغلب المناطق الجنوبية والغربية لأفغانستان ذات الأغلبية البشتونية. وتزامن أيضًا مع رجوع أسامة بن لادن من السودان في نفس السنة، وبيعته لأمير حركة طالبان، الملا عمر. وقد أدى استقرار ابن لادن في أفغانستان إلى رجوع العديد من الجهاديين العرب، وضمنهم المغاربة، وقاموا بافتتاح معسكرات للتدريب وعدد من المضافات في أفغانستان. وبالإضافة إلى أولئك الذين بقوا في أفغانستان، وصل آخرون من جهات مختلفة من المغرب ومن أوروبا. وأخيرًا، يمكن تفسير تأسيس الجماعة الإسلامية المقاتلة المغربية كجزء من التنافس الحاصل بين الفصائل الجهادية الأخرى الموجودة في أفغانستان على مستوى إبراز الحضور والتعبير عن توجه "قُطْري" لدى التنظيمات الجهادية الموجودة في أفغانستان للتمايز فيما بينها[2].

خلال مرحلة التأسيس في بداية التسعينات، اجتمع عدد من المغاربة الأفغان لتأسيس الجماعة الإسلامية المقاتلة المغربية في لقاء ضمَّ نور الدين نفيعة، ويونس الشقوري، وإبراهيم بنشقرون، والطيب بنتيزي، ومحمد الكربوزي. تضمن اللقاء حديثًا عن تأسيس تنظيم جهادي مغربي يكون بمنزلة نواة تنظيمية مشابهة للتنظيمات الجهادية

(1) مقابلة الكاتب مع علي العلام، مرجع سابق.

(2) في صيف 1996، التقى أسامة بن لادن مع الملا عمر، أمير حركة طالبان، وقدَّم له البيعة وأمر مقاتليه بالانضواء تحت راية الأمير الجديد لمواجهة التحالف الشمالي. وخلال تلك الفترة تم العمل في بناء معسكرات لتدريب المتطوعين العرب الوافدين من مناطق مختلفة بعد تأسيس الإمارة الإسلامية في أفغانستان بلغ عددها الأربعة عشر، سنة 2000، وهي: 1. المجاهدون الأوزبك. 2. المجاهدون التركستان. 3. المجاهدون الأتراك. 4. تنظيم (القاعدة). 5. الجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا. 6. الجماعة الإسلامية المجاهدة في المغرب. 7. جماعة الجهاد المصرية. 8. الجماعة الإسلامية المصرية. 9. تجمع المجاهدين الجزائريين. 10. تجمع المجاهدين من تونس. 11. تجمع المجاهدين من الأردن وفلسطين. 12. معسكر خلدن. 13. معسكر الشيخ أبو خباب المصري. 14. مجموعة معسكر الغرباء. ويعتقد أن هذه المجموعات استطاعت الحصول على اعتراف حركة طالبان وتربطهم بها علاقات تنسيق. وكانت هذه التجمعات تشتغل بشكل مستقل فيما بينها، إلا أنه يبدو أن حكومة طالبان كانت تحدوها رغبة في أن يتولى أسامة بن لادن التنسيق وقيادة هذه المجموعات وربطها بوزارة الدفاع والداخلية والمخابرات لجماعة طالبان، انظر: السوري، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. مرجع سابق.

الأخرى، لاسيما الجماعة الليبية الإسلامية المقاتلة والجماعة التونسية الإسلامية المقاتلة وتنظيم الجهاد المصرية. وتشير بعض المصادر الجهادية السابقة إلى أنه لم يكن جميع الحاضرين مقتنعًا بهذه الفكرة، لاسيما أن بعضهم لم يكن ينظر إلى المغرب كمستهدف بالعمل القتالي في تلك الفترة[1].

إضافة إلى ذلك، تشير تقارير صحفية إلى أسماء متعددة تناوبت على قيادة التنظيم. والراجح أن أول أمير للجماعة كان هو أبو معاذ نور الدين نفيعة ثم بعد ذلك جاء خلفه الطيب بنتيزي من أكادير كأمير الجماعة وينوب عنه محمد الكربوزي مقيم في بريطانيا[2]. وقد حصل بيتر برغن على نسخ من محاضر استجواب نور الدين نفيعة من قبل الشرطة المغربية، سنة 2003، والتي وصف فيها كيف وافق أسامة بن لادن والظواهري على مساعدته في تدريب مجموعته وتمويلها خلال اجتماع عقده معهما سنة 2001[3]. وتصف بعض المصادر الإعلامية نور الدين نفيعة بأنه كان عضوًا في مجلس شورى طالبان وهو ما ساعده في لقاء واستقطاب أشخاص من عدة دول[4]. كما أنه يعتقد أن نفيعة سبق وأن التقى بابن لادن والظواهري في أفغانستان[5]، على الأقل مرة واحدة، كما يؤكد ذلك أحد أتباعه في مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع الكاتب[6].

ويُعتقد أن سعد الحسيني كان يترأس الجناح العسكري للتنظيم، وقد قام الحسيني، في مايو/ أيار 1997، بزيارة أفغانستان انطلاقًا من إسبانيا حيث كان يَدرُس الفيزياء في الجامعة. وتشير بعض المصادر الصحفية أنه بمجرد التحاقه بأفغانستان، انضم

(1) مقابلة الكاتب مع ع.ح. بمدينة الرباط، يوم 26 أغسطس/ آب 2014.

(2) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع.ش. مدينة سلا، 15 أغسطس/ آب 2013.

(3) عبد الباري عطوان، ما بعد بن لادن: القاعدة، الجيل التالي، ط. 1، (بيروت، دار الساقي)، 2013، ص: 245.

(4) ()" Les "Marocains afghans" devant la Cour demain", leconomiste.com, N°:1609، 25 September 2003. (accessed 13 January 2018): http://www.leconomiste.com/article/les-marocains-afghans-devant-la-cour-demain

(5) السجن 20 عامًا لمغربي التقى بن لادن، الجزيرة.نت، 27 سبتمبر/ أيلول 2003، (تاريخ الدخول: 16 فبراير/ شباط 2019): (https: / /www.aljazeera.net /news /arabic /2003/ 9/ 27/ السجن-20عاما-لمغربي-التقى-بن-لادن)

(6) مقابلة الكاتب مع جهادي سابق، سلا، يوليو/ تموز 2013.

الحسيني إلى معسكرات التدريب هناك وخضع لتدريبات شبه عسكرية. وخلال سنتي 1997-1998 تعرف على عدد من الجهاديين المغاربة في أفغانستان مثل عبد القادر حكيمي، وكريم أوطاح، ويونس الشقوري[1]. وتشير مصادر إعلامية إلى أن الحسيني عمل على تنشيط خلايا تنظيم الجماعة الإسلامية المغربية المقاتلة بعد دخوله إلى المغرب، سنة 2002، وأقام تدريبات عسكرية بجبال الريف وجبال الأطلس بغرض تدريب المتطوعين وفي نفس الوقت، تشكيل قواعد لتصنيع المتفجرات[2].

**رسم تخطيطي 1: هيكلة الجماعة الإسلامية المقاتلة المغربية**

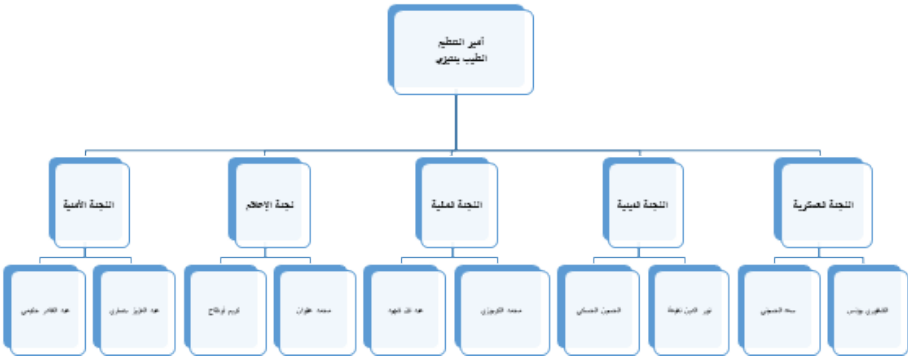


المصدر: ctc.usma.edu+ مصادر إعلامية

**هل شكّلت الجماعة الإسلامية المقاتلة المغربية تهديدًا فعليًّا للمغرب؟**

من الصعب معرفة الحجم الحقيقي لهذا التنظيم بسبب تضارب المعطيات الدقيقة والموثوقة بخصوص هذا الموضوع، إلا أن الراجح أنه تنظيم ميكروسكوبي منقسم وضعيف الهيكلة وتتسم قياداته بالتشتت، ولا يمتلك نفوذًا في صفوف التيار السلفي الجهادي، بل يعتبره بعض الناشطين الجهاديين السابقين أنه تنظيم "وُلد ميتًا" منذ

(1) "القصة الكاملة لسعد الحسيني، مسؤول الجناح العسكري للجماعة المقاتلة"، جريدة المساء، يوم 7 أبريل/ نيسان 2008، (تاريخ الدخول: 16 فبراير/ شباط2019): (https: / /www.maghress.com / almassae /8094).

(2) "15سنة سجنًا نافذًا في حق سعد الحسيني"، جريدة العلم، 28 فبراير/ شباط 2009، (تاريخ الدخول: 16 فبراير/ شباط 2019): (https: / /www.maghress.com /alalam /10013)

البداية[1]. ويرجع فشل التنظيم إلى ثلاثة أسباب أساسية: أولًا: اختلاف وجهات النظر بين الحاضرين في اللقاء التأسيسي حول أهداف ومبرر وجود التنظيم من عدمه، فلم يكن عدد منهم مقتنعًا بفكرة تأسيس تنظيم جهادي يستهدف المملكة المغربية، لاسيما أن النظـام لـم يدخل في مواجهة مفتوحة مع الإسـلاميين في تلك الفترة كما حصل في دول عربية أخرى، كما أنه يؤسِّـس مشـروعيته على الإسلام. ثانيًا: غياب تكتيك واستراتيجية منسجمة، وهي مرتبطة بالنقطة السابقة؛ حيث أدى تباين وجهات النظر إلى شلل الحركة مع تأسيسها. ثالثًا: ضعف التمويل والقدرات اللوجستية، حيث لم تكن تتوفر على موارد كافية من المال والأسلحة، تمكِّنها من بناء معسكرات تدريب خاصة واستقطاب متطوعين جدد؛ مما جعل مواردها البشرية وبنيتها التنظيمية ضعيفة[2].

ورغم أن السلطات المغربية تعتبر الجماعة الإسلامية المغربية المقاتلة أكبر خطر يتهدد استقرار البلاد في التسعينات وبداية الألفية إلا أنها في الوقت نفسه عجزت عن تحديد هويات قياداتها بشكل دقيق؛ مما جعل المعطيات المتداولة حول بنيتها التنظيمية تتسـم بكثير من "الضبابية"[3]. والحق يقال، لم يلق اسـم الجماعة الإسلامية المقاتلة المغربية رواجًا في السـاحة الإعلامية في المغرب قبل أحداث 16 مايو/ أيار 2003، إلا أن صداها كان قد وصل إلى مسـتوى العالمية قبل تلك الفترة؛ فقد أدرج مجلس الأمن بمنظمة الأمم المتحدة، في أكتوبر/ تشـرين الأول 2002، الجماعة الإسـلامية المقاتلة المغربية ككيان مرتبط بتنظيم القاعدة وأسـامة بن لادن بسـبب "المشـاركة فـي تمويل أعمال أو أنشـطة يقوم بها أسـامة بـن لادن"[4]. ويترتب على هذا القرار إلـزام الدول بـ"تجميد الأموال وسـائر الأصول الماليـة أو الموارد الاقتصادية [...] ومنـع الدخـول إلى أراضيها أو المرور عبرها، ومنع القيام على نحو مباشـر أو غير مباشـر، بتوريد الأسـلحة والعتاد المتصل بها أو بيعها أو نقلها"[5] لهذه المجموعات.

(1) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع عبد الفتاح الحيداوي بمدينة الرباط، يوم 10 سبتمبر/ أيلول 2013.

(2) المرجع السابق.

(3) ضريف، "الجماعة المغربية المقاتلة والبحث عن التمايز التنظيمي".

(4) مجلس الأمن، الأمم المتحدة "لجنة مجلس الأمن المنشأة بالقرارين 1267 و1989 بشأن تنظيم القاعدة وما يرتبط بها من أفراد وكيانات"، مجلس الأمن، الأمم المتحدة، (تاريخ الدخول: 17 مارس/ آذار 2014). (http: / /www.un.org /ar /sc /committees /1267 /NSQE08902A.shtml).

(5) مجلس الأمن، الأمم المتحدة "القائمة التي تنشئها وتتعهدها اللجنة المنشأة عملًا بالقرارين 1267(1999) و1989(2011) فيما يتعلق بتنظيم القاعدة وما يرتبط به من أفراد وجماعات ومؤسسات

كما أن أجهزة الاستخبارات الأوروبية تشك في وجود علاقة بين الجماعة المغربية المقاتلة وتنظيم القاعدة وتتهم بعض أعضائها في التورط في تفجيرات مدريد سنة 2004[1]. كما قامت وزارة الخارجية الأميركية، في شهر أكتوبر/ تشرين الأول 2005، بإدراج هذا التنظيم ضمن لائحة التنظيمات "الإرهابية"[2]. وتتهم كل من منظمة الأمم المتحدة والولايات المتحدة الأميركية أعضاء من هذا التنظيم بالتورط "في هجمات الدار البيضاء، عام 2003. وكان أعضاء من الجماعة من بين المسؤولين عن تفجيرات مدريد عام 2004؛ وأن المغاربة المرتبطين بالجماعة هم جزء من الحركة الإرهابية الدولية الأوسع المتصلة بتنظيم القاعدة. كما تورط أعضاء من الجماعة في تجنيد أفراد للقتال في العراق"[3].

بالرغم من توجه عدد من الإسلاميين إلى الساحة الأفغانية، إلا أن دوافع ذهابهم كانت مختلفة عن الإسلاميين في دول عربية أخرى، فالإسلاميون المغاربة لم يتعرضوا لنفس درجة القمع التي تعرض لها نظراؤهم في دول عربية أخرى مثل مصر والجزائر، كما أن السلطات غضَّت الطرف عن التيار السلفي الوهابي. وقد عرفت سنوات التسعينات تحولًا في بنية التيار السلفي في المغرب، مع خروج التيار الجهادي من رحم الوهابية وهو ما سيتم التفصيل فيه في الفصل الموالي.

---

وكيانات"، مجلس الأمن، الأمم المتحدة، (تاريخ الدخول: 17 مارس/ آذار 2014): http: / /www. un.org /ar /sc /committees /1267 /aq_sanctions_list.shtml )

(1) "‹Afghan Moroccans› held in Casablanca blasts inquiry." The Guardian, 6 Apr. 2004, )Accessed 15 Jan. 2018) : https://www.theguardian.com/world/2004/apr/06/france. jonhenley (.

(2) U.S Department of State, "Designation of the Moroccan Islamic Combatant Group as a Foreign Terrorist Organization": U.S Department of State. Office of the Coordinator for Counterterrorism, October 11, 2005.) Accessed 15 Jan. 2018( http://www.state. gov/j/ct/rls/other/des/54707.htm

(3) U.S Department of State, Foreign Terrorist Organizations, U.S Department of State. ) Accessed 15 Jan. 2018(: http://www.state.gov/documents/organization/65479.pdf

# الفصل الثاني
# من الوهابية إلى السلفية الجهادية

من الجوانب التي تسترعي الانتباه في دراسة التيارات الجهادية علاقتها بالتيارات الإسلامية الأخرى، لاسيما بالسلفية الوهابية أو السلفية التقليدية. فلو نظرنا إلى مرحلة السبعينات والثمانينات، فإن التيار السلفي الوهابي لم يتعرض في المغرب للقمع مثلما تعرض له الإسلاميون الآخرون، بل تلقى أحيانًا دعمًا غير مباشر من السلطات في الرباط. فخلال تلك الفترة لم تكن الدولة تنظر إلى هذا التوجه الإسلامي بتخوف، بل سعت إلى دعمه بشكل غير مباشر لمواجهة التيارات الإسلامية الحركية. ولفهم تحولات التيار السلفي الوهابي وانتقاله من الحالة المهادنة إلى الحالة الجهادية، لابد من مدارسة تياراتها وشيوخها في علاقاتها بتغيرات البيئة السياسية الداخلية، وكذلك الدور الذي لعبته الوهابية السعودية لصالح التيار السلفي في المغرب.

## أولًا: السلفية الوهابية

سبقت الإشارة في الفصل السابق إلى أن السلطات المغربية كانت في حاجة إلى التحالف مع قوى مجتمعية لمواجهة المعارضة التي كانت تهدد شرعية النظام. ففي إطار صراع الملكية آنذاك مع المعارضة اليسارية والإسلامية، نظرت السلطات بالرباط إلى التيار السلفي كحليف محتمل. بالإضافة إلى ذلك، كانت السلطات في الرباط تنظر إلى الثورة الإسلامية في إيران كتهديد مباشر للملكية في المغرب[1]؛ فقد كان الشاه، رضا بهلوي، حليفًا للملك الحسن الثاني وقد استقبله لبضعة أشهر بعد سقوط نظامه. وقد أَرْخت الثورة الإسلامية في إيران بتداعياتها على المغرب، مع تأثر عدد من التيارات الإسلامية بالثورة الخمينية وأصبحت مصدر إلهام لهم، لاسيما جماعة العدل والإحسان، التي تأثرت بالبعد السياسي للثورة الإسلامية، أكثر من البعد العقائدي

(1) Munson, H. (1991). Morocco's Fundamentalists. Government and Opposition, 26(3), 331-344.

الشـــيعي. ونتيجة لذلك، قام الحســـن الثاني بالضغط على العلماء لتكفير الخميني[1]. وأكثر من ذلك، لجأ نظامه بشكل غير مباشر إلى دعم السلفيين لتثبيت حكمه ومواجهة التحديات الداخلية والخارجية التي قد يواجهها نظامه.

**السلفية الوطنية**

يربط بعض الباحثين صعود السلفية بتراجع دور الزوايا الصوفية؛ فبعد أن كانت مؤسسة الزوايا الصوفية إحدى أكثر المؤسسات الاجتماعية المميزة للحياة الدينية في شـــمال إفريقيا[2] خلال القرن الماضي، أصبحت اليوم أقل حضورًا في التأطير الديني مما كانت عليه من قبل. ويُرجع إرنست غيلنر ذلك إلى مجموعة من العوامل المتكاتفة والتـــي تتمثل فـــي الاقتلاع من الجذور[3] وعملية التصنيـــع وموجة جديدة من النزعة الإصلاحية الدينية والتطهرية، وأخيرًا الحركة الوطنية[4].

رغم أن المحاولات الأولى لنقل الفكرة الســـلفية إلى المغرب ترجع إلى عهد الســـلطان محمد بن عبد الله وابنه ســـليمان في القرن الثامن عشر[5]، إلا أنها لم تجد لها أرضية خصبة إلا خلال الثلاثينات من القرن الماضي على يد رواد الحركة الوطنية، خصوصًا أبو شـــعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي وعلال الفاســـي. فقد رأى هؤلاء الســـلفيون الإصلاحيون أن مشـــاركة الناس في الطرق الصوفية والممارســـات المرتبطة بها تشكل خطرًا على الإسلام[6]، بل ربط محمد بلعربي العلوي بين الطرقية

(1) "الملك الحسن الثاني يقول عن الخميني"، موقع اليوتيوب، 18 مارس/ آذار 2012، (تاريخ الدخول: 5 نوفمبر/ تشرين الثاني 2018): (https: / /www.youtube.com /watch?v=b_kF6VfwPmA )

(2) إرنست غيلنر، مجتمع مسلم، (بيروت، دار المدار الإسلامي، 2004)، ص: 251.

(3) يشير هذا المفهوم إلى التحول الاجتماع الجذري الذي يحصل نتيجة انتزاع اشخاص أو مجموعات من بيئتهم الاجتماعية الأصلية ونقلهم إلى مكان آخر.

(4) غيلنر، مجتمع مسلم، ص: 254.

(5) عبد الهادي بوطالب، "السلفية...استشراف مستقبلي"، ضمن كتاب جماعي: "الحركة السلفية في المغرب العربي"،) الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي، جمعية المحيط الثقافية بأصيلة، دار الأمان، الرباط، (2010، ص 23.

(6) ديل أيكلمان، المعرفة والسلطة بالمغرب: صورة من حياة مثقف من البادية في القرن العشرين، (الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 2000(، ص:182.

والاستعمار، على اعتبار أن الطرقية هي علَّة التخلف الديني[1]. ويؤكد هذا الافتراض بعض الدراسات والأبحاث المنجزة في السنوات الأخيرة؛ فقد أشار عبد الحكيم أبو اللوز إلى أنه اكتشف أثناء قيامه ببحث ميداني، سنة 2004، مع التيار السلفي في مدينة مراكش، أن تراجع الزوايا الصوفية تزامن مع تصاعد التيار السلفي. فقد لعبت الدعوة السلفية في نظره دورًا مهمًّا في إضعاف الزوايا في منطقة مراكش التي كانت معروفة بكونها مدينة الألف ولي صالح[2].

وبغـضِّ النظـر عن مدى تأثير صعود السـلفية في تراجع الزوايـا الصوفية في المغرب، فإنه من المفيد عدم الخلط بين السلفية الوطنية التي ظهرت خلال بداية القرن العشرين والسلفية الوهابية التي تصاعدت بعد السبعينات من القرن الماضي. فالأولى تمتـد جذورهـا ضمن الحركة الوطنية التي لعبت دورًا في مناهضة الهيمنة السياسـية والثقافية الفرنسـية ودعت في الوقت نفسـه إلى مناهضة الجمود الديني الذي تمثله الزوايا الصوفية المقلدة. لقد لعبت السـلفية الوطنية دورًا تنويريًّا وتحرريًّا في الوقت نفسه، جعلها أقرب إلى السلفية الحداثية مع محمد عبده وجمال الدين الأفغاني أكثر من السـلفية التطهرية التي ظهرت في الحجاز[3]. وهذا يرجع إلى أن السـلفية الوطنية في المغرب كانت تؤمن بأهمية إصلاح العقل المسلم عبر فتح حرية التفكير والنقد[4] بدل التركيز فقط على تصحيح العقيدة والتطهر الشعائري الذي يميز السلفية الوهابية. فلم يُبدِ ورثة التيار السلفي الإصلاحي حرصًا خاصًّا على تبني السمة السلفية لرؤيتهم للإسـلام، وأصبحوا معروفين أكثر بتوجههم السياسي وليس من خلال الرافد السلفي الإصلاحي في أصولها الفكرية[5].

ورغم نقد عناصر السـلفية الوطنية للنظام في بعض المناسبات[6]، إلا أن الدولة

(1) نور الدين الزاهي، الزاوية والحزب: الإسلام والسياسة في المجتمع المغربي، (الدار البيضاء، إفريقيا الشرق 2003)، ص: 64.

(2) مقابلة الكاتب مع عبد الحكيم أبو اللوز، أغسطس/ آب 2010، الرباط.

(3) نافع، عبد المولى، تقية، الظاهرة السلفية، ص: 23.

(4) Mohammad Fadel, "Modernist Islamic Political Thought and the Egyptian and Tunisian Revolutions of 2011", Middle East Law and Governance, 3 (2011) p: 95.

(5) نافع، عبد المولى، تقية، الظاهرة السلفية، ص: 27.

(6) Ignace Dalle, Les Trois Rois : La Monarchie Marocaine, De L'indépendance à nos Jours, (Éditions Fayard, 2004), p : 697.

تعاملت معها بمرونة وذلك على الراجح بسبب دورها التاريخي في استقلال المغرب وبسبب ابتعادها عن الشأن الحزبي وتزكيتها للمشروعية الدينية للنظام، بالإضافة إلى تزامن ظهورها مع الاجتياح اليساري للمغرب ثقافيًّا وسياسيًّا[1]، ومن ثمة كان النظام يبحث عن حلفاء لمواجهة خصومه.

وقد شكَّل تأسيس رابطة علماء المغرب بعد الاستقلال امتدادًا -بشكل أو بآخر- للسلفية الوطنية، من خلال بعض علمائها، أمثال: عبد الله كنون والمكي الناصري والرحالي الفاروقي وغيرهم من العلماء، الذين لعبوا دورًا مهمًّا في تكريس البُعد السلفي للرابطة، رغم أنها بقيت سلفية مغربية المنشأ والهوية. فقد سعت الرابطة، حسب عبد الله كنون، إلى ,,إقامة السنَّة وإماتة البدعة" انطلاقًا من المجتمع وتجربته التاريخية وارتكازًا على هويته الدينية وهو ما جعلها أقرب إلى السلفية الإصلاحية في مصر على طريقة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده[2].

إلا أن أداء الرابطة تميز بالضعف بسبب غياب الدعم الرسمي، علاوة على كونها لم تكن تتوفر على موارد بشرية أو مالية كافية للتأطير؛ إذ كانت تعتمد أساسًا على العمل التطوعي[3]. وهذا ما يفسر فشلها في تجديد مؤسسات التعليم الدينية لتكون قادرة على مجاراة التنافس الذي باتت تفرضه المدارس العصرية، وكذلك التحولات الجارية في المجتمع[4]. وهو ما أدى إلى تجمد نشاطها منذ نهاية الثمانينات قبل أن يتم إعادة إحيائها مجددًا سنة 2004 في إطار الرابطة المحمدية للعلماء ولكن بهوية ورهانات أخرى.

---

(1) امحمد جبرون، "إشكالية الوظيفة الدينية في الدولة المعاصرة: قراءة في تجربة تأهيل الحقل الديني بالمغرب"، مكتبة الإسكندرية، (وحدة الدراسات المستقبلية، سلسلة مراصد، العدد الرابع، 2011)، ص: 17.

(2) عبد الله كنون، جولات في الفكر الإسلامي، (تطوان، مطبعة الشويخ، 1980).

(3) بن شقرون، مواقف وآراء علماء المغرب، ص: 161.

(4) Noureddine Sraïeb. "Université et société au Maghreb : la Qarawîyin de Fès et la Zaytûna de Tunis". Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°38, 1984. p : 69.

**من السلفية الوطنية إلى الوهابية**

لعب ضعف السلفية الوطنية لصالح التيار السلفي الوهابي القادم من السعودية، الذي استفاد من دعم معنوي من السلطات المغربية، ومن دعم مادي سخي من المملكة العربية السعودية. وقد مثَّل تقي الدين الهلالي الشخصية المركزية ضمن التيار السلفي الوهابي في المغرب؛ حيث نجح في تكوين قاعدة صلبة للتيار السلفي الوهابي بفضل كاريزميته ونشـــاطاته الدعوية الكثيفة. فخلال تلك الفترة، يمكن ملاحظة بداية عملية أدلجة الســـلفية الوهابية في المغرب باعتبارها نســـقًا شموليًا[1]. ونتيجة إقامته الطويلة في المشـــرق قبل رجوعه إلى المغرب في ســـبعينات القرن الماضي، واشتغاله مدرسًا في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة في الستينات من القرن الماضي، تمكَّن من بناء شـــبكة من العلاقات مع الســـلفيين خارج المغرب، لاسيما العلماء الرسميين في السعودية التي كان يزورها بشكل منتظم. فبعد تخليه عن الصوفية، سنة 1921، تحول الهلالي نحو الدعوة الســـلفية؛ فقد أعطى دروسًـــا دينية في المدينة المنورة، كما تعلم على أيدي علماء الحديث في الهند وقام أيضًا بالتدريس خلال سنوات الثلاثينات من القرن الماضي في معظم الندوات الإسلامية في شبه الجزيرة الهندية[2].

بعد وفاة تقي الدين الهلالي، ظهر صراع على الزعامة بين أتباع التيار الســـلفي نتج عنه انقســـام وظهور عدة فعاليات ســـلفية أبرزها جمعية الدعوة للقرآن والســـنَّة، التي أسسها محمد بن عبد الرحمن المغراوي، سنة 1976. فقد نجح هذا الأخير في استقطاب الجزء الأكبر من السلفيين واكتسب شهرة أكبر مقارنة مع الآخرين.

وقد اســـتفاد تيار المغراوي من دعم الوهابية الســـعودية بشـــكل كبير. ورغم أنه مـــن الصعـــب الحصول على معطيات دقيقة بخصوص حجم الدعم، إلا أن الكثير من المؤشـــرات تؤكد وجود دعم مادي ومعنوي ســـعودي قوي منذ السبعينات من القرن الماضي. فقد أخذت السعودية في استقبال المئات وربما الآلاف من الطلاب العرب في كليات الدراسات الإسلامية في الجامعات السعودية ووزعت عشرات الآلاف من الكتب المؤسِّسة للمدرسة السلفية الوهابية مجانًا وبأسعار زهيدة، بما في ذلك الأعمال

(1) Henri Lauzière, The Making of Salafism: Islamic Reform in the Twentieth Century,( Columbia University Press, 2016). P: 201.

(2) المرجع السابق، ص: 134.

الكاملة للشيخ محمد بن عبد الوهاب[1]. وقد أخبرني أحد الناشطين السلفيين سابقًا أنه وقف شخصيًّا خلال بداية التسعينات على الدعم السعودي لبعض جمعيات دور القرآن الكريم في مدينة سلا؛ حيث حصل بعضها على دعم مادي سخي لتمويل أنشطته كما تلقت هذه الجمعيات آلاف الكتب المجانية[2]. وقد أشارت تحقيقات صحفية إلى احتمال وجود دعم من طرف السفارة السعودية في الرباط لعدد من الجمعيات السلفية والمساجد[3]. فضلًا عن إرسال عشرات الطلبة المغاربة للدراسة في الجامعات السعودية لاسيما الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة التي كانت بمنزلة مؤسسة إعادة الإنتاج الأيديولوجي. فمباشرة بعد استكمال الأتباع للدراسة في دور القرآن السلفية تتاح لبعضهم فرصة الالتحاق بهذه الجامعة بفضل شهادة التزكية التي يوفرها شيخان سلفيان معروفان لدى الدوائر السعودية[4]، وهما: محمد بن عبد الرحمن المغراوي والحسن وجاج.

وبشكل عام، يمكن التمييز بين تيارين داخل السلفية الوهابية في المغرب:

التيار الأول: موال للسلطة وملتزم بمقولات ضرورة طاعة ولي الأمر ومناهض للتيارات السلفية الأخرى، ويعتبر الشيخ ماء العينين أبرز نموذج لهذا التوجه الذي يُطلَق عليه إعلاميًّا: التيار المدخلي؛ نسبة إلى مؤسسه، ربيع المدخلي -البعض يُطلِق عليه: السلفية المَلَكية، نظرًا لولائه المطلق للنظام السعودي، ولارتباطه بوزارة الداخلية السعودية-[5]. برز نفوذ ربيع المدخلي في بداية التسعينات بفضل الدعم الذي

(1) نافع، عبد المولى، تقية، الظاهرة السلفية، ص: 29.

(2) مقابلة الكاتب مع ناشط سلفي، مدينة سلا، أغسطس/ آب 2013.

(3) "كيف تتحكم السعودية في التيار السلفي في العالم العربي؟"، فرانس 24، 24 سبتمبر/ أيلول 2009، (تاريخ الدخول: 4 فبراير/ شباط 2019): https: / /www.france24.com /ar /20120924-العربية-السعودية-الرياض-السلفية-الفكر-السلفي-الوهابي-الحركات-المؤسسة-الدينية-الكويت-قطر-إسلاميين-أصولية-

(4) عبد الحكيم أبو اللوز، "دور الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة في إعادة إنتاج الأيديولوجيا الدينية لدى النشطاء السلفيين المغاربة"، المجلة العربية للعلوم السياسية، (مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 25 شتاء 2009)، ص: 40

(5) عبد العلي حامي الدين، "تحولات الطيف السلفي بالمغرب بعد الربيع العربي"، مؤسسة قرطبة بجنيف، يناير/ كانون الثاني 2013، ص: 7، (تاريخ الدخول: 4 فبراير/ شباط 2019): https: / / www.cordoue.ch /images /pdf /Papers /AWT-papers-4``01-2013.pdf

تلقاه من الحكومة السعودية، لاسيما عقب حرب الخليج الأولى بعد تلقي الحكومة السعودية انتقادات لاذعة من طرف قيادات تيار الصحوة، بعد السماح للقوات الأميركية بالدخول للسعودية؛ الأمر الذي دفع الحكومة السعودية إلى قمع الصحويين ودعم التيار المدخلي، الذي كان يدعم النظام. بالإضافة إلى الدعم الحكومي للتيار المدخلي، هناك عاملان آخران مساهمان في تنامي شعبية المدخلي لدى الشباب: أنه يستعمل الأشرطة المسموعة لنشر أفكاره، كما أنه بارع في تشويه سمعة خصومه[1]. ويستبعد بعض الباحثين أن تكون وزارة الأوقاف هي من ترعى هذا التيار في المغرب، ويُلمحون إلى قيام وزارة الداخلية بهذا الأمر[2]، وذلك لعدة أسباب: أولًا: محاولة خلق توازن إزاء الحركات الإسلامية المسيَّسة، لاسيما حزب العدالة والتنمية، لأن تيار السلفية "المدخلية" يوجه سهامه للجماعات والأحزاب الإسلامية دون غيرها، خصوصًا من يشتغل منهم بالعمل السياسي ومحاصرة جماعة العدل والإحسان، فيكون البديل هو مواجهتها بفكر أشد تطرفًا، وهو ما تقدمه السلفية المدخلية التي تركز في خطابها على صفاء العقيدة من المشوِّشات الشركية، والعبادات من الزيادات البدعية، بالإضافة إلى طاعة أولي الأمر، وعدم الخروج عليهم، أو انتقادهم علانية. ثم أخيرًا محاصرة تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي الذي يزداد نشاطه جنوب الصحراء. ومن هنا، يمكن فهم دلالة اختيار الجنوب المغربي[3] لعقد أنشطتهم الدعوية.

التيار الثاني: هو أيضًا موال للسلطة ولكنه يركز على العمل الدعوي انطلاقًا من دور القرآن والحديث التي تعمل في إطار قانون الجمعيات، ويمثل الشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي رمز هذا التيار الذي ينشط في مدينة مراكش والمدن المحيطة

(1) Jarret M. Brachman and William McCants, "Stealing Al-Qaida's Playbook", Combating Terrorism Center at West Point, February 2006. P: 14. )Accessed 15 Jan. 2018(. http://www.ctc.usma.edu/wp-content/uploads/2010/06/Stealing-Al-Qaidas-Playbook.pdf(

(2) للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، انظر: حميمنات، السياسة الدينية بالمغرب. ص: 338-356؛ حيث يورد الكاتب العديد من الأمثلة والأدلة التي تُظهر كيف أن وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الأسبق، عبد الكبير العلوي المدغري، كان غير قادر على ضبط تغلغل التيار الوهابي في المغرب.

(3) أحمد الشقيري الديني، ""السلفية المدخلية" بالمغرب: من الرعاية إلى التوظيف"، موقع هسبريس، 12 يناير/ كانون الثاني 2011، (تاريخ الدخول: 4 فبراير/ شباط 2019): (https: / /www.hespress.com /permalink /26883.html)

بها وله امتدادات في مدن أخرى.

وبشـــكل عام، ارتكزت أنشـــطة التيار الوهابي في المغرب بشـــكل أساسي على تحفيظ القرآن الكريم وتدريس العلوم الإسلامية، زيادة على تقديم الدروس والمواعظ الدينية في المســـاجد ومقرات الجمعيات[1]. وانطلاقًا من اعتقادها أن عملية الإصلاح تتم من أسفل عبر تعليم الناس العقيدة الإسلامية الصحيحة ونبذ العقائد التي تعتبرها فاسدة، فإن معظم هذه الدروس تدور حول مبدأ التوحيد وتصحيح العقيدة الإسلامية وفق النموذج الأصلي للإســـلام الذي يجسده النموذج النبوي والسلف الصالح، وهي الأجيال الثلاثة الأولى التي عاشت بعد الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم.

وانطلاقًـــا من هذه الرؤية الأيديولوجية التـــي تركز على إصلاح الأفراد كمقدمة لإصلاح المجتمع والدولة، لم يهتم التيار الســـلفي الدعوي كثيرًا بالمســـألة السياسية، واعتبرها في أحسن الأحوال أداة للتفرقة بين المسلمين أو متعارضة مع مبدأ التوحيد. فمفاهيم الديمقراطية والانتخابات والتداول الســـلمي على الســـلطة تتعارض في نظر الســـلفيين مع مبدأ أساســـي وهو مبدأ التوحيد الذي يعني ليـــس فقط القبول بتوحيد الألوهية والربوبية وإقامة الفرائض الدينية، ولكن أيضًا اعتبار التشـــريع اختصاصًا إلهيًّا حصريًّا لا ينبغي للبشر التدخل فيه، إلا من باب تنفيذ الأحكام الإلهية المنصوص عليها في الشريعة الإسلامية. ومن هنا نفهم لماذا عارض السلفيون لفترة طويلة المشاركة في الانتخابات، رغم بعض الممارســـات البراغماتية في التعامل مع المنتخبين المحليين، لاسيما عندما تقتضي المصلحة ذلك.

وعلى غرار الوهابية في الســـعودية، اعتبر السلفيون المغاربة أنه لا ينبغي منازعة الحاكم ولا انتقاده، لأنه ولي الأمر الشرعي الذي ينبغي الإذعان له في كل الأحوال، حتى وإن كان ظالمًا أو مغتصبًا للســـلطة أو لم يكن ملتزمًا بشـــكل حرفي بمقتضيات الشـــريعة الإســـلامية[2]. كما أن الســـلفيين وضعوا أيضًا التيار الشـــيعي والجماعات

(1) عبد الحكيم أبو اللوز، الحركات السلفية في المغرب (1971–2004): بحث أنثروبولوجي سوسيولوجي (مركز دراسات الوحدة العربية، 2009).

(2) حسن الأشرف، "سلفيات المغرب: نحو التقارب والانخراط في الشأن السياسي"، مركز الجزيرة للدراسات، 31 أكتوبر/ تشرين الأول 2013، (تاريخ الدخول: 21 يناير/ كانون الثاني 2018): http: / / studies.aljazeera.net /ar /reports /2013/ 10/ 20131030133241267494.html)

الإســـلامية الحركية ضمن مرماهم؛ فطالما انتقد شـــيوخ التيار السلفي[1] جماعة العدل والإحســـان واعتبروها جماعة صوفية متأثرة بالشـــيعة[2]، في إشارة إلى تأثرها بالثورة الإيرانية.

وبســـبب التقـــاء المصالح بيـــن الطرفين، لاســـيما العداء للتيارات الإســـلامية المعارضة، وبســـبب مواقفه المؤيدة للنظام، فقد غضَّت الســـلطات الطرف عن التيار الوهابي لفترة طويلة وشجعت نشاطاته لمواجهة التيارات المعارضة، لاسيما الأحزاب اليسارية وجماعة العدل والإحسان التي تلقت النصيب الأوفر من النقد. وسيعرف التيار الوهابي في منتصف التسعينات، انقسامًا جديدًا تميز ببروز ظاهرة ما عُرف إعلاميًّا بتيار السلفية الجهادية.

## ثانيًا: ولادة تيار "السلفية الجهادية"

لم تكن ولادة التيار الجهادي في المغرب، منتصف التسعينات، مجرد صدفة، بل هي مرتبطة أساسًا بديناميات داخلية وخارجية معقدة. العنصر الرئيس مرتبط بالانقسام الذي حصل داخل التيار السلفي بعد سماح المملكة العربية السعودية للقوات الأميركية بالدخول لأراضيها بعد اجتياح نظام صدام حســـين للكويت، ســـنة 1992. أيد التيار الســـلفي الأكثر هدوءًا الموقف الرســـمي الســـعودي، في حين عارض تيار آخر من الســـلفيين التدخل الأميركي واعتبر القرار السعودي قبول دخول قوات غربية للجزيرة العربية مخالفة شرعية.

أما الســـياق الداخلي لنشـــأة التيار الســـلفي الجهادي بالمغرب فيمكن فهمه من خلال عدة عناصر: أولًا: بفضل البيئة السياســـية التي ميَّزت المغرب خلال ســـنوات التســـعينات والتي تميزت بتحولات اجتماعية عميقة يقابلها عجز الدولة عن التكيف مع نتائج هذه التحولات. فعلى المســـتوى العام؛ تميزت البيئة السياســـية والاجتماعية

(1) "رد الشيخ محمد الألباني على الخرافي الخارجي عبد السلام ياسين"، (تسجيل صوتي)، شبكة سحاب السلفية، د.ت. (تاريخ الدخول: 21 يناير/ كانون الثاني 2018): https: / /www.sahab. net /forums /index.php?app=forums&module=forums&controller=topic&id=142164

(2) "المغراوي: "العدل والإحسان" جماعة مشؤومة.. والمغرب قابل للتشيُّع"، موقع هسبريس، 28 مايو/ أيار 2015، (تاريخ الدخول: 21 يناير/ كانون الثاني 2018): (/ https: / /www.hespress.com orbites /265099.html )

الداخلية بعدة خصائص أبرزها أنها كانت تعبيرًا عن تحوُّل ديمغرافي ومجالي سـريع إذ شـهدت حركة تمدين سـريعة بدون تخطيط، أدت ضمن نتائجها إلى تكدس مئات الآلاف من المواطنين على هوامش المدن الكبرى في أحياء قصديرية شـكّلت أحزمة للفقر والبؤس، وأيضًا مجالًا لانتشـار مختلف مظاهر الإجرام وانتشار المخدرات في هذه المناطق[1]. هذا السياق الاجتماعي وازاه سياق أمني اتسم بضعف الأجهزة الأمنية وعدم قدرتها على أداء وظيفتها الأساسـية في توفير الأمن، وهو ما فتح المجال أمام السلفيين لتعويض الضعف الأمني بطلب من المجموعات المحلية. وهذا مرتبط أساسًا بالمناخ السياسـي العام الذي عاشـه المغرب في السنوات الأخيرة من حياة الراحل، الحسـن الثاني، والذي تميز بحالة من الانفتاح السياسـي المراقَب بهدف التنفيس عن المجتمع والقوى السياسـية التي عاشـت حالة من القمع خلال فترات سابقة وهو ما استغله السلفيون لصالحهم عبر محاولتهم استيراد تجربة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر السـعودية. وقد تميزت تلك المرحلة أيضًا برجوع المقاتلين المغاربة من بؤر التوتر في أفغانسـتان والشيشان والبوسـنة، ومحاولة محاكاة تجارب مشابهة في دول إسـلامية أخرى مثل مصر والسـعودية في فترة السبعينات، إضافة إلى تأسيس الإمارة الإسـلامية في أفغانسـتان منتصف التسعينات التي شـكّلت نموذجًا ملهمًا لعدد من الشباب.

في تلك الفترة بدأ يبرز وعي بتفرد التيار الجهادي وتميز منهجه في التغيير عن باقي التيارات الإسلامية الأخرى، وبدأت مجموعات صغيرة في التشكل بشكل متواز من دون أن تكون لها بالضرورة علاقات تنظيمية مباشرة. وهذا الوعي برز كنتيجة لعملية التأطير التي كان يقوم بها شيوخ التيار الجهادي بالمغرب للأتباع من خلال اعتماد مبدأ التعارض مع الأطروحات الأخرى التي كانت تجسـدها الحركات الإسلامية المنافسة التيارات السلفية التقليدية، والإخوانية، والجماعات الصوفية، وكانت هذه الاستراتيجية تعتمـد علـى تفنيد الأطروحات المضادة لتأكيد صوابيـة المنهج الجهادي. ومن هنا، توجهت أسـهم النقد إلى التيارات الإسلامية الثلاثة الرئيسة: 1 العدل والإحسان، و2 حركة التوحيد والإصلاح/ العدالة والتنمية، و3 التيار السلفي التقليدي.

(1) Selma Belaala, "Misère et djihad au Maroc", Le Monde Diplomatique, Novembre 2004/ 11/. )Accessed 15 January 2018( https: / /www.monde-diplomatique.fr /2004 /BELAALA /11654

بالنسبة للعدل والإحسان، رغم أنها كانت معارضة للنظام إلا أن التيار الجهادي كان ينتقدها للأسباب التقليدية التي كان يعتمدها التيار السلفي التقليدي، أي لكون الجماعة في نظرهم متأثرة بالبُعد الصوفي ومليئة بالبدع الدينية. وقد ألَّف شيوخ التيار الجهادي كتبًا كثيرة في نقدها، لاسيما عمر الحدوشي ومحمد الفيزازي. أما حزب العدالة والتنمية وذراعه الدعوية، حركة التوحيد والإصلاح، فكانوا ينظرون إليها كحركة إخوانية، ونموذج للتغيير السياسي السلمي من داخل المؤسسات الذي كانوا يعتبرونه خيارًا مهادنًا للسلطة وغير فعال في التغيير. وكانوا يستشهدون بمسار التجربة الإسلامية في الجزائر في بداية التسعينات وفشلها بسبب إلغاء الجيش نتائج الانتخابات وتعطيله العمل بالدستور بعد نجاح الإسلاميين في انتخابات 1991. وهو ما كرَّس قناعة لدى الجهاديين بأن العنف المسلح هو الطريق الأمثل للتغيير السياسي. وأخيرًا، اعتبر التيار السلفي الجهادي منافسيه في التيار التقليدي تيارًا خاملًا يشتغل فقط على المسائل المتعلقة بالفقه والعقيدة من غير أن يكون لهم منهج واضح في التغيير في الواقع، وكانوا يصفونهم بالإرجاء[1].

## ثالثًا: جيل جديد من الشيوخ

في ظل هذه البيئة السياسية، ظهر جيل جديد من الشيوخ الذين أصبحوا معروفين لاحقًا في وسائل الإعلام بشيوخ تيار السلفية الجهادية. ورغم مجادلة بعض هؤلاء الشيوخ في هذه التسمية وتبرؤهم منها، إلا أن سلوكهم والأيديولوجيا التي كانوا يبشرون بها تتماهى مع ما يمكن تسميته بالسلفية الجهادية.

ويلخص الباحث، شيراز ماهر، مفهوم السلفية الجهادية في خمسة عناصر أساسية، هي: التوحيد، والجهاد، والتكفير، والولاء والبراء، والحاكمية[2]. وقد تشكَّل الخطاب الجهادي من خليط من الأفكار التي تضم معتقدات "مهدوية" Apocalyptic

(1) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع. الشافعي، الدار البيضاء، 15 نوفمبر/ تشرين الثاني 2015.

(2) يفصِّل شيراز ماهر في هذا المفهوم من خلال كتابه حول تاريخ فكرة السلفية الجهادية وأهم الإشكاليات التي ترتبط بها. للمزيد من التفاصيل، انظر: Shiraz Maher, Salafi-Jihadism: The History of an Idea. (New York: Oxford University Press, 2016).

beliefs[1] تركز على النهاية المأســاوية للعالم، والصراع الحتمي بين المسلمين وغير المسلمين في نهاية العالم. بالإضافة إلى تكفير الأنظمة العربية لأنها لا تحكم بالشريعة الإسلامية كما يتصورها الجهاديون. هكذا، تشكَّل الخطاب السلفي الجهادي بالمغرب بين مزيج من المعتقدات المهدوية القاضية بحتمية الصراع الديني بين المسلمين وغير المســلمين لاســيما اليهود في نهاية العالم من جهة، وبين واقع سياســي يختلف عن النموذج الإســلامي المُتصوَّر من جهة أخرى. يؤمــن الجهاديون المغاربة بالمقولات الأساسية للتيار الجهادي العالمي، مع تكييفها محليًّا. فقد كانت مقولاته مؤسَّسة على رؤية حدية ونهائية للعالم، لاسيما مقولات الولاء والبراء والحاكمية والتكفير والجهاد وغيرها. ولعبت مجموعة من الدعاة والشــيوخ، المعروفين في وسائل الإعلام بشيوخ الســلفية الجهادية دورًا في الترويج لهذه المفاهيم وتأطير الشباب في حلقات البيوت والمســاجد، وحقنهم بهذا الفكر. وقد اكتسبوا شهرة بفضل مواقفهم المساندة للجهاد العالمي و/أو دعمهم الصريح أو الضمني لأفكار القاعدة وطالبان.

يعتبر 1 محمد الفيزازي، و2 عمر الحدوشي و3 عبد الكريم الشاذلي و4 حسن الكتانــي و5 محمد رفيقي أبو حفــص، و6 زكريا الميلودي، أبرز رموز هذا التيار في المغرب، رغم أنه لم تكن تجمع بين هؤلاء الشيوخ بِنية تنظيمية موحدة، وإنما كانوا يتقاسمون أيديولوجية وهوية مشتركة مع اختلافهم في درجة التشدد. وقد ظهرت منذ البداية مؤشــرات التنافس بين هؤلاء الشــيوخ وظهرت محاولات ترسيم حدود النفوذ والمشيخة بينهم بشكل حدَّ من قدرتهم على التنظيم. من الناحية الجغرافية، نشط كل من الشيخ عبد الكريم الشاذلي والميلودي زكريا في مدينة الدار البيضاء، في حين رسخ الشيخ محمد الفيزازي وجوده في مدينة طنجة، وتصاعد نجاح الشيخ عمر الحدوشي فــي مدينة تطوان الذي أخذها منطلقًا لدعوته. في حين تجمع مجموعة من الشــباب المتحمس حول محمد رفيقي أبو حفص في مدينة فاس وحسن الكتاني في مدينة سلا. وسنحاول في الصفحات المقبلة التفصيل في مسار هؤلاء الشيوخ وتأثيرهم على مسار

(1) للمزيد حول هذا الموضوع، يمكن الاطلاع على الدراسات التالية: Wojcik, D. The End of the World As We Know It: Faith, Fatalism, and Apocalypse in America. )New York: NYU Press. 1997.(James R. Lewis, Violence and New Religious Movements, )Oxford University Press, 2011(T. Frsncis Glasson (1980). What is Apocalyptic? New Testament Studies-105, 27, pp 98.

التيار الجهادي في المغرب.

**عبد الكريم الشاذلي: من الشبيبة إلى الجهادية**

علاوة على الانقسام الذي حصل داخل التيار الوهابي وتحوُّل بعض أعضائه نحو مواقف متشدِّدة، تحوَّل عدد آخر من الأعضاء السابقين للشبيبة الإسلامية نحو الفكر الجهادي، وعلى رأسهم عبد الكريم الشاذلي الذي كان عضوًا في الشبيبة الإسلامية قبل أن ينسحب منها تكتيكيًّا بسبب اشتغاله في منصب حساس في إدارة الدفاع الوطني. وقد بقي الشاذلي محتفظًا بأفكاره الراديكالية من دون نشاط تنظيمي، قبل أن تنفتح أمامه فرصة جديدة في التسعينات مع دخول الأفكار الجهادية للمغرب ونقلها عن طريق مجموعة من السلفيين المغاربة المقيمين في أوروبا.

لقد كان الشاذلي أحد حلقات الوصل بين الناشطين الجهاديين في المغرب وأوروبا، وقد أخبرني الشيخ عبد الكريم الشاذلي نفسه، في مقابلة أجريتُها معه سنة 2015، بأنه أول من أدخل مفهوم السلفية الجهادية للمغرب[1]؛ فقد أسهم في نشر الأفكار الجهادية بفضل دخول كتابات الجهاد العالمي عن طريق مجموعة من المغاربة المقيمين في لندن تأثروا بالفكر الجهادي ونقلوا له هذه الكتب، والتي عمل على نشرها على نطاق واسع في تلك الفترة[2]. وقد انتشرت بالأساس كتب أبو قتادة الفلسطيني وأبو محمد المقدسي وأبو مصعب السوري، بالإضافة إلى كتابات منظِّري التيار الجهادي في مصر، مثل كتاب عبد السلام فرج الموسوم بـ"الفريضة الغائبة"[3].

ويعتبر بعض الجهاديين السابقين أن تأثر الشاذلي بكتابات أبو قتادة الفلسطيني كانت كبيرة، حيث اقتبس جزءًا كبيرًا منها في كتاباته الرائجة، لدرجة اتهامه من طرف بعض الجهاديين السابقين بالسرقة العلمية لكتب أبو قتادة مع تغيير طفيف في العنوان وبعض الفقرات[4].

(1) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع عبد الكريم الشاذلي، مدينة الدار البيضاء، 4 أكتوبر/ تشرين الأول 2015.

(2) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع عبد الكريم الشاذلي، مدينة الدار البيضاء، 4 أكتوبر / تشرين الأول 2015.

(3) محمد عبد السلام فرج، الجهاد: الفريضة الغائبة، د.ن. د.ت.

(4) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع م. ر. مدينة الدار البيضاء، يوم 10 أغسطس/ آب 2014.

وقد نَظَّر عبد الكريم الشاذلي لفكرة الخروج على الحكام، فهو يعتبر أن الحكام الذين لا يُحكِّمون الشـريعة خارجون على الإسـلام ومن ثمة ينبغي الخروج عليهم وقتالهم إذا كان ذلك ممكنًا. وقد دخل في جدال كلامي مع الشيخ ناصر الدين الألباني حول مشـروعية الخروج على الحكام وكذا منهجيات تغيير الواقع. ففي الوقت الذي يؤكد فيه الألباني على منهج "التصفية والتربية"[1] الذي يقتضي التزامًا ذاتيًّا من خلال التطهر الفردي من الشـرور وملء النفس بالإيمـان، إضافة إلى الالتزام الحرفي بفهم الشـريعة. إلا أن الشـاذلي يعتبر أن التصفية والتربية شـرط ضروري ولكنه غير كاف لتحقيق الخلاص، فتحقيق الخلاص في نظره يتم من خلال الجهاد؛ "ذلك لأن حب الدنيا وكراهية الموت هما سـبب ما أصاب المسـلمين من تسلط الطواغيت المرتدين يحكمونهم بغير حكم الله"[2]. ينتقد الشاذلي موقف الألباني القاضي بتحريم الخروج على الحكام في العالم الإسلامي تحت أي ظروف؛ وإن صدر منهم كفر بواح[3]، ويعتبر أن هذا القول مخالف للنصوص الشـرعية، ويقرر أن "الحاكم الذي ظهر كفره البواح فقد سـقطت إمامته ووجب على المسلمين الخروج عليه"، كما أنه "إذا عطَّل الجهادَ فقد عطَّل معلومًا بالضرورة من الدين، وجاء بناقض من نواقض الإسـلام يجب قتاله عليه"[4]. ومن هنا، يؤكد الشاذلي على ضرورة تكفير الحاكم الذي لا يحكم بالشريعة، وتكفير من لا يُكفِّره، ويسير في منهجه التكفيري إلى إخراج العلماء الذين لا يُكفِّرون الحاكم "الكافر" وذلك بالاستشهاد بكتاب "العُمدة في إعداد العُدَّة" للشيخ عبد القادر بن عبد العزيز، الذي يؤكد أن "من كان من العلماء يصد المسلمين عن الجهاد بهذه

(1) محمد أبو رمان، "الماضي في الحاضر: التصفية والتربية عند الألباني"، في كتاب جماعي: "رماح الصحائف: السلفية الألبانية وخصومها"، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، 2013، ص:81-115.

(2) عبد الكريم الشاذلي، تأسيس النظر: في رد شبه مشايخ مرجئة العصر، ط.1، (منبر التوحيد والجهاد، 1420هـ)، ص: 16.

(3) قال الشيخ الألباني في شريط (من منهج الخوارج): [ذكرنا دائمًا وأبدًا أن الخروج على الحكام ولو كانوا من المقطوع بكفرهم أن الخروج عليهم ليس مشروعًا إطلاقًا]، انظر:
"الألباني يرد على أهل الاغتيالات والتفجيرات"، شريط: من منهج الخوارج – رقم (830) من سلسلة الهدى والنور (صوتي ومفرغ)، موقع الشيخ محمد ناصر الألباني، 23 أكتوبر/ تشرين الأول 1995، (تاريخ الدخول: 16 فبراير/ شباط 2019): (https: / /www.alalbani.info /alalbany_misc_0010.php)

(4) الشاذلي، تأسيس النظر، ص: 8.

الشبهات ممالأة ونصرة للحاكم الكافر فهذا العالم لا شك في كفره، وهو مرتد خارج عن مِلَّة الإسلام، وحكمه حكم سيده الحاكم"[1]. ومن ثمة يقرر قاعدة تفيد بوجوب جهـاد "هـؤلاء الطواغيت جهاد دفع مُتعيِّن، وهو فرض يجب على كل مسـلم القيام في ذلك"[2].

**التنافس على التمويل السعودي: الشيخ محمد الفيزازي نموذجًا**

يمثـل الفيـزازي نموذجًا للتحول من الوهابية نحو السـلفية الجهادية؛ فقد كان الشـيخ محمد الفيزازي قريبًا من تيار السـلفية التقليدية في بداية التسـعينات، ولكن احتكار الشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي للدعم المادي والرمزي الموجَّه نحو الجمعيـات السـلفية التقليدية أدى إلى بروز تنافس بينهمـا، وهو ما أدى إلى اندلاع حـرب كلامية وتوجيه اتهامات بين الطرفين[3]. مع الوقت، نأى الفيزازي بنفسـه عن التيار السـلفي الوهابي وتبنى مواقف أكثر تشـددًا من السعودية. ربما يرجع ذلك إلى رغبته في اقتناص الفرصة لبناء شبكة جديدة من الأتباع وأيضًا امتياز زعامة تيار ناشئ ولا يزال يبحث عن قيادات تمنحه شرعية دينية[4].

تحوَّل الفيزازي نحو السلفية سنة 1976 بعد الاستماع لشريط صوتي للشيخ عبد الحميد كشك[5]. بعدها سيبدأ في التعلم على يد بعض الشيوخ ولاسيما والده محمد الفيزازي، وكذلك الدكتور تقي الدين الهلالي وأبو بكر جابر الجزائري والقاضي الزبير -فـي الـدار البيضاء- ومحمد الجباري[6]. وهي الفترة التي بـدأ فيها بإلقاء الدروس والوعظ في بعض المسـاجد والأندية والبيوت، قبل أن يصبح خطيبًا رسـميًّا بمدينة طنجة في بداية التسـعينات؛ حيث لم تكن خطبه تختلف عن المضامين التي تقدمها

(1) عبد القادر عبد العزيز، العمدة في إعداد العدة، د.ت. د.ن. ص: 288. وقد نقلها عبد الكريم الشاذلي في كتابه تأسيس النظر، ص: 26.

(2) المرجع نفسه، ص: 30.

(3) محمد الفيزازي، عملاء لا علماء، موقع اليوتيوب، (تاريخ الدخول: 16 فبراير/ شباط 2019)، الرابط: (https: / /www.youtube.com /playlist?list=PLE59436AE735A8F19)

(4) مقابلة الكاتب مع ناشط سلفي سابق، تطوان، يونيو/ حزيران 2014.

(5) "حوار محمد الفيزازي"، جريدة المساء، الجزء الأول، 28 يوليو/ تموز 2011، (تاريخ الدخول: 15 فبراير/ شباط 2019): https: / /www.maghress.com /almassae /136969

(6) المرجع السابق.

الســلفية التقليدية. بعد حرب الخليج الثانية في بداية التسعينات، سيتحول نحو الفكر الســلفي الجهادي، وانطلاقًا من تلك الفترة ســيُلاحَظ تغير في المواضيع التي يتطرق إليها في خطبه الدينية.

تتفــق أيديولوجية الفيــزازي مع الإطار العام للتيار الجهادي، والمؤسَّــس على مجموعــة مــن المقولات، أبرزهــا تبني مبدأ التكفيــر والحاكميــة والجهاد وتحريم الديمقراطيــة وغيرهــا إلا أنه يختلف عن التيار الجهادي الراديكالي في فروقات دقيقة على مستوى حجم ونطاق استعمال هذه المفاهيم وكذا طريقة تنزيلها في الواقع. وقد كتب الفيزازي عشرات الكتب والمقالات الصحفية التي تركزت أساسًا على الرد على مخالفيــه والأفــكار التي يؤمنون بها. وتجدر الإشــارة إلى أن الفيزازي لم يكن منظِّرًا للتيار الجهادي، بل كان يعيد صياغة أفكار التيار الجهادي العالمي للرد على خصوم التيــار، ومــن هنا يمكن وصفه بكونه منظِّــرًا من الدرجة الثانية، أي إنه لم ينتج نظرية في العمل الجهادي، بل فقط أعاد صياغة بعض مقولات التيار الجهادي العالمي، مثل الحاكمية وتكفير الديمقراطية، علاوة على تأييده الضمني لفكر القاعدة.

رغــم أنه لم يكــن منظِّرًا، إلا أنه كان خطيبًا مفوهًا؛ فقد كانت خطبه الدينية في مساجد طنجة تلهب حماس المئات من المتدينين الشباب، والتي كان يحضرها شباب ســلفيون من مدن مغربية مختلفة. لقد كان الفيزازي مشــهورًا بشكل كبير في أوساط التيار السلفي بالمغرب منذ بداية التسعينات[1] وكان يتمتع أيضًا بسمعة طيبة في وسط حي دشار بنديبان بمدينة طنجة، التي كان يقطن بها رفقة زوجتيه و11 من أبنائه، بكونه متواضعًا ومســتعدًّا لمساعدة المحتاجين، وكان يتمتع أيضًا بكاريزمية الداعية المدافع عن القضايا الأساسية للمسلمين[2].

وقد تجاوزت شهرته الحدود الجغرافية للمغرب وأصبح له حضور على الصعيد العالمي بسبب عنصرين: أولًا: بفضل خرجاته الإعلامية على قنوات فضائية عربية التي شــارك فيها عدة مرات[3] قبل أن تمنعه الســلطات من السفر وتحرمه من جواز السفر

(1) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع أحد تلاميذ الفيزازي، طنجة، 25 ديسمبر/ كانون الأول 2012.

(2) Alison Pargeter, The New Frontiers of Jihad: Radical Islam in Europe,) London: I. B. Tauris, 2008(. P :118.

(3) انظر مثلًا: مشاركة الشيخ محمد الفيزازي ببرنامج الاتجاه المعاكس بـموقع اليوتيوب، (تاريخ الدخول: 4 فبراير/ شباط 2019): (https: / /www.youtube.com /watch?v=pf5a4pjcXb0)

نهاية سنة 2001. وثانيًا: بسبب دروسه التي كان يقدمها للجالية الإسلامية في أوروبا، خصوصًا أنه نظَّم زيارة خلال صيف 2000 إلى مساجد سلفية في عدة مدن أوروبية ألقى فيها سلسلة من الدروس الدينية[1] بعد أن كان ممنوعًا من الخطابة في المساجد بالمغرب نهاية 2001.

سيوضع الفيزازي مرة أخرى تحت أضواء الإعلام العالمي بعد أحداث 11 سبتمبر/ أيلول 2001، بعد ربطه بملف التفجيرات، من خلال علاقاته المفترضة مع بعض منفذي تفجيرات البرج العالمي محمد عطا ورمزي بن الشيبة الذين كانوا يحضرون دروسه في مسجد القدس بمدينة هامبورج بألمانيا[2]. في الحقيقة، لا يُعلم على وجه التحديد ما هي طبيعة العلاقة التي كانت تربطه بهؤلاء الأشخاص: هل هي تنظيمية أو فكرية؟ فقد كان يقضي العطل عند ابنته المقيمة في تلك المدينة، وكان هذا المسجد معروفًا باتجاهه السلفي المتشدد، وليس معروفًا لحدود الساعة طبيعة علاقته بالتيار الجهادي في أوروبا وما إذا كانت له علاقة مباشرة بأحداث 11 سبتمبر/ أيلول 2001.

**عمر الحدوشي: المزج بين السلفية التقليدية والجهادية**

يمثل عمر الحدوشي أيضًا نموذجًا للمزج/ الخلط بين السلفية التقليدية والسلفية الجهادية؛ فقد بدأ الحدوشي مساره التعليمي ضمن مدارس التعليم العتيق، حيث لم يتوجه إلى المدارس العمومية للدراسة، واكتفى بالدراسة على أيدي الفقهاء وشيوخ العلوم الدينية والشرعية. حصل في سنة 1989 على شهادة مكَّنته من الاشتغال كخطيب وواعظ في المساجد. وبسبب خطبه تعرض للاعتقال والاستنطاق من طرف السلطات المغربية عدة مرات، إلى أن مُنع من الخطابة، حيث سافر بعدها إلى العربية السعودية من أجل أداء الحج والتمدرس على يد بعض شيوخها، لاسيما الشيخ عبد العزيز بن باز وابن العثيمين، وأبي بكر الجزائري، وحضر لربيع المدخلي، وغيرهم. وقد عاد

(1) "الفيزازي يتراجع عن الفكر التكفيري للسلفية الجهادية"، موقع هسبريس، 29 أكتوبر/ تشرين الأول 2009، (تاريخ الدخول: 4 فبراير/ شباط2019): https: / /www.hespress.com / politique /16214.html

(2) Pargeter, The New Frontiers of Jihad. p: 118.

للمغرب وباشر بتدريس عدد من طلبته، فضلًا عن ممارسة الوعظ والدعوة[1].

وقد بنى الحدوشي سمعته العلمية في المرحلة الأولى من مساره الدعوي بفضل قربه من الشيخ محمد الأمين بوخبزة، مؤسس معهد الإمام أبي القاسم الشاطبي بتطوان. والمثير أن معهد الشاطبي هو مدرسة لتحفيظ القرآن وتدريس علومه مما يجعله أقرب لنموذج السلفية التقليدية، كما أن الشيخ بوخبزة لم يكن معروفًا بميوله نحو السلفية الجهادية بشكل واضح، رغم أنه وقَّع على بيان كتبه الشيخ حسن الكتاني يبرر فيها تفجيرات 11 سبتمبر/ أيلول 2001 وينتقد موقف الحكومة المغربية المتعاطف مع أميركا[2].

وعلى غرار الفيزازي، انتقد الحدوشي جماعة العدل والإحسان بقسوة وأَلَّف حولها عدة كتب، أبرزها: "الجهل والإجرام في حزب العدل والإحسان"، و"الجياد الصافنات في نسف الخرافات، الأستاذ عبد السلام ياسين نموذجًا" التي كتب مقدمتها الشيخ محمد بوخبزة. وقد لقي الكتاب رواجًا واسعًا بين عناصر التيار السلفي عمومًا، فضلًا عن الاهتمام الدال الذي حظي به في شبكة الإنترنت؛ حيث قام موقع "التوحيد والجهاد"، بإعادة نشره. يقع كتاب "حوار هادئ مع عبد السلام ياسين" في أكثر من 500 صفحة، شملت ردودًا متنوعة على كتب الشيخ عبد السلام ياسين، حرص فيها الحدوشي على الوقوف عند العديد مما اعتبره زلّات في عقيدة عبد السلام ياسين، خاصة موقفه من بعض الزعامات الصوفية التاريخية، مثل: ابن عربي والحلاج والدباغي وأحمد التيجاني وغيرهم، وأيضًا موقف عبد السلام ياسين من بعض الصحابة كأبي سفيان وابنه معاوية[3]. وحرَّم الحدوشي النظر في كتب عبد السلام ياسين لأنها في نظره "ملغومة، لا يؤمَنُ شرُّها، فهو يأتي ببعض الحجج الواهية التي تؤدي به والقارئ إلى الهاوية، فعلى المسلم أن يتجنب قراءة كتبه لأنها ليست مأمونة، وعلى العلماء أن

(1) "السيرة الذاتية لعمر الحدوشي"، الموقع الإلكتروني لعمر الحدوشي، د.ت. (تاريخ الدخول: 4 فبراير/ شباط 2019): http: / /alhadouchi.blogspot.com /p /tarjama.html

(2) "فتوى علماء المغرب حول دخول المغرب ودول العالم الإسلامي في الحلف الذي دعت إليه أميركا ضد الإرهاب"، موقع الشيخ حسن الكتاني، د.ت. (تاريخ الدخول: 15 يونيو/ حزيران 2014): http: / /www.hassankettani.info /fatwa.php

(3) عمر الحدوشي، حوار هادئ مع الأستاذ عبد السلام ياسين، تقديم ومراجعة الشيخ محمد بوخبزة، رسائل توجيهية للشباب في فقه الواقع، منبر التوحيد والجهاد، (الطبعة الأولى، 2002)، (تاريخ الدخول: 16 فبراير/ شباط 2019): https: / /archive.org /details /ACalmConversationS

يحذروا من كتبه في خطبهم ودروسهم ومحاضراتهم ومواعظهم"[1].

**محمد رفيقي أبو حفص: الجهادي لايت**

أمـــا فـــي مدينة الدار البيضـــاء وفاس، فقد لمع نجم محمـــد رفيقي الملقب أبو حفص الذي تأثر بوالده، الشيخ أحمد رفيقي الملقب أبو حذيفة المغربي، في مختلف التحولات الفكرية والسياســـية التي مرَّ منها والـــده[2]. مرَّ رفيقي بتجربة قصيرة ضمن التيار الســـلفي التقليدي، بفضل شبكة العلاقات الاجتماعية التي كان يمتلكها أبوه مع رموز التيار الســـلفي في المغرب، لاسيما مع الشيخ تقي الدين الهلالي[3]، وتأثر أيضًا بالفكر الإخواني في مصر، لاسيما بعد الزيارة التي قام بها رفقة والده لمصر في بداية الثمانينات والتقيا ضمنها بالمرشـــد العام للإخوان المســـلمين آنذاك، عمر التلمساني، والتقيـــا أيضًا مع الداعية المعروف، عبد الحميد كشـــك، وتمكنا من الحضور لثلاث خطب جمعة له[4].

في بداية التسعينات، سافر محمد رفيقي إلى معسكرات المجاهدين في أفغانستان لمرتيـــن؛ كانـــت الزيارة الأولى بتخطيط والده حيث هيَّأ لـــه والده الترتيبات المتعلقة بالسفر[5]، أما الثانية فكانت من تخطيط رفيقي نفسه بهدف البحث عن أبيه الذي انقطع أثره لعدة أشهر[6]. وقد برزت الإرهاصات الأولى للتحول نحو التشدد في الزيارة التي قام بها للولايات المتحدة بداية التسعينات؛ حيث بدأ ينظر للولايات المتحدة باعتبارها

(1) المرجع السابق، ص: 67.

(2) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع محمد رفيقي، مدينة فاس، 1 ديسمبر/ كانون الأول 2012.

(3) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع محمد رفيقي، الدار البيضاء 14 أغسطس/ آب 2015.

(4) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع محمد رفيقي (أبو حفص) بمدينة الدار البيضاء، يوم 18 أغسطس/ آب 2013.

(5) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع محمد رفيقي، الدار البيضاء، 20 مارس/ آذار 2013.

(6) مكث رفيقي حوالي شهر في الحدود الباكستانية-الأفغانية في مدينة بيشاور في "بيت الأنصار"، ثم بعد ذلك تقدم إلى "الجبهة" (خُوست)، وهي معسكرات القتال في الصفوف الأولى التي كان يجري فيها القتال ضد الاحتلال السوفيتي، وزار معسكر صدى والخلدان وغيرها. وقد تم تقديمه في تلك الفترة رغم صغر سنِّه (حوالي 16 سنة) لإمامة الصلاة بالمقاتلين، كما أنه أتيحت له فرص لإلقاء مواعظ ودروس دينية في صفوف المجاهدين الأفغان من أجل تحفيزهم على الصمود والثبات على الثغور وتذكيرهم بأهمية الجهاد ودوره في نصرة الإسلام. (مقابلة الكاتب مع محمد رفيقي).

مجتمعًا كافرًا وجاهليًّا، وأيضًا باعتبارها دولة محاربة للإسلام. وقد ترتب على هذه النظرة تبرير عدد من السلوكيات من زاوية أن الولايات المتحدة هي في حرب مع المسلمين، وبالتالي كان يجوِّز سرقة أموالها في إطار ما يُسمى بالفيء، أي الغنائم التي يتم سلبها من العدو أثناء الحرب[1].

وفي منتصف التسعينات، توجه للدراسة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة التي كانت بمنزلة نقطة تحول أخرى في مساره؛ فقد تلقى معالم المنهج السلفي وأصوله بأبجدياته وتفاصيله وأصيب بما سماه بالانبهار والإحساس بالجهل، وبفضل النقاشات اللاهوتية المنتشرة في صفوف الطلبة عمَّق معرفته السلفية لكي يصل إلى درجة أن يُلقَّب بـ"طالب علم"[2]. وقد تأثر خلال إقامته بالسعودية بالتيار السلفي التقليدي، وبشكل أخص بالتيار المدخلي[3].

وبعد فشله في الالتحاق بسلك الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عاد محمد رفيقي إلى المغرب محمَّلًا بتجربة منحته مشروعية دينية بين أبناء التيار السلفي. وبسبب صراعه مع أتباع التيار المدخلي قاطعه أبناء التيار السلفي التقليدي عمومًا. ومن هنا، فقد كان أغلب زبائنه من التيار السلفي الجهادي والتيار التكفيري، وجزء قليل من أبناء الحركات الإسلامية مثل بعض أبناء حركة التوحيد والإصلاح، بالإضافة إلى متدينين عاديين، إلا أنهم يدخلون ضمن الدائرة الثانية من الزبائن، أي دائرة المتعاطفين، في حين أن الدائرة الأولى أو النواة الصلبة، والتي تمثل دائرة الأتباع، تشكَّلت أساسًا ضمن التيار الجهادي وجزء من التيار التكفيري.

نشط أبو حفص في مجال الوعظ الديني بشكل مداوم، حيث كان يلقي دروسًا مكثفة بشكل يومي تقريبًا في عدد من الجمعيات الموجودة في المنطقة وكان أيضًا خطيبًا بمسجد دوار البخاري الموجود في حي شعبي بمدينة فاس[4]. وقد لاقت دروسه

(1) المرجع السابق.

(2) محمد رفيقي أبو حفص، "سلسلة مراجعات لا تراجعات"، جريدة أخبار اليوم، يوليو/ تموز 2015، (تاريخ الدخول: 4 فبراير/ شباط 2019): http: / /m.alyaoum24.com /328609.html

(3) يعتبر أبو حفص أنه وجد نفسه مجبرًا على الولاء للمدخلي بسبب ما يسميه حالة "الإرهاب الفكري الممارَس عليه من طرف أتباع هذا التيار، ولأن موالاته في ذلك الوقت شرط أساسي لتحصل على ختم السلفية وتستحق الرضا والعطف المولوي من سدنة المنهج". نفس المرجع السابق.

(4) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع م. ر. مدينة فاس، 10 مارس/ آذار 2014.

إقبالًا كبيرًا في تلك المناطق، وهذا ما يعتبرهُ أحد أسباب المشاكل التي حصلت له مع السلطة "لم يكن يرقها هذا الأمر"، حسب ظنه[1]. وقد كانت هذه الدروس تدور حول مسائل العقيدة والفقه والسيرة النبوية، وهي نفس القضايا التي كانت تشغل التيار السلفي التقليدي آنذاك. تفادت هذه الخطب -ما أمكن- الخوض في مسائل سياسية، إلا باستثناءات محدودة، مثل الخطبة الشهيرة "عذرًا فلسطين" التي تفاعل فيها أبو حفص مع الانتفاضة الفلسطينية الثانية واعتبر الحكام العرب مقصرين بشدة في نصرة فلسطين.

ولتكوين سمعة داخل التيار السلفي-الجهادي في فاس، استفاد أبو حفص من ثلاثة عناصر: أولًا: طريقة تقليد المشايخ المشرقيين؛ فقد كان يلقي الدروس بلغة عربية فصيحة بلكنة "مشرقية"، بفضل دراسته في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، مما جعل اسمه متداولًا بين الناس. العامل الثاني الذي أسهم في شهرته، يرجع إلى والده الذي كان مشهورًا آنذاك في الأوساط السلفية " لقد كان لي رأسمال اجتماعي كبير ساعدني كثيرًا للوصول إلى تلك السمعة التي حصلت عليها. لقد حصلت دينامية كبيرة في فاس بسبب الدروس التي كنت ألقيها هناك"[2]. هناك عامل آخر أسهم بشكل غير مباشر في الإقبال على تلك الدروس، حسب أبو حفص، وهو غياب الخوض في القضايا السياسية المباشرة، وهو ما دفع العديد من الناس من مختلف المرجعيات بمن فيهم السلفيون التقليديون إلى حضور لتلك الدروس[3].

**حسن الكتاني: بين الإرث الصوفي والفكر الجهادي**

كان محمد رفيقي صديقًا للشيخ حسن الكتاني، وشكَّلا ثنائيًّا لمرحلة مهمة في مسارهما داخل التيار الجهادي. ولكن مع ذلك، يُمثِّل حسن الكتاني نموذجًا خاصًّا ضمن التيار السلفي عمومًا والتيار السلفي الجهادي على وجه التحديد. فرغم أنه يصنَّف إعلاميًّا وسياسيًّا ضمن شيوخ السلفية الجهادية، إلا أن مساره يتضمن ممارسات تظهر من الوهلة أنها متناقضة. فهو يمزج بين التدين الصوفي الذي ورثه عن أسرته

(1) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع محمد رفيقي أبو حفص، يوم 9 أغسطس/ آب 2013، بمدينة الدار البيضاء.

(2) نفس المرجع السابق.

(3) نفس المرجع السابق.

التي تنتمي إلى الزاوية الكتانية، بالإضافة إلى تأثره بالأيديولوجية السلفية وببعض معالم الفكر الإخواني بسبب دراسته وإقامته في المشرق، خصوصًا بالأردن والسعودية.

إن تأثر الكتاني بأسرته الصوفية جرَّ عليه الكثير من الانتقادات من طرف السلفيين؛ فالعديد منهم ينظر إلى سلفيته بالكثير من التوجس ويعتبره هؤلاء بأنه صوفي متخفٍّ في رداء سلفي، وقد خلق له هذا الأمر مشاكل من داخل التيار السلفي التقليدي والجهادي على حدٍّ سواء. فبسبب تأثر حسن الكتاني بتاريخ أسرته الصوفي عمل على نشر تراث أسرته الصوفي داخل السجن مثل كتاب "سلوة الأنفاس[1]" لمحمد بن جعفر الكتاني، أحد العلماء الكتانيين. وقد أثار استعمال هذه الكتب انتقادات من طرف عدد من المعتقلين السلفيين بسبب ما يحتويه الكتاب من مضامين صوفية، ينظر إليها السلفيون بكثير من التحفظ. هذا علاوة على إشادة حسن الكتاني بعدد من العلماء المحسوبين على الصوفية وإصراره على استعمال مصطلح "الشريف" في تعريف نفسه كجزء من الرأسمال الاجتماعي والرمزي الذي يمنحه مكانة متميزة داخل المجتمع. بالإضافة إلى ذلك يستعمل الكتاني "السِّبْحة" في الذكر، والسبحة هي أداة تستعمل للمساعدة على حساب الأذكار التي يقوم بها المسلم، وهي عادة صوفية. وقد جرَّت أيضًا عليه انتقادات من طرف السلفيين[2].

بعد الانتهاء من الدراسات الثانوية في المملكة العربية السعودية[3]، رجع الكتاني إلى المغرب لإتمام الدراسات العليا، فدرس بمدينة الرباط في المعهد العالي العالمي علومَ الإدارة والاقتصاد باللغة الإنجليزية إلى أن نال شهادة الإجازة سنة 1996. لم تكن أجواء المعهد ولا نمط التدريس المعتمد متناسبًا مع توجهات الشيخ المحافظة، وبعدها قرر الشيخ، حسن الكتاني، السفر إلى المملكة الأردنية، بغرض تعميق معرفته في العلوم الشرعية والدينية، حيث استقر في العاصمة، عمَّان، وسجَّل بجامعة آل

(1) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع عبد الفتاح الحيداوي مدينة الرباط، 1 نوفمبر/ تشرين الثاني 2014.

(2) نفس المرجع السابق.

(3) عاش الكتاني جزءًا من طفولته في المملكة العربية السعودية التي كان يعمل فيها والده، علي بن المنتصر الكتاني، أستاذًا جامعيًّا ثم بعد ذلك في مدينة جدة وفيها أكمل تعليمه الثانوي بمدرسة منارة جدة الأهلية، إلى أن نال الشهادة الثانوية، سنة 1989، التي كان يديرها مجموعة من الأساتذة المحسوبين على جماعة الإخوان المسلمين، وغالبية هؤلاء الأساتذة لجؤوا للسعودية هروبًا من بطش الناصرية، وأيضًا بسبب رغبة السعودية في التحديث المؤسساتي التي بدا أن أعضاء الإخوان المسلمين الذين كان العديد منهم من خريجي الجامعات هم المرشحون المثاليون لهذه المناصب.

البيت بمدينة المفرق قرب الحدود السورية، والتي حصل منها على شهادة الماجستير في الفقه والأصول، وكانت رسالته فيها عن "فقه الحافظ أحمد بن الصديق الغماري: دراسة مقارنة" والتي نشرها في دار نشر سلفية موجودة في لبنان تسمى بدار الكتب العلمية[1].

عاد الكتاني سنة 2000 إلى المغرب، حيث حصل هناك على رخصة من المجلس العلمي المحلي بالرباط للوعظ الإرشاد، حيث استغل رخصته بالتدريس والوعظ في مسجدي مكة بحي الواد بمدينة سلا والضياء بحي النهضة بمدينة الرباط[2]. وقد شكّل حي الواد بؤرة للتيار السلفي الجهادي بالمغرب. كما شكّل هذا الحي قاعدة خلفية للسلفيين، حيث نشط فيه العديد من رموز التيار السلفي الجهادي لاسيما الشيخ محمد الفيزازي، وعمر الحدوشي وحسن الكتاني وانتشر فيه التيار السلفي بفعل الأنشطة التي كان يقوم بها السلفيون في تلك المنطقة. ويعتبر حي الواد بمدينة سلا من الأحياء الهامشية بشرق هذه المدينة المتاخمة للعاصمة المغربية الرباط. وقد عُرف في السابق باسم "الواد الخانز" أي الكريه. ويتعلق الأمر هنا بضاحية تمثل كل إشارات التهميش، سواء المجالية أو الاجتماعية، خصوصا في دائرة العيايدة[3] التي تضم حي الواد.

وبسبب غياب الأمن والسلطات المحلية في تلك المنطقة وجد السلفيون في حي الواد بيئة خصبة لتأطير المجتمع المحلي من خلال الخطب في المساجد والدروس في البيوت وغيرها. بقي الكتاني نشيطًا في الدعوة بتلك المنطقة وعدد من المدن المغربية الأخرى خلال سنتي 2000 و2001، واكتسب شهرة في صفوف التيار الجهادي بفضل

(1) انظر: حسن الكتاني، "فقه الحافظ أحمد بن الصديق الغماري: دراسة مقارنة"، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2000).

(2) السيرة الذاتية للشيخ حسن الكتاني، موقع الشيخ حسن الكتاني: (http://www.hassankettani.info/cv.php) (تاريخ الدخول: 15 يناير/ كانون الثاني 2015).

(3) من الناحية الإدارية، ورغم أنه كان متاخمًا لمدينة سلا ويضم أكثر من 100 ألف نسمة، إلا أن حي الواد كان يُصنَّف ضمن المجال القروي، حيث كان خاضعًا لسلطة الدرك الملكي، وليس الشرطة إلى حدود سنة 2006، ثم بعد ذلك تم إلحاقه بدائرة العيايدة بسلا. وقد عرفت تلك المنطقة حركة ديمغرافية سريعة مقارنة مع باقي المناطق في المغرب. للمزيد من التفاصيل حول الموضوع، انظر:
Mounir Yahyaoui, " Action publique d"aménagement et processus de territorialisation dans la périphérie Nord-Est de Salé (Maroc) ", Les Cahiers d"EMAM, 2009, mis en ligne le 10 février 2012, consulté le 10 juillet 2015. : http://emam.revues.org/256

مشاركاته في المحاضرات والمناظرات التي يشارك فيها سلفيون وجهاديون.

بقي الكتاني نشيطًا في إلقاء الدروس الدينية إلى غاية مرحلة 11 سبتمبر/ أيلول 2001، حيث ستعرف علاقته بالسلطات توترًا منذ ذلك الحين. فقد تم توقيفه من الخطابة في المساجد في تلك الفترة وسُحبت منه الرخصة بسبب إصداره "فتوى علماء المغرب حول دخول المغرب ودول العالم الإسلامي في الحلف الذي دعت إليه أميركا ضد الإرهاب"، والتي تعتبر أول المواقف المثيرة للجدل بعد أحداث 11 سبتمبر/ أيلول 2001.

بالرغم من أنه كان يُصنَّف ضمن شيوخ التيار السلفي الجهادي، إلا أنه لم يكن مقاطعًا للعملية السياسية برمتها، وكان متمايزًا عن رموز التيار الجهادي التي تُكفِّر العمل السياسي والمشاركة في البرلمانات. يظهر هذا من خلال مواقفه التي لم تكن ترفض المشاركة السياسية المباشرة؛ فرغم تحفظه على مبدأ الانتخابات انطلاقًا من اعتبارات أيديولوجية، إلا أنه على المستوى السلوكي لم يكن كذلك. يظهر هذا التوتر بين المبدأ والسلوك لدى الكتاني في محطتين أساسيتين: الأولى كانت سنة 2002 في مؤتمر حزب الأمة الذي انعقد بمقر جمعية نادي الفكر الإسلامي التي يرأسها إدريس الكتاني عم حسن الكتاني. وقد كان حسن الكتاني مُؤتمِرًا وكذلك عضوًا في اللجنة التحضيرية للمؤتمر حيث كلَّفه محمد المرواني بإعداد ورقة الديمقراطية والمشاركة السياسية لحزب الأمة[1]. الثانية: تجلَّت في دعم الكتاني للتصويت على حزب العدالة والتنمية، خلال الانتخابات التشريعية لسنة 2002. حيث كشف محمد رفيقي أبو حفص أن حسن الكتاني هو أول من أقنعه بالمشاركة السياسية، سنة 2002، وكان من بين الأمور التي اقترحها عليه التصويت على حزب العدالة والتنمية[2].

(1) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع.ح. عضو حزب الأمة آنذاك وناشط حقوقي. مدينة الرباط، 20 أغسطس/ آب 2014.

(2) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع محمد عبد الوهاب رفيقي، الرباط، يوم 20 مايو/ أيار 2015.

# الفصل الثالث
# تطرف الهوامش

بتوازٍ مع تطور الخطاب السلفي الجهادي بالمغرب منذ منتصف التسعينات، بدأت تتشـكل أنوية سلفية "مُحتَسِـبَة" على هوامش وتخوم الحواضر المغربية الكبرى مثل الدار البيضاء وفاس وسلا، واضطلعت بوظيفة "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" وممارسـة التعزيـر في المناطق الهامشـية التي كانت تتميز بغيـاب الدولة والمجتمع المدني، وسـعت إلى ملء هذا الفراغ المؤسسـاتي والأمني عبر العمل على استتباب الأمـن ومكافحـة الجرائم المختلفة[1] وشـكَّلت بديلًا عمليًّا لغيـاب الدولة في هذه المناطق المهمشة. وقد كانت هذه التعبيرات المتطرفة في الحقيقة تتميز بالطابع المحلي وأيضًا بتركيزها على العنف المحدود بوسـائل تقليدية، وكانت محكومة بأيديولوجية هجينة تمزج بين الأفكار السـلفية الدعوية مع بعض السلوكات المرتبطة بمبدأ "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[2]. وقد شكَّل هذا النوع من السلوكات، البدايات الأولى لبروز التيار السلفي الجهادي، الذي لم يجد وقتًا كافيًا للبروز والتنظيم بسبب الضغط الأمني الذي مورس عليه بعد 2003[3]. كانت هذه المجموعات تشـتغل بشكل متوازٍ

(1) مثل تجارة المخدرات والدعارة والاعتداء على الممتلكات الخاصة وغيرها.

(2) في هذا السياق يمكن رصد على الأقل سبعة مجموعات مرتبطة بما يمكن وصفه بـ "سلفية-جهادية الهوامش"، وهي كالتالي: مجموعة يوسف فكري المعروف بـ "أمير الدم"، وخلية محمد دمير، ومجموعة ميلودي زكريا المعروفة بجماعة "الصراط المستقيم"، ومجموعة بن داوود الخملي المعروفة بتيار "الهجرة والتكفير"، ومجموعة الرباع التي حاولت الاستيلاء على مخزن للأسلحة، وظاهرة الوداديات في فاس، هذا بالإضافة إلى مجموعات مستقلة وغير مهيكلة كان يؤطرها شيوخ السلفية الجهادية المعروفين ولكن لم تكن مُنظَّمة في إطار مؤسساتي.

(3) تُعتبر كل من حالات "الوداديات السكنية" بمدينة فاس، ومجموعات الهجرة والتكفير نماذج للطريقة التي تشكلت بها هذا النوع من المجموعات المتطرفة المحلية. ففي الوقت الذي ربط سلفيو الوداديات السكنية علاقة وطيدة مع الساكنة المحلية، وحصلت من ثمة على "مشروعية" عملية من خلال تأمين المناطق التي كانت تحرسها، لكونها لم تنشأ في صراع مع الساكنة المحلية، على عكس حالة يوسف فكري وميلودي زكريا، النموذج المضاد، أي المجموعة المتطرفة التي تشتغل على هامش المجتمع،

بدون أن تجمعها علاقة تنظيمية، ورغم بعض المحاولات للتلاقي والتعاون في بداية 2000، إلا أنه سرعان ما باءت تلك المحاولات بالفشل وعاد جلُّها لوضعيته السابقة، أي الاشتغال باستقلال عن بعضها البعض.

وسيحاول هذا الفصل دراسة حالتين للجهادية المحلية، أي ظاهرة الوداديات السكنية في مدينة فاس، ثم ظاهرة الهجرة والتكفير.

## أولًا: راديكالية القرب

في نهاية التسعينات، عرفت هوامش مدينة فاس أنشطة "الحسبة" أو ما كان يُعرف في تلك الفترة بظاهرة "الوداديات السكنية"، وهي مبادرات مدنية نشأت في البداية باعتبارها جمعيات محلية وظَّفها السكان المحليون للقيام بحراسة الأحياء والحفاظ على الأمن في التجمعات السكنية وأيضًا لمكافحة الجريمة وتجارة المخدرات والدعارة وغيرها. وقد أخبرني بعض السلفيين الذين عايشوا تلك التجربة بأن الوداديات كانت في وضع قانوني سليم وكان مُرخَّصًا لها من طرف السلطات، بل قد لاقت هذه التجربة في البداية دعمًا من السلطات المحلية حيث كانت تعمل بتنسيق وتحت أعين الأجهزة الأمنية[1]. والحقيقة أن السلطات غضَّت الطرف عن هذه المجموعات ما دام أعضاؤها يشتغلون في نطاق القانون ويقومون باستتباب الأمن في المناطق المهمشة التي لم تتمكن الدولة من بسط سيطرتها عليها بالكامل.

وقد ظهرت الوداديات أولًا في تخوم الأحياء الهامشية في مدينة فاس خصوصًا بحي عوينة الحجاج والنواحي المجاورة له، وقد أُنشئت من طرف الساكنة المحلية وأغلبهم من المدرسين والموظفين البسطاء على شكل جمعيات للأحياء السكنية بهدف توفير بعض الخدمات داخل الحي مثل زراعة الأشجار وتنظيف الشوارع وحراسة البنايات. وحسب بعض السلفيين الذين عايشوا تلك التجربة، فإن دخول السلفيين لهذه الأحياء كان لاحقًا لإنشاء الوداديات، وتم عبر إدماج بعض الملتحين ضمن الحراس في هذه الوداديات نظرًا للسمعة الطيبة ورباطة الجأش التي اكتسبها هؤلاء لدى الساكنة

و"ضده"، وبالتالي لم تتمكن من الحصول على سند شعبي لأنشطتها وبقيت تشتغل كطائفة مغلقة بفضل عقليتها الإقصائية.

(1) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع م.ر. مدينة فاس، 10 مارس/ آذار 2014.

المحلية[1]. فقد كانت تربط الوداديات علاقات تعاون مع الساكنة المحلية، بحيث يعتبر أحد السلفيين الذين عايشوا هذه التجربة أن هذا "العمل لقي في البداية ترحيبًا من السكان، وكانت ألفاظ الشكر لا تنتهي صباحًا ومساء، وأصبحت الشكايات التي تتعلق بالسرقة وقطع الطريق تنهال على الملتحين عوض "المخزن" [السلطات] وكانت جل القضايا تُحَلُّ في وقت قصير"[2]؛ مما أكسبها مشروعية في نظر الساكنة المحلية. فقد كانت نشاطاتها تتركز أساسًا على استتباب الأمن عبر تشكيل مجموعات شبابية تجول في الأحياء الهامشية بمدينة فاس وتقبض على المجرمين وتسلمهم إلى الشرطة.

**صيرورة ردكلة "الوداديات"**

بدأت صيرورة ردكلة "الوداديات" نهاية التسعينات، وذلك بعد دخول عناصر من التيار الجهادي المقرب من الشيخ محمد رفيقي أبو حفص، قبل أن تنتقل الفكرة إلى مدن أخرى في فترة لاحقة. ففي تلك الفترة أسس أبو حفص جمعية لتعليم القرآن بحي النرجس بمدينة فاس، وكان مشرفًا عليها. وتوجد هذه الجمعية في حي متاخم لحي شعبي اسمه عوينة الحجاج الذي تقطنه الفئات الشعبية التي تشتغل بمهن بسيطة وتنتشر فيه البطالة والهشاشة وكذا الجريمة والمخدرات. لم يكن أبو حفص وأتباعه يدركون عملية التحول الأيديولوجي التي حصلت، فرغم تفادي الخوض في القضايا السياسية المباشرة، إلا أن خطبه النارية كانت تلهب حماس الشباب المتدين حديثًا، وكان لها صدى اجتماعي في صفوفهم، لاسيما بفضل مزجه بين الالتزام العقدي الصارم والدعوة للنشاط في المجتمع وتغيير المنكر باليد واللسان والقلب[3].

ومع تراكم الأنشطة الدعوية التي كان يؤطرها شيوخ التيار السلفي الجهادي في تلك المنطقة، وانضمام العديد من مرتادي الدروس بدأ التفكير في عمل أكثر تنظيمًا. بدأ النقاش يتوسع بشكل داخلي لينتقل من الدعوة السلفية إلى ممارسة أنشطة الاحتساب، أي تغيير المنكر باليد، خصوصًا مواجهة مظاهر السرقة وبيع الخمور والمخدرات والدعارة، وغيرها التي كانت منتشرة في تلك المناطق. وبعد نقاشات داخلية بين

(1) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ف.ز.، أحد السلفيين المقيمين بمدينة فاس، يوم 22 سبتمبر/ أيلول 2014.

(2) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ف.ز.، مدينة فاس، يوم 22 سبتمبر/ أيلول 2014.

(3) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ي.ح. مدينة فاس، 10 أغسطس/ آب 2013.

نشــطاء التيار الســلفي الجهادي في مدينة فاس حول الشكل المناسب للعمل، استقر الرأي على تأســيس مجموعات "للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" كانت تمتلك خزانًا تحفظ فيه الأسلحة البيضاء والعصي في مكان سري للقيام بوظيفتها التعزيرية[1]. وقد أسهمت الحملات التعزيرية التي قامت بها مجموعات السلفيين بالأحياء الهامشية مــن مدينة فاس في اســتتباب الأمن، وتطبعت المنطقــة مع وجود "أصحاب اللحى" حاملي العصي "وصار الناس يرقبه على أنه المُخلِّص وبفضله أُغلقت كثير من بيوت الدعارة وانعدم بيع الخمور والحشيش"[2]. وقد بدأ أعضاء هذه المجموعات في تنظيم دوريات حراســة منتظمة بالليل لتنفيذ "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، وقاموا أيضًا بممارسة التعزير ضد الذكور والإناث الذين يمشون في الشارع سوية بدون وثائق تثبت علاقة زواج أو قرابة[3].

ونتيجة لذلك، بدأت تظهر في تلك المناطق تغيرات على مستوى السلوك واللباس الخارجي؛ حيث انتشــر في تلك الأحياء ظاهرة لباس القميص الأفغاني، والقلنسوات بين الشباب والأطفال، وحسب أحد السلفيين الذي كان ناشطًا ضمن هذه المجموعات فقد "انتشر تغيير المنكر عند الجميع بغير ضوابط"، وبدأت مع الوقت تظهر سلوكات من قبيل إقامة الحدود على بعض شاربي الكحول، أو عاملات الجنس، "حتى أصبح الشــاب الصغيــر يطلب عقد الزواج من الرجل وزوجتــه للتأكد من أنهما لا يخالفان الشرع ومشيهما في الشارع بعقد شرعي، وانضم فوج من التائبين [يُقصَد به المدمنون الســابقون على المخدرات والكحول] وصاروا يجالسون المتدينين القدامى ويقومون كذلك بحملات تعزيرية؛ الأمر الذي لم يقبله العديد من مروجي الخمور والمخدرات لانهم كانوا دائمي العداوة معهم"[4]، وقد دخلوا أحيانًا في مواجهات بالسلاح الأبيض.

(1) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع.ح. سلفي جهادي سابق، الرباط، يوم 1 أبريل/ نيسان 2016.

(2) نفس المرجع السابق.

(3) Abdellah Tourabi, "Les Attentats du 16 mai au Maroc", (Thèse de DEA en Sciences politiques, sous-direction de: Gilles Kappel, Science Po Paris, 2003).

(4) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ف.ز.، مدينة فاس، يوم 22 سبتمبر/ أيلول 2014.

**التوسع في الهوامش**

من الناحية التنظيمية، كانت ظاهرة الوداديات تشتغل بشكل لا مركزي ومنفصل عن بعضها البعض، عن طريق خلايا عنقودية لا ترتبط فيما بينها بعلاقات تنظيمية واضحة، إلا ما يمكن اعتباره إشرافًا "رمزيًّا" من طرف الشيخ أبو حفص الذي كان يُحرِّض أتباعه على القيام بهذا "العمل الشريف"[1]، حسب شهادة أحد أتباعه السابقين.

بدأت المجموعة تتوسع تدريجيًّا، وانتشرت في مناطق أخرى خارج المجال الجغرافي لمدينة فاس؛ فقد انتقلت التجربة لمدينة سيدي سليمان، ومنطقة الواد قرب مدينة سلا، وبعض الأحياء الهامشية في مدينة الدار البيضاء. هذه المجموعات لم تكن ترتبط بمجموعات فاس، وقد انتقل صدى الفكرة إلى السلفيين في تلك المناطق، وبدأت محاولات لمحاكاة التجربة.

ساءت علاقة السلفيين مع السلطات الأمنية نتيجة قيام المجموعات الأمنية الوداديات بتجاوزات متكررة، وتم على إثرها تدشين حملة اعتقالات في شهر سبتمبر/ أيلول 2002، وذلك بعد قيام مُراهقين بضرب أحد الأشخاص أثناء حملة تعزيزية كان مع صديقته في مكان خال، وبعدها تم ضرب أحد مروجي الخمور وسبَّب له ذلك عاهةً على مستوى اليد[2]، وهو ما سيُحاكم بسببه كل المعتقلين في مدينة فاس سواء قبل أحداث 16 مايو/ أيار أو بعدها[3]، مما أدى إلى انهيار هذه الوداديات.

في كل الأحوال، يبدو أن نشاط الوداديات كان خاضعًا لحسابات سياسية معينة؛ حيث تم توظيف حماسة الشباب من أجل أداء وظيفة عجزت الدولة عن توفيرها، خصوصًا في هوامش مدينة فاس المعروفة بانتشار معدلات الجريمة وجفائها مع السلطة. في المقابل، يَتَّهم السلفيون جهات في الأمن والسلطة بالتواطؤ مع تجار المخدرات، ويفسرون قمعهم بتعارض المصالح[4].

(1) نفس المرجع السابق.

(2) نفس المرجع السابق.

(3) "تلميذ سابق لأبي حفص يروي شهادته عن السلفية الجهادية بفاس (2): الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، موقع هوية بريس، 9 يوليو/ تموز 2018، (تاريخ الدخول: 16 فبراير/ شباط 2019): http: / /howiyapress.com/ تلميذ-سابق-لأبي-حفص-يروي-شهادته-عن-الس2-/ )

(4) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع م.ر. فاس، 15 ديسمبر/ كانون الأول 2012.

## ثانيًا: تيار الهجرة والتكفير

خلال نفس الحقبة ظهرت مجموعات أخرى لم تكن تحظى بالشعبية التي كانت للوداديات في مدينة فاس. مثَّلَ هذا التوجه مجموعة الهجرة والتكفير[1] التي كانت تتسم بالسرية واستعداد أكبر للعنف، وهي خليط من الأفكار التكفيرية الناقمة على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية. يُمثِّل هذا التيار في المغرب وخارجه نموذجًا للطائفة الدينية الانطوائيــة والمنغلقة على ذاتها[2] والتي ترتكز نظرتها للعالم على المفاصلة والقطيعة الشاملة مع المجتمع في صورته الأكثر جذرية انطلاقًا من مفهومين أساسيين: التكفير والهجرة.

ظهرت أولى بذور تيار الهجرة والتكفير في المغرب في منتصف التسعينات على يد الشــيخ، ابن داود الخملي، الذي كان يشــتغل بائعًا للأعشاب المستعملة في الطب التقليــدي في ضواحــي مدينة الدار البيضاء قبل أن يتحوَّل لأحــد رموز تيار الهجرة والتكفير. نشــط الخملي خلال فترة شــبابه ضمن الحركة الماركسية في المغرب في نهاية الستينات قبل أن يتحول إلى التيار الإسلامي في السبعينات ضمن صفوف الشبيبة الإسلامية. وبعد الانشقاق الذي عرفته الشبيبة بعد سنة 1975 انفصل عنها وأصبح أكثر راديكالية بعد تأثره بتيار الهجرة والتكفير بمصر[3].

---

(1) من المهم الإشارة إلى أن الطبيعة السرية لتيار الهجرة والتكفير تصعِّب أكثر عملية الحصول على معطيات دقيقة وتفصيلية حول الطريقة التي يعيش بها أعضاء التيار حياتهم اليومية، ومع ذلك تمكنَّا من إجراء مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع بعض أعضاء هذا التيار؛ الأول: هو تكفيري ينشط بمدينة فاس التقيناه، في شهر مارس/ آذار 2013، قبل أن يتم اعتقاله في نهاية سنة 2015، وهو بائع لأكلة البيصارة (أكلة شعبية) منذ ما يقرب من 30 سنة ومتزوج ولديه أربعة أبناء، ولم يُنهِ تعليمه الابتدائي، وحاولنا استكشاف المسار الذي أخذه للولوج إلى التيار التكفيري وكذا استكشاف أهم الأفكار التي يدافع عنها باعتباره عضوًا ضمن هذا التيار. بالإضافة إلى مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع تكفيري سابق كان عضوًا نشيطًا في مجموعة ابن داود الخملي.

(2) Lorne L. Dawson, Comprehending Cults: The Sociology of New Religious Movements, (Oxford University Press, First Edition, 1998), p:32.

(3) "إرجاء محاكمة "شيخ التكفيريين" في المغرب إلى سبتمبر، الخملي بدأ شيوعيًّا ثم إخوانيًّا ليصل إلى تكفير المجتمع والانعزال عنه"، جريدة الشرق الأوسط، الأربعــاء 23 يوليو/ تموز 2003، العدد 9003.

## ما هو تيار الهجرة والتكفير؟

بعد إعدام سيد قطب سنة 1966، وحملة القمع الواسعة التي شملت حركة الإخوان المسلمين، انشق عدد من أعضاء الجماعة وأسسوا تنظيم "جماعة المسلمين" وعُرفت على نطاق واسع باسم "جماعة التكفير والهجرة"[1]، بقيادة شكري مصطفى الذي كان تلميذًا نجيبًا لسيد قطب. وقد تولى قيادة جماعة التكفير والهجرة داخل السجن بعد أن تبرَّأ من أفكارها مؤسسُها، الشيخ علي إسماعيل[2]. تطورت فكرة التكفير والمفاصلة مع المجتمع والدولة نتيجةً للقمع الواسع الذي تعرض له الإسلاميون داخل السجون المصرية آنذاك؛ حيث كان القاسم المشترك بين مؤسسي التنظيم كونهم تعرضوا للتعذيب والقمع القاسي في السجون المصرية خلال الفترة الناصرية. وحسب بلال التليدي، فإن القمع عالي التركيز في السجون، لاسيما سلوكات بعض الجلادين التي كانت تستفز شعورهم الديني، هو ما دفع بعض المعتقلين إلى طرح سؤال مركزي حول سبب هذا العذاب بهذا الحجم وبتلك الوحشية[3]. وقد كان الجواب الذي صاغوه هو أنهم سُجنوا لأنهم من "الإخوان" ولأنهم يريدون بناء دولة إسلامية، ومن ثمة صاغ هؤلاء السؤال التالي: هل يمكن اعتبار هؤلاء الجلادين مسلمين؟ وهكذا فتح هذا السؤال متتالية التكفير. أي: هل ينبغي أن يشمل التكفير رأس النظام فقط الذي أعطى الأوامر أم يشمل أيضًا المنفذين من شرطة وقوات الأمن أو من يسميهم التكفيريون بـ"أعوان الطاغوت". ومع ازدياد القمع في السجون توسعت متتالية التكفير ودائرة من يشملهم التكفير أكثر فأكثر، فتم الانتقال في المرحلة الثانية نحو تكفير ليس فقط هرم السلطة رئيس الدولة والحكومة والقضاة ورئيس مجلس النواب وقيادات الجيش ولكن شملت أيضًا كل الموظفين في أسلاك الدولة؛ حيث تم وصفهم بأعوان الطواغيت، وفي الدائرة الثالثة تم تكفير المجتمع كله إلا جماعة الانتماء التي تشمل بضع عشرات من الأفراد.

---

(1) بشير موسى نافع، الإسلاميون، (مركز الجزيرة للدراسات، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، 2010)، ص:112.

(2) "جماعة المسلمين (التكفير والهجرة)"، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (تاريخ الدخول: 16 فبراير/ شباط 2019): (http: / /www.saaid.net /feraq /mthahb /29.htm)

(3) بلال التليدي، مراجعات الإسلاميين: دراسة في تحولات النسق السياسي والمعرفي، ط1، (مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، الطبعة الأولى، 2013). ص:59.

إذا كان تيار التكفير والهجرة في مصر نشـأ نتيجة القمع القاسـي في السجون، فإن الإسـلاميين المغاربة لم يتعرضوا لنفس درجة القمع التي تعرض لها المصريون. كما أن بروز هذا التيار في المغرب كان متأخرًا نسـبيًّا وظهر في مرحلة التسـعينات التي كانت تتميز بانفتاح سياسـي. إذن، كيف يمكن تفسـير بروز تيار الهجرة والتكفير في المغرب في تلك الفترة؟

**سوسيولوجيا الهجرة والتكفير**

هناك طيف واسـع من العوامل التي يمكن أن تسـاعد في فهم هذا التطور. وفي هذا السـياق، يمكن ذكر عنصرين أساسـيين: أولًا: الحقد الطبقي، وثانيًا: أيديولوجية التكفير.

يمكن أن يساعد التحليل الطبقي على فهم بعض أوجه هذه الظاهرة؛ فمن خلال تحليل الفضاء الذي نشـأ فيه التيار التكفيري وسـيرة قياداته، تظهر هذه الميزة الطبقية لتيـار الهجـرة والتكفير. في السـياق المغربي، يمثل هذا التيـار الطبقات الاجتماعية المسـحوقة والفئات التي لم تسـتفد من ثمار التنمية. فرغم أن مسـار التحول نحو التكفيرية هو صيرورة معقدة تتداخل بها العوامل الشـخصية مع الظروف الاجتماعية، إلا أنـه يمكن القول: إن جماعـات الهجرة والتكفير هي ظاهرة ناجمة عن التهميش؛ فمن ناحية المكونات السوسيولوجية، تضم جماعة الهجرة والتكفير الفئات الاجتماعية المسحوقة والموجودة في أسفل السلم الاجتماعي؛ فمن النادر جدًّا أن تجد ضمن تيار الهجرة والتكفير أشخاصًا من ذوي التعليم العالي أو ميسوري الحال. كما تتميز جماعة الهجرة والتكفير بتواضع مسـتوى تعليم أعضائها وقياداتها، ويشتغل أغلب أتباعها في مهن بسيطة، مثل الباعة المتجولين أو الحرف التقليدية، أو هم عاطلون عن العمل.

تمثـل حالة ابن داود الخملي ومجموعتـه نموذجًا مثاليًّا لهذا التهميش المؤدي للتطرف؛ فقد كان الخملي وأتباعه يشتغلون في مجال بيع الأعشاب، وهي مهنة بسيطة تنتشـر في ضواحي المدن والمناطق المهمشة وتلجأ إليها الفئات الاجتماعية الضعيفة لعدم قدرتها على اقتناء الدواء من الصيدليات لارتفاع ثمنها. وحسب أحد المعتقلين السلفيين السابقين، فقد كان أتباع ابن داود الخملي، كلهم "عشَّابة بائعو أعشاب، وكانوا يحضرون الأعشـاب الخام ويُعِدُّونها عنده في منزله الصفيحي بضواحي الدار البيضاء

ويدقونهـــا ويهيئونها لكي يبيعوها في الأســـواق"[1]. وبما أن هذا النوع من الأنشـــطة الاقتصادية غير مهيكل فإنه يعطي لممتهنه استقلالية واسعة عن الدولة وأجهزتها. من الناحية المجالية، انتشـــر هذا التيار أساسًـــا في ضواحي مدينة آســـفي والناظور وأيضًا في المدن الصفيحية بمدينة الدار البيضاء التي تنتشـــر فيها البطالة والهشاشـــة والفقر، علاوة على غياب الدولة ومؤسســـاتها في هذه المناطق. وهو ما فتح المجال في هذه المناطق لانتشار الجريمة بمختلف أشكالها وأيضًا المساجد غير الرسمية التي تؤسسها المجموعات الإسلامية خارج رقابة وزارة الأوقاف.

بهذا المعنى، يمكن القول: إن تيار الهجرة والتكفير في السياق المغربي هو تعبير عن حالة ســـخط على الأوضاع القائمة ورغبة في الانتقام من تهميش المجتمع، وهو أيضًا تعبير عن حالة نفســـية وذهنية معادية للمجتمع وحاقدة عليه طبقيًّا يتم تصريفها انطلاقًـــا من مفاهيـــم مغلَّفة بالدين. فالفيء، أي الأموال التـــي يجنيها التكفيريون من عمليات الســـلب التي يقومون بها، هي مماثلة للاعتداءات على ممتلكات الغير التي ينفذها الشباب المُهمَّش ضد أبناء الطبقات الاجتماعية الأكثر حظًّا، وهي سلوكات ربما قد يكون التكفيري قد مارسها في فترات قبل أن يتحوَّل لهذا الفكر.

من جهة أخرى، تقدِّم بعض العناصر التي تتميز بها هذه الأيديولوجيا جانبًا جذابًا للفئات الاجتماعية المهمشة، ويعتبر مفهوم "الحق" و"الطهارة" أحد العناصر الرئيسة لفهـــم جاذبية هذا التيار بالنســـبة للفئات المذكورة. ويعتبـــر أحد التكفيريين أن هذين المفهوميـــن همـــا اللذان جذباه أكثر نحو هذا التوجـــه؛ فعندما قرر الالتزام في الأول تعرف على عموم التيار السلفي الجهادي، ولكنه لم يكن مدركًا للتمايزات الداخلية بين فصائله ومكوناته. ومن ثمة بدأت عملية بحث جديدة من داخل التيار السلفي الجهادي بما يتناسب مع رغبته في "البحث عن الحق". ويعتبر هذا التكفيري أنه لطالما سمع من طرف خصوم التكفيريين أنهم على "ضلال وليسوا على طريق الحق"، وحينها "قلت بـــأن هؤلاء لطالما يتعرضون للنقد من طرف خصومهم، ويُعتبرون ضالِّين في نظرهم، فإنـــه من الأكيد أن الحق معهـــم، خصوصًا وأن الحق دائمًا مُحارب ودائمًا يكون مع القلَّة، وهذا ما دفعني للبحث أكثر في الأمر"[2].

(1) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع.ح. عبر سكايب، فبراير/ شباط 2018.

(2) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع.ب من التيار التكفيري، مدينة فاس يوم الأحد 10 مارس/ آذار 2013.

من الناحية الأيديولوجية، يشكِّل مفهوم التكفير الركن الأساسي لجماعة الهجرة والتكفير، ويعتبر منظِّرو التيار أن المجتمعات القائمة مجتمعات جاهلية وكافرة قطعًا، وأن التجسيد الحقيقي للإسلام في العصر الحالي يتجسد في "جماعة المسلمين" وأن غيرهم من الأشخاص والمجتمعات الذين لم يبايعوا أمير الجماعة لا يعتبرون مسلمين مطلقًا. ومن هنا، تدعو الجماعة إلى مفاصلة المجتمع وهجرته تمامًا لأنه يجسِّد في نظرها مجتمعًا جاهليًّا وكافرًا لأنه لا يطبق الشريعة الإسلامية بشكل حرفي[1]. ويعتبر التكفيريون أن المغرب لا يمكن اعتباره دولة إسلامية كما أن رئيس الدولة يعتبر في نظرهم غير مسلم لأنه في نظرهم لا يطبق الشريعة بشكل كاف ويَعتبر عبد الحق أن "أمير البلاد الحالي لا يمكن الجهاد معه في حالة إعلان الجهاد، ونحن نؤمن بذلك على اعتبار أننا نعتقد بكفر الحاكم، فهذا حاكم كافر، ويحرم شرعًا موالاته أو الجهاد باسمه"[2]. كما أن ابن داود الخملي أكد أمام المحكمة أنه لا يأمل في انتقال المغاربة من الكفر إلى الإسلام انطلاقًا من تجربته الشخصية كشيوعي سابق ومن تقييمه للواقع الاجتماعي والسياسي للمغرب، لذلك فهو لا يمارس الدعوة. وأضاف أن ذلك الموقف هو الذي دفعه إلى الانعزال عن المجتمع والهجرة إلى منطقة نائية في ضاحية الناظور شمال المغرب التي انتقل إليها نهاية التسعينات رفقة عائلته وبعض أتباعه حيث انتهج نمط حياة بدائية قاطعًا كل صلاته بالعالم الخارجي[3].

**صيرورة التطرف التكفيري**

يركز التيار التكفيري في مرحلته الأولى على العمل الدعوي السري والإعداد للقوة الموضوعية التي من خلالها يقوم بتغيير الواقع. والتغيير حسب التيار التكفيري يتم من خلال ثلاثة مستويات: أولًا: تكوين الفرد المسلم، ثم الجماعة المسلمة، وأخيرًا الدولة المسلمة.

---

(1) Jeffrey B. Cozzens, "Al-Takfir wa'l Hijra: Unpacking an Enigma", Studies in Conflict & Terrorism, Vol. 32, Iss. 6, 2009.

(2) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع.ب من التيار التكفيري، مدينة فاس، يوم الاحد 10 مارس/ آذار 2013.

(3) "شيخ التكفيريين في المغرب خلال محاكمته: كل المغاربة كفار ولا أمل في إسلامهم"، جريدة الشرق الأوسط، 16 سبتمبر/ أيلول 2003، العدد 9058.

على المستوى الفردي، يبدأ مشوار التحول نحو التيار التكفيري من خلال لقاء الأقران أو البحث عبر الإنترنت. مثلًا تعرَّف "عبد الحق" على هذا التيار وأفكاره من خلال البحث في الإنترنت ليتوصل لقناعة مفادها أن هؤلاء ليسوا تكفيريين، ولكنهم بالأحرى "موحدون، وهذا على اعتبار أنهم يعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئًا وأنهم حريصون جدًّا على التوحيد"[1].

المستوى الثاني يشمل تكوين الجماعة المسلمة، وهذا يقتضي البحث عن مجموعة من الأقران الذين يشتركون في نفس نسق الأفكار؛ فعبد الحق كان محتاجًا لربط علاقات مع تكفيريين من خارج العالم الافتراضي لممارسة معتقداته الدينية بشكل جماعي. فالوظيفة الأساسية للطقوس أنها تربط الحاضر بالماضي والفرد بالمجموعة. فالطقوس تُمارَس في شكل جماعي وتحتاج لمساندة عضوية ونفسية من طرف النظراء[2]. ومن هذا المنطلق ومع استمرار البحث، تمكن عبد الحق من التعرف على أربعة تكفيريين في مدينة فاس شكّل معهم طائفة صغيرة تؤمن بأن المجتمع ليس مسلمًا، ويلخص عبد الحق رؤيته حول المجتمع كالتالي:

هذا المجتمع ليس بمجتمع مسلم، وإنما هو مليء بمظاهر الشرك، والتي تبرز من خلال عدة أمور كعبادة الأضرحة وغيرها، وحتى أفراد المجتمع هم مشركون، فمثلًا أئمة المساجد هم أصلًا مبتعدون عن الدين ونحن لا نعرف حقيقة عقيدتهم، وبالتالي نحن لا نصلي خلفهم ولا نصلي في المسجد أصلًا حتى صلاة الجمعة، مع العلم بأنها واجبة إلا أن لنا أدلة كحديث الشجرة لا يحفظ الحديث والذي يُبرز أنه إن لم توجد جماعة للصلاة يمكن الصلاة مع القِلَّة، وأنا شخصيًّا أصليها في البيت مع أسرتي.

انطلاقًا من مبدأ التكفير الشامل للمجتمع باعتباره كافرًا وجاهليًّا، ولكي تحافظ المجموعة على طهارتها من دنس المجتمع الجاهلي يعمل تيار التكفير والهجرة بمبدأ المفاصلة الشاملة للمجتمع ومقاطعة مؤسساته مقاطعة شاملة. وتقوم الفكرة على محاكاة التجربة الإسلامية الأولى التي دفعت الرسولَ محمدًا صلَّى الله عليه وسلَّم

(1) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع.ب من التيار التكفيري، مدينة فاس، يوم الأحد 10 مارس/ آذار 2013.

(2) Paul Fargues, " La religion d'après M. Durkheim ", Revue chrétienne. 4e série, 60 (1), 1er mars 1913, p. 25. )Accessed 15 January 2018( http://gallica.bnf.fr/ark :/12148/bpt6k5839414z/f267

في بداية دعوته إلى المفاصلة الشعورية مع المجتمع الجاهلي. وتحت تأثير الضغط ورفض المجتمع القرشي للدعوة المحمدية اضطر المسلمون إلى الهجرة إلى مكان آخر لممارسة معتقداتهم. ويؤكد هؤلاء على ضرورة هجرة المجتمع والمفاصلة معه ليس فقط نفسيًّا وشعوريًّا ولكن أيضًا مجاليًّا من خلال مقاطعته والنأي بالنفس عن التفاعل معه، ومن ثمة فالتكفيريون يدعون إلى هجرة ومقاطعة جميع المؤسسات من خارج جماعتهم. تضم الهجرة ثلاثة مستويات: أولًا: مفاصلة شعورية للمجتمع من خلال تكفير مؤسساته وأفراده، ومفاصلة مادية مع المجتمع عبر مقاطعته، والقطع مع الماضي حيث يقطع الشخص مع ماضيه وينساه. أيضًا يترتب عليها تغيرات في علاقاته الاجتماعية، مثل تطليق الرجل من زوجته، في حالة ما إذا انضم أحدهما للجماعة ورفض الآخر ذلك.

نتيجة لهذه المسلَّمات الأيديولوجية، يرفض التكفيريون مخالطة الناس؛ فكل المؤسسات من خارج "جماعة المسلمين" تعتبر جاهلية وبالتالي يُمنع أعضاء الجماعة من التعامل معها. ومن هذا المنطلق، يحرِّم التكفيريون الصلاة في المساجد ويعتبرونها مساجد "ضرار" يجب تفاديها[1]. كما أنهم يرفضون الزواج مع النساء غير التكفيريات ويعتبرونهن مشركات. وبخصوص التعامل مع باقي المسلمين الآخرين، أبدع تيار الهجرة والتكفير قاعدة التبيُّن، ويُقصَد بها التوقف عن الحكم على من هو خارج الجماعة حتى يتم التأكد من حالهم وإقامة الحجة عليهم. كما أن أعضاءها يرفضون كل أشكال القوانين والتدابير الإدارية، بحيث يرفضون التعامل مع الإدارة ولا يمتلك أعضاؤها أوراق الحالة المدنية ويرفضون تدوين عقود النكاح لدى السلطات المدنية[2]. هذا، وتجدر الإشارة إلى أن المقاطعة الشاملة للمجتمع ترتب عليها مشاكل إدارية لأسر أعضاء التيار التكفيري، بحيث يؤدي عدم تسجيلهم في سجلات الحالة المدنية إلى حرمانهم من العديد من الحقوق المدنية مثل الحق في الولوج للتعليم والصحة والوظيفة العمومية وغيرها من الخدمات. كما تعاني زوجاتهم من مشاكل في حالة الطلاق، بحيث لا يمكن تأكيد نسب الأطفال بسبب رفض الآباء التسجيل في الحالة المدنية. ويلخص أحد التكفيريين المغاربة رؤيتهم لمسألة اعتزال الناس

(1) مراسلة الكاتب مع تكفيري سابق، فسيبوك، فبراير/ شباط 2018.

(2) المرجع السابق.

وتكفيرهم على الشكل التالي:

ومسألة الانعزال عن المجتمع تدخل ضمن صلب ما نعتقد، فهذا مجتمع مشرك وغير مسلم وهناك أدلة في هذا، لأن الاختلاط معهم يفسد الإيمان، بل حتى الوالدين إن كانا مشركيْن فيجب تكفيرهما والانعزال عنهما وهجرهما وعدم الاختلاط بهما، بل الواجب تركهما وعدم الأكل والشرب معهما، إلا أنه يجب أن تتم أولًا دعوتهما للحق والمتابعة معهما على هذا الأمر لكن دون الانسياق معهما فيما هما فيه أو مجالستهما بالود. ويجب أن تعلم أن دعوتنا هي مثل الوتد مين تضرب تلصق، كما أننا لا نأكل من ذبيحة الأسواق على اعتبار أنها محرمة، فنحن لدينا اليقين أنها لم تذبح بالطريقة التي علمنا إياها الرسول، وبالتالي لا نعلم مَنْ ذبحها ولا كيف ذُبحت، فنحن لا نأكل إلا ما تذبحه أيدينا[1].

يضع التيار التكفيري نظامًا صارمًا لضمان التضامن بين أعضاء المجموعة؛ حيث يتـــم خلق بيئة متكاملة ونظام للتضامن الداخلـــي في المجموعة يؤمِّن كل الحاجيات لأفرادها ليســـتغنوا بالتالي عن العالم الخارجي. ولتقوية اللُّحمة الداخلية وبناء الولاء المطلق تم اعتماد نظام البيعة لزعيم المجموعة التي تعتبر بمنزلة تعاقد بين العضو وبين أمير الجماعة بحيث يترتب على ترك العضو للجماعة إخراجه من الدين وتكفيره، وهذا يعتبر ســـببًا كافيًا لتصفيته جســـديًّا بسبب خروجه عن الجماعة رغم أن بعض السلفيين يعتبرون البيعة التي تمت داخل التيار التكفيري "ليست بالمعنى المتعارف عليه، [أي بيعة أمير الجماعة باعتباره أميرًا للمؤمنين] ولكنها بيعة تنظيمية"[2].

المستوى الثالث هو تكوين الدولة المسلمة الذي يتم من خلال الجهاد المقدس. ويؤمن التكفيريون في المغرب بأن الوقت لم يحن بعد لإعلان القتال ضد النظام نظرًا لعدم توافر الشـــروط الموضوعية لذلك. فرغم اقتناعهم بأن الجهاد هو مســـألة شرعية "لا يمكن لأحد نفيها ونحن نؤمن به"، إلا أنه في نظرهم مسألة لها قواعدها، أهمها أن قيادة الجهاد يقوم بها ولي أمر المسلمين، وبما أنه في نظرهم لا يوجد هذا القائد "فلا يمكن أن يكون هناك جهاد، ولهذا فنحن نعمل على الدعوة [الفردية] فقط"[3].

(1) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع.ب. من التيار التكفيري، مدينة فاس، يوم الأحد 10 مارس/ آذار 2013.

(2) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع.ح. عبر سكايب، فبراير/ شباط 2018.

(3) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع.ب. من التيار التكفيري، مدينة فاس، يوم الأحد 10 مارس/ آذار

## ثالثًا: شيوخ التكفير

عــلاوة على تيار ابــن داود الخملي، ظهرت تعبيــرات تكفيرية أخرى في تلك الفترة وكانت عبارة عن مجموعات صغيرة تشتغل بسرية ومنعزلة عن المجتمع العام، وهو توجه أسســه بشكل مستقل كل من ميلودي زكريا ويوسف فكري، اللذين يمكن اعتبارهمــا أبرز رموز التيار التكفيري؛ فكلاهما يعتبران نموذجين لسياســات الإقصاء والتهميــش ودورهــا في إنتاج التطــرف التكفيري "الحاقد" علــى المجتمع "طبقيًّا" ويُصــرَّف هذا الحقد نحو المجتمع عن طريق الأيديولوجيا عبر إقصاء الذات الهجرة وإقصاء الآخر التكفير، وقد اتجهت سلوكياتهم العنفية تجاه المجتمع المحلي القريب، في حين بقي إدراكهم السياسي محدودًا نظرًا لقدراتهم المعرفية المحدودة.

لقــد كان كل منهمــا محدود التعليم، فكلاهما لم يتمم التعليم الإعدادي؛ حيث أتمم يوســف فكري بالكاد تعليمه الابتدائي، ويحكي بعض رفاقه في الســجن أنه لم يكن يســتطيع تحرير البيانات الاحتجاجيــة، وكان يطلب من بعض زملائه المتعلمين كتابتها نيابة عنه[1]. وكانت حدود إدراكهم هو المجال الضيق الذي ينشطون فيه على هوامش المدن الكبيرة، وأسهمت الظروف الاجتماعية والاقتصادية والمستوى التعليمي المحدود بالإضافة إلى صغر السن، بالنسبة لحالة يوسف فكري، في تحديد سلوكهم المتطرف وتوجيهه نحو ما يتصورونه تجسيدًا للفساد الذي ينبغي تغييره بالقوة.

### الميلودي زكريا

اهتــم ميلودي زكريا بالســاحة السياســية نســبيًّا، وانخرط فــي العمل الدعوي الإســلامي، لاســيما في صفوف حركة الإصلاح والتجديد التي بقي فيها لفترة قصيرة قبل أن يغادرها لأنها لا تطالب في نظره بتطبيق الإســلام بشــكل كبير، هذا بالإضافة إلى أن تلك الفترة تميزت برغبة الحركة في الانخراط في العمل السياسي وهو ما لم يكن يقبل به ميلودي زكريا، ولهذا ترك الحركة نهاية الثمانينات والتحق بمجموعة من السلفيين.

هناك ســبب آخر اجتماعي-اقتصادي مرتبط بالفئات التي تســتقطبها الحركات

.2013

(1) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع.ح. (معتقل سلفي سابق)، سلا، يوم 30 أغسطس/ آب 2014.

الإســلامية الكلاســيكية بالمغرب، لاســيما جماعة العدل والإحسان وحركة التوحيد والإصلاح وحزب العدالة والتنمية فهذه التنظيمات تنشــط أساسًــا في صفوف الطبقة المتوســطة الحضرية، لاسيما الأســاتذة والمعلمون والطلبة الجامعيون والمهندسون والأطباء والمحامون...إلخ، في حين أن حضور الفئات الاجتماعية المسحوقة هامشي ضمنهــا. ومن ثمة لم يكن ممكنًا أن يســتمر زكريــا ميلودي ضمن صفوف الإصلاح والتجديد ليس فقط لأسباب أيديولوجية وإنما لأسباب اجتماعية-اقتصادية.

ركَّــز الميلودي في دعوته على القضايا الكلاســيكية للتيار الســلفي الجهادي، لاســيما مبــدأ التوحيد والولاء والبراء والتكفير. فقــد كان يعتقد أن التحاكم إلى غير القرآن والســنَّة يعتبر من شــرائع الشــيطان وأحكام الجاهلية ومن المكفرات القطعية، ويدخل في هذا السياق في نظره الدخول إلى البرلمانات والمؤسسات التشريعية، ويقرر قــرارًا صارمًــا بكون "من يتحاكم إلى أحكام القانون ومحاكمه وحكامه من غير إكراه صحيح، فإنه كافر مرتد عن الإســلام، ولا عبرة بما يحمله من شــعارات الإسلام أو الدعوة أو الانتساب إلى السنة والجماعة أو الجهاد أو التوحيد أو تكفير من يحكم بغير ما أنزل الله، كما أنه لا عبرة في ذلك بادعاء إكراه لم تتحقق أركانه[1]. لهذا السبب، لم يكن التيار التكفيري الذي أسســه ميلودي زكريا يعترف بســلطة الدولة ولا يتعامل مع مؤسساتها، فقط كانوا "يمنعون أتباعهم من التعامل بالوثائق الإدارية التي تصدرها الإدارات المغربيــة والمحاكم[2]" ويدخل في هذا الإطار العقود بأشــكالها "وضمنها عقود الزواج القانونية التي كان يتم رفضها وتعويضها بقراءة الفاتحة فقط"[3].

لا يمنح الميلودي زكريا أعذارًا بالنسبة للأشخاص الذين يتعاملون مع المؤسسات العصرية، ويعتبر أن الحالة الوحيدة التي يمكن فيها التماس العذر هي حالة الأسير بيد العدو يقصد به النظام السياسي؛ وبالتالي فهو يقرر أن أي شخص "يذهب على رجليه حرًّا مختارًا إلى محاكم القانون ومؤسسات تشريعه وتنفيذه -دون أن يكون أسيرًا بيد العدو، مرغمًا على ذلك بالقوة- هو في حقيقة الأمر من الراضين بالتحاكم إلى غير ما أنزل الله، وهو بذلك كافر بالله لهذا الاعتبار، ولو ادعى أنه غير راض بذلك، والحكم

(1) أبو عبد الله الميلودي زكريا، كفر المتحاكمين إلى شرائع المشركين، (منبر التوحيد والجهاد، د.ت.)، تاريخ الدخول: 6 يونيو/ حزيران 2014، الرابط: http: / /www.tawhed.ws /r?i=dsa5rfxc

(2) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع.ش. الدار البيضاء، أكتوبر/ تشرين الأول 2015.

(3) المرجع السابق.

عليــه بالكفــر إنما هو على الظاهر، لأننا لم نؤمر أن نشــق عن قلوب الناس"[1]. كما يعتبر الميلودي زكريا الولاء والبراء "من أعظم مســتلزمات التوحيد الخالص، وجزءًا من هذا الدين"[2]، وهو يتضمن في نظره تقسيم العالم إلى مسلمين وكفار، تضم طائفة المســلمين أولئك الذين يؤمنون بنفس أفكاره، في حين يوصف الباقي إما بالكفر أو بالبدع والانحراف[3].

أســس ميلودي زكريا، ســنة 1996، جماعة الصراط المستقيم التي كانت تنشط في الأحياء الهامشية من مدينة الدار البيضاء وبالضبط بحي سيدي مومن وأيضًا بقرية سيدي الطيبي قرب مدينة القنيطرة. اعتمدت عمليات الاستقطاب أساسًا على استثمار علاقات القرابة والجوار؛ حيث يتقاسم كل الأعضاء الذين تم استقطابهم كونهم ينتمون إلــى نفــس الحي أو نفس العائلة. خضع المســتقطَبون لتكوين أيديولوجي عن طريق تنظيــم حلقات من الدروس ومشــاهدة أشــرطة الجهاد قبل تلقــي تدريبات رياضية منتظمة[4]. وعمل أعضاء المجموعة التي كان يؤطِّرها ميلودي على تكوين ميليشــيات تضطلع بوظيفة شــرطة الأخلاق، وعلى غرار "الوداديات" في فاس لاقت في البداية استحســان الساكنة، بســبب قدرتها على فرض الأمن وطرد تجار المخدرات وأنشطة الدعارة واســتهلاك المخدرات في الأحياء التي كان ينشــطون فيها، خاصة بالأحياء الهامشية بمدينة الدار البيضاء، لاسيما بحي سيدي مومن ودوار السكويلة وطوما.

ســتعرف درجة العنف ارتفاعًا في شــهر فبراير/ شــباط 2002، عندما حصلت مواجهــة بين أحد أعضاء جماعة الصراط المســتقيم مــع أحد تجار المخدرات الذي كان في حالة سكر ليلة عيد الأضحى. وحسب عبد الله ترابي، فقد أدت المواجهات إلــى جرح أحد أتباع ميلــودي زكريا. وفي نفس اليوم، أصدر ميلودي فتوى تهدر دم هذا الشــخص، وعندما تم الإمســاك به جرى تقديمه لمحاكمة ميدانية قضت برجمه

(1) زكريا، كفر المتحاكمين إلى شرائع المشركين. المرجع نفسه.

(2) المرجع السابق.

(3) المرجع السابق.

(4) إدريس ولد القابلة، "محاكمات الإرهاب بالمغرب" ـ الحلقة الرابعة، ديوان العرب، 18 مايو/ أيار 2007، (تاريخ الدخول: 4 فبراير/ شباط 2019): http: / /www.diwanalarab.com /spip. php?page=article&id_article=7576

ونفذها في الحين أتباع ميلودي زكريا على مرأى وأنظار أبناء الحي[1]، في حين ينفي أحد أتباع الميلودي السابقين هذه المسألة، ويعتبر أن عملية القتل "لم تكن مقصودة وإنما تمت بشكل عفوي بسبب اعتدائه ليلة العيد على المصلين واستهزائه بالدين أمام مرأى ومسمع من المصلين، وهو ما أدى لردود فعل آنية، بدأت برجمه بالحجارة"[2] وانتهت برمي أحد الجهاديين صخرة كبيرة على رأسه أودت بحياته.

في بداية سنة 2000، ستظهر أول معالم الانشقاق في صفوف التيار بين تيارين أكثر وأقل راديكالية. وسيكون ميلودي زكريا هو المحور الذي دار حوله الصراع، بحيث برز خط التمايز بينه وبين بعض أتباعه في تلك الفترة حول مسألتين:

- أولًا: استراتيجية التغيير وأولويات الصراع.
- ثانيًا: تكفير المجتمع ككل في فتوى عُرفت بـ"فتوى العقود".

بخصوص استراتيجيات التغيير وأولويات العمل الجهادي بالمغرب، برزت رؤيتان داخل التيار الجهادي بمدينة الدار البيضاء؛ وهي نفس الانقسامات التي برزت في التيار الجهادي العالمي؛ وكانت تدور حول من هو الأجدر مواجهته أولًا: هل هي الأنظمة العربية التي كانت توصف بالطواغيت أم الدول الغربية التي تدعم هذه الأنظمة؟ هناك توجه ذهب في اتجاه الدخول في المواجهة مع النظام في حين فضَّل الآخرون استهداف العدو البعيد، في إطار ما يسمى بـ"جهاد النكاية"، أي إنهاك قوة العدو وجرَّه للمعركة في أرض غير أرضه قصد استنزافه[3]. وهو نفس التوجه الذي نهجه تنظيم القاعدة، سنة 1998، عند الإعلان عن تأسيس تنظيم القاعدة.

وجد هذا النقاش صدى في أوساط التيار الجهادي بالمغرب، وظهر خلاف بين الميلودي زكريا وبعض أتباعه حول الموضوع، حيث كان ميلودي مقتنعًا بالخيار الأول الذي يقتضي الاشتباك مع العدو القريب، وبدأ التفكير في المواجهة المسلحة. في حين كان جزء آخر من أتباعه يعتبر أن هذا الخيار غير مجدٍ وغير مفيد في تلك المرحلة، لأن الدخول في مواجهة مع النظام "مكلف" مقارنة مع الأرباح التي يمكن جنيها. وهذا يرجع إلى قوة النظام الذي لديه قدرة على سحق أية معارضة مسلحة،

(1) Tourabi, Les Atentats du 16 mai au Maroc.

(2) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع.ش. بمدينة الدار البيضاء، 14 نوفمبر/ تشرين الثاني 2015.

(3) المرجع السابق.

فتم التفكير بدلًا من ذلك بالهجرة إلى أفغانستان، والالتحاق بصفوف تنظيم القاعدة هناك، باعتبارها القاعدة الخلفية للجهاد العالمي[1].

العنصر الثاني من النزاع داخل التيار الجهادي شمل مسألة ما سُميَّ بفتوى العقود؛ فالطوائف الدينية التي تكون في طور النمو تسعى لجعل المتحولين الجدد دائمًا أكثر صرامة في الحفاظ على طهارة الطائفة الأيديولوجية، أكثر من الجيل الثاني من الأعضاء[2]، ومن هنا، فإن حرص التيار التكفيري على تأسيس نظام مجتمعي بديل والحفاظ على طهارته كان يتطلب إحداث قطيعة شاملة مع المجتمع والدولة. وهو ما يفسر إصدار الميلودي فتوى صارمة تحرِّم التعامل مع كل المؤسسات الاجتماعية خارج الطائفة، وصلت إلى درجة تحريم كل أنواع العقود، بما فيها عقود الكراء والبيع والشراء وغيرها. هناك مسألة أثارت الجدل في صفوف التيار الجهادي، وهي تحريم عقود الزواج والحكم بردة من يتزوج بعقد زواج مكتوب. وقد كان لهذه الفتوى التي أصدرها الميلودي تأثير كبير داخل التيار الجهادي، وأَلَّبت عليه شيوخ التيار الذين دخلوا في مواجهة أيديولوجية معه، كما أن دخول أبو قتادة الفلسطيني على الخط، ورده من خلال فتوى تؤيد موقف الشيوخ بعدم تكفير أصحاب عقود الزواج ساهمت في تعزيز عزلة الميلودي[3].

**يوسف فكري**

على غرار الميلودي زكريا، مرَّ يوسف فكري خلال حياته بمحطات متعددة قبل تحوله إلى التيار التكفيري؛ فقد التحق رفقة أبيه، سنة 1994، بجماعة الدعوة والتبليغ بمدينة اليوسفية جنوب غرب الدار البيضاء، وبقي فيها إلى حدود 1997، وخلال تلك الفترة "أخذ حظًّا وافرًا من العلم والتعلم في الجماعة" وأصبح في نظر والده "يتسم بحسن التربية وبالسلوك الحسن وكان من أحسن شباب جماعة الدعوة والتبليغ يحب الناس ويحبه الناس متخلِّقًا ودودًا مستقيمًا في كل أحواله"[4]. يبدو أن

(1) المرجع السابق.

(2) Malcolm B. Hamilton, The Sociology of Religion: Theoretical and Comparative Perspectives. )Routledge; 2 editions, 2001(, p:201.

(3) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع. ش.، الدار البيضاء، يوم 14 نوفمبر/ تشرين الثاني 2015.

(4) حوار مع عبد الرحيم فكري والد "يوسف فكري" المتهم بزعامة "التكفير والهجرة". جريدة التجديد،

أفكار يوسف تغيرت بعد انتقاله إلى جماعة الهجرة والتكفير، وساءت علاقته بأسرته، وبدأت مجموعة من السلوكات تظهر عليه، مثل أداء صلاة عيد الفطر قبل موعدها في الغابة، وتغير شكله الخارجي من خلال إطلاق اللحية واللباس الأفغاني.

في نفس الاتجاه الذي نهجه ميلودي زكريا، سار يوسف فكري في تنفيذ عمليات عنف منذ مرحلة مبكرة من عمره، ففي بداية عقده الثاني؛ أي منذ سنة 1998؛ شارك رفقة مجموعة من زملائه، لاسيما محمد دمير في حملات "النهي عن المنكر"، والتي اعتدوا خلالها على العديد من الأشخاص إما بسبب السُّكْر أو بسبب علاقات جنسية غير شـــرعية، واستيلائهم على ســـيارات العديد من الضحايا واستعمالها في تنقلاتهم وأسفارهم[1].

وتشـــير بعض المعطيات الإعلامية إلى أن فكري دشَّـــن عملياته الدموية باغتيال عمِّه، عبد العزيز فكري، بمدينة اليوسفية في شهر أكتوبر/ تشرين الأول 1998، بتهمة معاشـــرة البغايا. والراجح أن هذه المســـألة هي سبب توتر علاقته بعائلته، مما دفعت أبـــاه للتبرؤ من أفعاله[2]. وبعد اكتشـــاف أمره فرَّ إلى مدينة الناظور شـــمال المغرب، وهو المكان الذي يتمركز فيه ابن داود الخملي المعروف بـ"شيخ التكفيريين"؛ حيث يُشـــتبه بأنه قَتل شـــخصًا آخر بتهمة أنه شيوعي، ثم عاد إلى الدار البيضاء، ونفذ عملية مشـــتركة مع زميله، محمد دمير، بقتل شـــرطي. وعندما استقر في مدينة الدار البيضاء، سنة 1999، أسس جماعة التكفير والهجرة رفقة يوسف عداد. وقد شكَّل هذا الثلاثي محمد دمير، ويوسف فكري، ويوسف عداد القيادة البارزة في تنظيم التكفير والهجرة، نفَّذوا على إثرها عددًا من الجرائم والاعتداءات على المواطنين[3]. سقط فكري في يد الشرطة بمدينة طنجة، في شهر يوليو/ تموز 2002، وحُكم عليه بالإعدام بعد أحداث 16 مايو/ أيار 2003. وقد اعترف يوســـف فكري بجرائمه أمام المحكمة ولم ينكرها

---

12 أغسطس/ آب 2002، (تاريخ الدخول: 6 يونيو/ حزيران 2014): http: //www.maghress. com /attajdid /12841

(1) "قاض مغربي يطرد "أمير" جماعة "التكفير والهجرة" من قاعة المحكمة"، جريدة الشرق الأوسط، 8 يوليو/ تموز 2003، العدد 8988.

(2) حوار مع عبد الرحيم فكري، جريدة التجديد، المرجع السابق.

(3) ""أمير الدم" زعيم جماعة التكفير والهجرة المغربية بدأ مسيرته بقتل عمه"، جريدة الشرق الأوسط، 22 مايو/ أيار 2003، العدد 8941.

وصرَّح بأنه اقترفها -بدءًا من مدينة اليوسفية بوسط المغرب ووصولًا لمدينة طنجة شمالًا- بدعوى محاربة الطاغوت[1].

بشكل عام، كان تيار السلفية الجهادية، منذ ظهوره منتصف التسعينات من القرن الماضي وإلى حدود بداية الألفية، ينشط في الهوامش ولم يكن مصدر قلق للسلطات الأمنية في المغرب. وسيحصل تحول كبير بعد تفجيرات مركز التجارة العالمي يوم 11 سبتمبر/ أيلول 2001؛ حيث وجدت التيارات الجهادية نفسها في بؤرة الاهتمام الاعلامي، كما أنها استثمرت المناخ العام الرافض للغزو الأميركي لأفغانستان واستغلت السردية الأميركية حول الحرب على الإرهاب كأداة للتعبئة الدينية والسياسية، واعتبرتها حربًا على الإسلام والمسلمين. وسيحاول الفصل المقبل تسليط الضوء على خروج التيار الجهادي من الهامش نحو مركز الأحداث محليًّا وعالميًّا.

(1) إدريس ولد القابلة، "محاكمات الإرهاب بالمغرب-الحلقة 11". موقع الحوار المتمدن، 27 أكتوبر/ تشرين الأول 2003، (تاريخ الدخول: 6 يونيو/ حزيران 2014): http: / /www.ahewar.org / debat /print.art.asp?t=0&aid=11125&ac=1

# الفصل الرابع
# من الهامش إلى المركز

كانت لتفجيرات 11 سبتمبر/ أيلول 2001 نتائج مباشرة على التيار الجهادي بالمغرب، فهي بمنزلة شهادة الولادة الرسمية لهذا التيار. فخلال تلك الفترة ارتفعت أسهم شيوخ التيار السلفي الجهادي نتيجة تعبيرهم الصريح عن أفكارهم المؤيدة للقاعدة ولأسامة بن لادن. لقد كانت مشاعر التشفي والعداء والحقد نحو سياسات الولايات المتحدة في الشرق الأوسط مختلطة مع مشاعر النصر والفخر بنموذج القاعدة الذي "مرغَّ أنف أميركا في التراب وضربها في عقر دارها"[1].

أسهمت تفجيرات 11 سبتمبر/ أيلول في إحداث تحول في طبيعة الخطاب الجهادي بالمغرب؛ فقد زودته بسجل نضالي[2] سمح له بتأطير الناشطين المتطرفين. ومنذ تلك الفترة، ظهرت ملامح تغيُّر في خطاب شيوخ التيار السلفي الجهادي في اتجاه التماهي مع الخطاب الجهادي العالمي، وتجلَّى ذلك في نوعية المواضيع وطبيعة تناولها، والتي تمحورت أساسًا حول فقه الجهاد.

بالإضافة إلى ذلك، أدت تلك الأحداث إلى تمتين علاقة الشيوخ بالأتباع، وشكَّلت لعدد منهم فرصة لتقلد منصب المشيخة وبناء شرعية لدى أتباع التيار الجهادي في المغرب، رغم الاختلاف الكامن على مستوى التعامل مع النظام وتكفيره والاستعداد للخروج عليه، لكن تأييد تفجيرات 11 سبتمبر/ أيلول رفعت أسهم العديد منهم عند أبناء التيار[3].

(1) مقابلة الباحث مع م.ر. معتقل سلفي سابق، الدار البيضاء، 15 أغسطس/ آب 2013.

(2) للمزيد حول نظرية الحركات الاجتماعية، انظر:

Sidney Tarrow, Power in Movement: Social Movements, Collective Action and Politics) New York, Cambridge University Press,1994)

(3) محمد رفيقي أبو حفص، "سلسلة مراجعات لا تراجعات" (الحلقة 20)، جريدة أخبار اليوم، 14 يوليو/ تموز 2015، (تاريخ الدخول: 4 فبراير/ شباط 2019): (http: //www.alyaoum24. com /332182.html)

## أولًا: 11 سبتمبر/أيلول وتأصيل العنف

كانت النقطة المشـتركة التي جمعت بين شـيوخ التيار الجهادي وأتباع التيار هو تأييد الفكرة الجهادية ونموذج الدولة الإسـلامية الذي جاءت به حركة طالبان وأيضًا الانبهـار بنموذج أسـامة بن لادن باعتباره تجربة يُقتدى بـه، وكان تنظيم القاعدة في نظرهـم بمنزلة رأس الحربة في مواجهـة الهيمنة الأميركية. وقد كانت مواقف هؤلاء الشـيوخ تختلف فقط في درجة وأسـلوب إعلان أو إضمار هـذا التأييد[1]. لقد كان الجهاديـون في المغرب ينظرون إلى أسـامة بن لادن باعتبـاره "أيقونة النضال ورمز الحق وآخر ما جاد به الزمن من أبطال الأمة"[2]؛ فقد وصف الفيزازي الشيخ ابن لادن بكونه "صحابيًّا من القرن العشرين"[3]. وبعد أسبوعين من أحداث 11 سبتمبر/ أيلول، ألقى الشيخ محمد رفيقي أبو حفص خطبتين متتاليتين أبدى فيهما تعاطفه وتماهيه مع أيديولوجية القاعدة، فضلًا عن دفاعه عن الشـيخ أسامة بن لادن، ومباركته للعمليات التـي نفذتهـا في الولايات المتحدة الأميركية معتبرًا أنـه: "علينا أن نفرح بما أصاب أميركا، وأنْ سلَّط الله عليها جندًا من جنوده"، مؤكدًا في الوقت نفسه أن الحرب التي أعلنتها الولايات المتحدة الأميركية ضد شخصية ابن لادن وأفغانستان، هي بالأساس حرب على الإسلام[4].

كما ركز الفيزازي في خطبه وكتاباته، إبَّان تلك الفترة، على تأييد الفكرة الجهادية، ولاسـيما الجهاد الأفغاني، وقام بشكل خاص بدعم الجماعة الإسلامية المسلحة في مراحل معينة في منتصف التسعينات[5]، كما اتخذ موقف تأييد ضمني للقاعدة وزعيمها أسامة بن لادن[6]. وبدلًا من ذلك ألقى باللوم كله على الولايات المتحدة وحلفائها في

(1) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع عبد الفتاح الحيداوي، الرباط، 14 ديسمبر/ كانون الأول 2012.

(2) أبو حفص، سلسلة مراجعات لا تراجعات، مرجع سابق.

(3) محمد دحان، "من يريد الفتنة بهذا البلد؟"، موقع جماعة العدل والإحسان، 22 ديسمبر/ كانون الأول 2005، (تاريخ الدخول: 6 يونيو/ حزيران 2014): (/ http: / /www.aljamaa.net /ar /document /3129.shtml)

(4) خطبة للشيخ محمد عبد الوهاب رفيقي، في سنة 2001، معلِّقًا على أحداث 11 سبتمبر/ أيلول 2001، (تاريخ الدخول: 10 أغسطس/ آب 2014)، على الرابط التالي: / https: / /archive.org /details/ Abo-Hafs-Albagrebee

(5) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع م.ر. مدينة الدار البيضاء، يوم 17 أغسطس/ آب 2013.

(6) محمود معروف، علاقة المغرب بالتيارات السلفية.. تصحيحٌ أم توظيف؟ 22 أبريل/ swissinfo.ch،

حربها على أفغانستان، في بيان منشور بعد أحداث 11 سبتمبر/ أيلول، واعتبرها حربًا على الإسلام والمسلمين. اكتفى الفيزازي بإدانة "الإرهاب الأميركي على بلاد الإسلام هناك وفي فلسطين وفي غيرهما، والوقوف ولو بقلوبنا -وهو أضعف الإيمان- مع كل مسلم مظلوم على وجه الأرض"، ودعا المسلمين إلى التعبير عن رفض غزو أفغانستان "بكل ما يملكون من وسائل شرعية وتصرفات واعية"[1].

التأصيل الفقهي للعنف

كان الجهاديون المغاربة في حاجة لتأصيل شرعي لمشروعية العمليات الانتحارية ضد أميركا، وكانت التبريرات الأيديولوجية المقدمة تعتمد على مبدأ الولاء والبراء ومسألة التترس. وبخصوص مبدأ الولاء والبراء، فقد كان الجهاديون يعتبرون أميركا دولة محاربة ومعادية للإسلام والمسلمين، ومن ثمة ينبغي الفرح لكل ما أصابها من حزن ودمار. كما تم تبرير مقتل أبرياء في العملية من ناحيتين، أولاهما: أن قتلهم لم يكن مقصودًا لذاته وإنما كان تابعًا، والثاني: أن الذين قُتلوا مواطنون أميركيون ويدفعون الضرائب، وهم راضون عن السياسات الأميركية في المنطقة. كما أن خرق أميركا للعقود مع العالم الإسلامي يجعلها بالتالي دولة معادية، وهذا مبرر كاف لعدم الالتزام بعقود الأمان معها[2]. أما بالنسبة للتترس، فقد ذهب الجهاديون إلى التوسع فيها. ويُقصد بالتترس هو اختباء مجموعة من جنود العدو في مكان يقيم فيه مدنيون و/ أو مسلمون غير معنيين بالقتال، ويتصادف وجودهم مع اندلاع المعركة في مناطق النزاع. وقد أثار هذا الموضوع نقاشًا فقهيًّا حول جوازه من عدم جوازه. وفي موضوعنا المرتبط بموقف الجهاديين بالمغرب، فقد كانوا يذهبون في اتجاه تبرير مسألة التترس، أي تبرير قتل المدنيين بشكل غير مقصود إذا كان الهدف الأصلي هو قتل جنود العدو. ونسوق هنا نموذجًا لخطبة جمعة ألقاها الشيخ أبو حفص في نهاية 2001 حول هذه المسألة بالضبط، يقول فيها:

"لو جاء الكفار بأسرى من المسلمين ووضعوهم على الخط؛ أجمع الفقهاء

---

نيسان 2014، (تاريخ الدخول: 16 يونيو/ حزيران 2013): https: / /2u.pw /FmEzd

(1) محمد بن محمد الفيزازي، "بيان حول حرب أميركا وحلفائها على الإسلام"، موقع التوحيد والجهاد، طنجة، 4 نوفمبر/ تشرين الثاني 2001، (تاريخ الدخول: 10 يناير/ كانون الثاني 2015)، الرابط: http: / /www.tawhed.ws /r?i=dd6z4q4m

(2) رفيقي، مراجعات لا تراجعات.

أنــه يجوز أن تضرب هؤلاء المســلمين وقَتْلهم، ويُبعثــون على نياتهم، فإن جاز قتل المســلمين من أجل البلوغ إلى الكفار، فكيف بالأنجاس من أبناء النصارى؟! فحتى لو كان في العمارة مســلمون فجاز قتلهم، لأن العلماء أجمعوا أنه لو احتمى الكفار بالمسلمين جاز قتل المسلمين"[1].

رفــض الجهاديــون المواقف التي كانت تتعارض مع مواقفهم ســواء من طرف التيارات الإسلامية الأخرى أو الموقف المغربي الرسمي المؤيد للحرب على الإرهاب والقاضي بمساندة الولايات المتحدة في غزو أفغانستان. وقد برز هذا التوجه عمليًّا في انتقاد موقف الزعامات والحركات الدينية في العالم العربي والمغرب من أحداث 11 ســبتمبر/ أيلول، خاصة مواقف الشيخ يوسف القرضاوي، وحركة التوحيد والإصلاح. فحســب أبو حفص، فإن تعزية حركة التوحيد والإصــلاح للرئيس الأميركي، جورج بوش، في أحداث 11 سبتمبر/ أيلول 2001 دليل على أن الزعامات الدينية في المغرب لا تفقه شيئًا في عقيدة الولاء والبراء. واستنكر في الوقت نفسه، أن تقوم حركة إسلامية بإرســال رســالة إلى الرئيس بوش وشبَّهها بشخص أرسل رسالة إلى أبي جهل يعزي فيه قتلى كفار قريش[2].

بالإضافة إلى ذلك، انتقد الجهاديون موقف الشيخ يوسف القرضاوي، الذي أدان تفجيرات 11 ســبتمبر/ أيلول 2001، وتعاطفه مع الشــعب الأميركي بسبب ما حصل له[3]. وهم قد تماهوا في ذلك مع المواقف التي عبَّر عنها تنظيم القاعدة وقياداته؛ فقد اعتبر الشيخ أبو حفص أن الشعب الأميركي مسؤول عمَّا وقع له لأنه اختار مسؤوليه عن طريق الديمقراطية وبالتالي فبوش "لا يمكن أن يتخذ أي قرار إلا بموافقة مجلس النواب [الكونجرس]، وأن مجلس النواب يتم اختياره من الشــعب، والشعب 90 في المئة يضمر العداوة للمســلمين.. ونأتي نحن نذرف الدموع ونبكي.. بل هذا مما تقر

(1) المرجع السابق.

(2) خطبة للشيخ محمد عبد الوهاب رفيقي، في سنة 2001، معلِّقًا على أحداث 11 سبتمبر/ أيلول 2001، (تاريخ الدخول: 10 ديسمبر/ كانون الأول 2013)، منشورة على الرابط التالي: https: / /archive. org /details /Abo-Hafs-Albagrebee

(3) "د. القرضاوي يدين الهجمات الإرهابية"، موقع الشيخ يوسف القرضاوي، 2 أكتوبر/ تشرين الأول 2001، (تاريخ الدخول: 10 ديسمبر/ كانون الأول 2013): http: / /qaradawi.net /new /all-fatawa /1335-

به قلوب المؤمنين.. وهو عيد من أعياد المسلمين"[1].

استند الجهاديون في تبريرهم على كتابات منظِّري السلفية الجهادية لاسيما كتاب للشيخ ناصر الفهد[2] بعنوان: "التبيان في حكم من أعان الأميركان"[3] الذي ارتكز فيه على ما جاء في كتاب نواقض الإسلام العشرة للشيخ محمد بن عبد الوهاب، والتي اعتبر فيها أن مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين هو الناقض الثامن للإسلام[4]. وقد توصل الجهاديون المغاربة آنذاك إلى استنتاج هو أن المشاركة المغربية في الحرب على أفغانستان -ضمن الحلف الذي دعت إليه أميركا للحرب على الإرهاب- تعتبر ردَّة وكفرًا، وهو استنتاج تبنَّاه مجموعة من السلفيين آنذاك مثل الشيخ أبو حفص والشيخ حسن الكتاني والشيخ عمر الحدوشي والشيخ عصام البشير المراكشي[5].

وفي السياق نفسه، أصدر حسن الكتاني "فتوى علماء المغرب حول دخول المغرب ودول العالم الإسلامي في الحلف الذي دعت إليه أميركا ضد الإرهاب"، ووقَّع عليه ستة عشر عالمًا، عبَّروا فيه عن رفضهم دخول المغرب في الحلف العالمي لمحاربة الإرهاب[6]. وقد أثارت هذه الفتوى جدلًا إعلاميًّا وسياسيًّا؛ حيث شنَّ عدد

(1) المرجع السابق.

(2) يعتبر الشيخ ناصر الفهد من منظِّري التيار الجهادي، وقد اعتقلته السلطات السعودية بسبب آرائه الراديكالية ومساندته العلنية للقاعدة.

(3) ناصر بن حمد الفهد، التبيان في كفر من أعان الأميركان، نوفمبر/ تشرين الثاني 2001. د.ن.

(4) المرجع السابق.

(5) أبو حفص، مراجعات لا تراجعات.

(6) تَعتبر هذه الفتوى أيضًا أن الدخول في مثل هذا الحلف يضع الأراضي المغربية والإسلامية تحت "تصرف الجيوش الأميركية ويجعلها قواعد تنطلق منها الطائرات والبوارج الأميركية ضد إخواننا المسلمين"، وهو أمر محرَّم من الناحية الشرعية، حسب البيان، باعتباره يدخل في باب "التعاون مع الكافر على المسلم" والذي يعتبره حسن الكتاني "كفرًا بالله تعالى، وخروجًا من الملة". كما انتقدت ذات الفتوى مشاركة مسؤولين حكوميين في قداس ديني منظَّم بإحدى كنائس الرباط تضامنًا مع ضحايا هجمات 11 سبتمبر/ أيلول والذي شهد حضور مستشاري الملك محمد السادس ووزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، عبد الكبير العلوي المدغري، والوزير الأول، عبد الرحمن اليوسفي، والسفيرة الأميركية في الرباط. للمزيد من التفاصيل، انظر: "فتوى علماء المغرب حول دخول المغرب ودول العالم الإسلامي في الحلف الذي دعت إليه أميركا ضد الإرهاب"، موقع الشيخ حسن الكتاني، د.ت.، (تاريخ الدخول: 5 يونيو/ حزيران 2014): (.http: //www.hassankettani

من وسائل الإعلام حملة عليه، كما قامت السلطات الأمنية بالضغط على الموقِّعين على البيان، مما أدى إلى سحب العديد منهم لتوقيعهم.

بالرغم من أهمية الدور الذي لعبته أحداث 11 سبتمبر/أيلول في إعطاء دفعة للتيار الجهادي للبروز والنشاط بشكل أكبر، إلا أن التحول الأكبر في مسار هذا التيار سيحصل سنة 2003 بعد تفجيرات الدار البيضاء.

## ثانيًا: تفجيرات الدار البيضاء 2003

وقعت تفجيرات الدار البيضاء ليلة الجمعة، 16 مايو/أيار 2003، وهو اليوم الذي يتصادف مع ذكرى تأسيس الشرطة المغربية. ففي الساعة العاشرة مساء فَجَّر 12 من أصل 14 انتحاريًّا أنفسهم بأربع مناطق مختلفة وقريبة من بعضها البعض وسط مدينة الدار البيضاء. استهدفت التفجيرات أساسًا مناطق سياحية ودينية، وهي: المركز اليهودي، وفندق فرح، ومطعم كازا إسبانيا، ومطعم بوزيانيو[1]. تفيد المعطيات التي تم تجميعها وتركيبها بالإضافة إلى تحليل الخلفيات الاجتماعية لهؤلاء المعتقلين، أن أغلبهم يشتركون في عدد من الميزات التي تجعل من إمكانية انخراطهم في العنف المسلح أمرًا واردًا [2].

### التهميش المؤدي إلى التطرف

شكلت تفجيرات الدار البيضاء نموذجًا مثاليًّا للتهميش المؤدي للتطرف؛ فقد اجتمعت أربعة عناصر تساعد على فهم أسباب حصول التفجيرات في تلك المنطقة:

- الإقصاء الاقتصادي والاجتماعي لفئة الشباب.
- غياب البديل للخروج من وضعية التهميش.
- مناخ سياسي دولي مناهض للهيمنة الأميركية وسياساتها.

---

(info /fatwa.php

(1) "Terror blasts rock Casablanca". BBC, 17 Mai 2003, (accessed, 5 June 2014) http://news.bbc.co.uk/go/pr/fr/-/2/hi/africa/3035803.stm

(2) تم توظيف الكثير من المعطيات الواردة في هذا المحور من بحث الدراسات العليا المعمقة الذي أنجزه عبد الله الترابي، في Science Po Paris سنة 2003 تحت إشراف جيل كيبيل، وسلَّمني نسخة منه.

– نشوء تيار سلفي جهادي في تلك المناطق وحصوله على مشروعية عملياتية.

ولعـــل فـــي هذه الفقرات المقتطفة من إحدى المقابـــلات التي أجريتها مع أحد أعضـــاء خلية مرتبطة بالفكر الجهادي والتي كانت تنشـــط بحي ســـيدي مومن بالدار البيضاء، وهو نفس الحي الذي خرج منه منفِّذو تفجيرات الدار البيضاء ســـنة 2003، ما يعزز ذلك:

منذ طفولتي وأنا أحمل أفكارًا ثورية، وهذا بســـبب ظروفي الاجتماعية المزرية؛ فمنذ الطفولة كُنت ندبّر على راســـي بوحدي لوحدي. بمجرد خروجي من المدرســـة كنت أتوجه إلى الســـوق مباشـــرة لأبيع الميكات أي الأكياس البلاســـتيكية، من أجل مساعدة عائلتي، لم نكن نمتلك لا ضو لا ما لا كهرباء ولا ماء صالح للشرب، وإنما فقط لقْهَرة القهر والصراع في المجتمع.

العنـــف كان ممارسًـــا علينـــا داخل المجتمع، وإن لم تكن قويًّـــا بما فيه الكفاية ياكلـــوك الآخرين وســـيمارس عليك العنف حتمًا. ومنـــذ طفولتي كنت على يقين أن القوة العضلية هي التي تحميك من الآخرين، لذلك كنت أمارس الرياضة بشكل منتظم حتى أحمي نفسي.

العنف كان ممارس علينا أيضًا في المدرسة. تخيل أنه في الصباح الباكر تدخل إلى المدرسة والمعلم يقوم بضربك بقسوة لأنك لم تحضر الدرس، دون معرفة ظروفي الشخصية، مثل عدم امتلاكي نقودًا لشراء الكتب وغيرها.

لم نجد في تلك الفترة أحدًا يوجه حماستنا، فبسبب حقدي على الوضع ورغبتي في إحداث تغيير جذري للواقع، فلو التقيت باليســـار لأصبحت يســـاريًّا آنذاك، وأي واحد يســـعى للتغيير كنت ســـأكون معه إذا كان يتفق مع القناعات التي كنت أحملها والتي كانت كلها تدور ضد الظلم والحكرة والاستبداد.

في فترة الســـجن، تعرفت على هذا الشـــخص عبد الفتاح الحيداوي، واحتضنني وكان بمنزلة الأب وتعلمت منه الكثير من الأشياء، وأتممت دراستي العليا بعدما كنت توقفت في الســـنة التاســـعة الإعدادي، وأيضًا اقتنعت عبر النقاشـــات التي أجريتها في الســـجن معـــه ومع بعض المعتقلين بمراجعة أفكارنا وضمنهـــا نبذ العنف، ولكن في نفس الوقت الدفاع عن الحق بالكلمة وبالتي هي أحسن.

بعد خروجي من الســـجن سأشتغل على توجيه الشباب ونصحهم لكيلا يكرروا

الأخطاء التي وقعنا فيها، ولكيلا تضيع منهم 13 سنة في السجن مثلما وقع لنا[1].

الحوار أُنجز بعد 13 سنة من التفجيرات الإرهابية وبعد خروج هذا الشاب الذي كان محكومًا عليه بالسجن المؤبد، وهو يعكس مختلف المراحل التي مرَّ منها التيار الجهادي بالمغرب خلال العقدين الأخيرين.

لم يكن منفذو تفجيرات الدار البيضاء منحدرين من الأحياء الراقية للدار البيضاء، بل كانوا ينحدرون كلهم من منطقة حي سيدي مومن الهامشي، وبالضبط كاريان حي صفيحي طوما ودوار السكويلة اللذين كانا مسرحًا لعمليات التحضير العملياتي.

تتميز منطقة سيدي مومن بتحول ديمغرافي هو الأسرع على مستوى المملكة؛ فقد تضاعف عدد الساكنة خلال عقد من الزمن، ففي الفترة بين 1994 و2004 انتقل عدد الساكنة من 134 ألف نسمة إلى أكثر من 290 ألف نسمة سنة 2004 بمعدل نمو سكاني أعلى على المستوى الوطني. فمنذ سنة 1994 عرفت هذه المقاطعة وتيرة نمو وصلت إلى حوالي 7.9 في المئة، في حين أن المعدل الوطني هو 1.4 في المئة، و2.1 في المئة بالنسبة للوسط الحضري[2]. لقد وفرت هذه المنطقة مجموعة من الامتيازات لمنفذي التفجيرات؛ فهي بالإضافة لكونها منطقة مهمشة تقع على تخوم مدينة الدار البيضاء، فقد شكَّلت مكانًا للسكن بالنسبة للساكنة الفقيرة التي تشتغل ضمن مجال الاقتصاد غير المهيكل، والمتميز أساسًا بالهشاشة وغياب الأمن. تتميز المنطقة أيضًا بانتشار الإجرام والمخدرات والسلوكات الخارجة عن القانون، وكانت إلى حدود تفجيرات الدار البيضاء صعبة الولوج على أجهزة الأمن.

ينحدر جميع أعضاء الخلية الانتحارية من نفس الحي، وهو كاريان طوما الموجود بحي سيدي مومن[3]، وكانت تربط بينهم علاقات الجوار، وهو ما سهَّل عليهم إجراء لقاءات دورية من دون أن ترصدهم أعين الأمن. مثلًا كان عادل الطايع

(1) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع يوسف، مدينة الدار البيضاء، 15 نوفمبر/ تشرين الثاني 2015.

(2) Projet de renforcement des capacités des jeunes des quartiers pauvres dans la région " de Casablanca, Diagnostic Rapide Participatif sur la situation des jeunes au niveau du bidonville Thomas (Sidi Moumen) ", USAID, Février 2009.

(3) اعتماد سلام، "كارينات انتحاريي 16 مايو/ أيار.. حضر القصدير وغابت الكرامة" موقع هسبريس، 16 مايو/ أيار 2013، (تاريخ الدخول: 4 فبراير/ شباط2019): http: / /www.hespress.com / societe /79334.html

مقربًا من خالد بنموسى وتربطهما علاقة صداقة بفضل الجوار؛ فعندما كان يغيب خالد عن صالونه الخاص بالحلاقة، كان عادل هو الذي يعوضه. كما تأثر سلوك الطايع بعد اعتناقه للأفكار الجهادية، حيث قطع صلته بجميع أصدقائه السابقين، ما عدا صديقه خالد بنموسى الذي تأثر أيضًا بذات الأفكار[1].

هؤلاء الانتحاريون ينتمون إلى الجيل نفسه؛ فكلهم، ما عدا واحدًا منهم، كانوا دون سن الثلاثين أثناء تنفيذ العمليات. ويبلغ متوسط عمر منفذي التفجيرات 25 سنة، في حين أن الشخص الأكبر سنًّا لم يتجاوز 32 سنة عندما فجَّر نفسه ليلة 16 مايو/ أيار 2003.

**الخلفيات الاجتماعية لانتحاريي 16 مايو/ أيار 2003**

| الاسم | السن (2003) | المستوى التعليمي | المهنة | الحالة الاجتماعية |
|---|---|---|---|---|
| خالد بنموسى | 22 سنة | ابتدائي | حلاق | عَزَب |
| محمد لعروسي | 27 سنة | الرابعة إعدادي والتكوين المهني في الدباغة | عاطل | -- |
| محمد العرباوي | 22 سنة | ---- | لحَّام | -- |
| محمد حسونة | 22 سنة | ---- | طالب | عزب |
| سعيد عبيد | 32 سنة | بكالوريا | محاسب/ بدون عمل | --- |
| عادل الطايع | 22 سنة | التكوين المهني | طالب | عزب |

(1) حسن البصري، "13 سنة مرَّت على فاجعة 16 مايو/ أيار 2003"، جريدة الأخبار، 15 مايو/ أيار 2016، (تاريخ الدخول: 22 أبريل/ نيسان 2019): http://www.alakhbar.press.ma/13-سنة-مرت-على-فاجعة-16-مايو/ أيار 2003--26796.html

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| يوسف كوثري | 31 سنة | ---- | عامل | --- |
| محمد مهني | 27 سنة | مستوى جامعي | طالب | --- |
| خالد الثائب | 23 سنة | انقطع عن الدراسة مبكرًا | مياوم | عزب |
| عبد الرحيم بلقايد | 26 سنة | ----- | عامل | --- |
| رشيد جليل | 28 سنة | إعدادي | لحَّام | عزب |
| عبد الفتاح بوليقضان | 29 سنة | ---- | مياوم | متزوج وأب لطفل |
| حسن الطاوسي | 23 سنة | إعدادي | بنَّاء مُتدرِّب | عزب |
| محمد العمري | 24 سنة | ابتدائي | حارس ليلي | متزوج |
| ياسين لحنش | 25 | إعدادي | | متزوج |

**المصدر: تركيب الباحث من مصادر مفتوحة**

ينتمي جميع الانتحاريين إلى نفس الفئة الاجتماعية؛ فبالإضافة إلى كون جميع المفجرين ينحدرون من نفس الحي، فهم أيضًا يشتركون في طبيعة الأنشطة الاقتصادية التي كانوا يزاولونها؛ فقد كانوا إما عاطلين عن العمل أو يشتغلون في مهن هشة كحارس ليلي، أو حلاق، ...إلخ. في حين لم يوجد منهم أي واحد ينتمي إلى فئة الموظفين أو لديه منصب شغل قار. لم تكن وضعية الهشاشة الاقتصادية خيارًا؛ فقد اضطر أغلبهم إلى الانقطاع عن الدراسة لمساعدة الأسرة ومواجهة صعوبات العيش. مثلًا اضطر عبد الفتاح بوليقضان إلى الانقطاع عن الدراسة في المرحلة الثانوية، وعمل

مساعدًا لبائع الحديد المستعمل بأجرة أسبوعية لا تتجاوز 200 درهم حوالي 20 دولارًا، وكان لذلك انعكاسات على صحته بسبب حمل الكثير من الأثقال يوميًّا. وبعد سنة من العمل الشاق في هذه المهنة، تمكن عبد الفتاح من أن ينتقل للعمل في مصنع للأحذية بعد حصوله على دبلوم في التكوين المهني، وهو ما ساعده نسبيًّا على تحسين ظروفه المعيشية مقارنة مع عمله السابق ودفع به إلى الزواج وهو في سن 22 سنة، قبل أن يطلق زوجته بعد ولادة طفله "عبد الرحمن"، نتيجة المشاكل التي كانت في البيت بينها وبين أمه[1].

كما أن هناك من التحق بالفكرة الجهادية نتيجة فشله في تحقيق حلم الهجرة نحو أوروبا؛ مثلًا تأزمت وضعية محمد العروسي الاقتصادية وفشل أيضًا في الهجرة نحو أوروبا، فتحول فجأة نحو التدين، وأصبح منتظمًا في صلواته الخمس بمسجد الحي بعد انخراطه في التيار السلفي الجهادي، بعد مرافقته لصديقه وجاره، محمد مهني، الذي تأثر بشخصيته وسلوكه، وأصبح مثله على مستوى اللباس والتصورات الفكرية[2]. انقطع العروسي عن الدراسة في المرحلة الثانوية، واستطاع الحصول على دبلوم في التكوين المهني، مما مكنه من العمل لسنوات في أحد مصانع النسيج، وهو الأمر الذي وفر له دخلًا مستقرًّا. وبسبب حادثة شغل قُطع فيها إصبع من أصابع يده سيفقد شغله وقطع معها مصدر رزقه. ونتيجة عدم احترام أرباب العمل لالتزاماتهم الاجتماعية تجاه العمال، وضعف الإطار القانوني والمؤسساتي لحماية العمال الذين يتعرضون لحوادث شغل، فقد بقي محمد العروسي لمدة طويلة بدون عمل نتيجة البطالة القسرية وغياب التعويض عن فقدان الشغل؛ وهو الأمر الذي دفعه للتفكير جديًّا بالهجرة السرية نحو الخارج[3]. وقد حصلت حادثة مماثلة ليوسف كوثري الذي اشتغل عاملًا في أحد المصانع لمدة 4 سنوات، وكانت وضعيته الاجتماعية مستقرة، نظرًا للمدخول الشهري المنتظم الذي كان يتحصل عليه، إلا أنه وبعد حادثة عمل تعرض لها اضطر بعدها لمغادرة عمله دون الحصول على أي تعويض من رب العمل[4].

(1) Tourabi, Les Atentats du 16 mai au Maroc.

(2) Ibid.

(3) ولد القابلة، محاكمات الإرهاب بالمغرب.

(4) Tourabi, Les Atentats du 16 mai au Maroc. Op. Cit.

في حين لم يكن خالد بنموسى مهتمًّا بدراسته؛ مما جعله يغادر أقسام الدراسة باكرًا في مرحلة الابتدائي، وقد كان كبقية شباب حيِّه يملك حلم مغادرة المغرب عن طريق الهجرة السرية، كما تعزز هذا الحلم لديه بعد نجاح أخيه في الهجرة نحو إيطاليا من خلال وثائق مزورة[1]. تعلَّم بنموسى الحلاقة في أحد صالونات الحي، من أجل كسب لقمة العيش. وبعد سنوات من الاشتغال في الحلاقة قرر أخيرًا أن يقوم بفتح صالون حلاقة خاص به، إلا أنه سرعان ما سيغير رأيه بعد انضمامه إلى التيار السلفي الجهادي؛ إذ سيرفض الاستمرار في ممارسة هذه المهنة بسبب تعارضها مع أحد مبادئ السلفيين القاضي بإعفاء اللحية والاعتقاد بأن حلق اللحية فعل محرم شرعًا[2]. بدلًا من ذلك اشتغل بنموسى بائعًا متجولًا، كما عمل أيضًا في بيع العصائر والوجبات السريعة، وهي المهن التي يختارها السلفيون كبديل للاشتغال في القطاع العمومي أو الخاص. فالاشتغال في القطاعات الحكومية يعتبر بشكل عام محرمًا بالنسبة للتيار الجهادي، لأنه يدخل في نظرهم ضمن "نصرة الحاكم الطاغوت ويقويه، ومن ثمة فهو كافر مثله، ومن بطانته، رغم أن هذا الوصف لا يلزم كل من عمل في الحكومة"[3].

ينطبق نفس الأمر على القطاع الخاص؛ حيث يعتبرون الاشتغال في الشركات خدمة لأصحابها الذين لا تُعرف مصادر تمويلهم ومآل الأرباح التي يجنونها والتي قد يكون أصحاب تلك الشركات والمصانع مسيحيين ويهودًا. ويعطي السلفيون أيضًا تبريرًا دينيًّا لفضل المهن الحرة مثل التجارة والمهن اليدوية، باعتبارها المهن التي امتهنها الرسول محمد والأنبياء، وباعتبار أن الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم بدأ حياته تاجرًا.

تميز عادل الطايع بتحصيله نتائج مهمة في دراسته بالمرحلة الإعدادية والثانوية، وقد اضطر إلى مغادرة الثانوية والحصول على دبلوم في التكوين المهني من أجل

(1) Ibid.

(2) إدريس ولد القابلة، محاكمات الإرهاب بالمغرب-الحلقة الثانية، موقع ديوان العرب، 1 مايو/ أيار 2007، (تاريخ الدخول: 13 فبراير/ شباط2019): http: / /www.diwanalarab.com /spip. php?article7573

(3) "فتوى: هل كل من يعمل في الحكومة كافر؟" موقع الشيخ أبو بصير الطرطوسي، 18 يناير/ كانون الثاني 2013، (تاريخ الدخول: 6 يونيو/ حزيران 2014)، http: / /tartosi.blogspot. com /2012 /12 /0 =m?html_44-post_blog

العثــور علــى عمل ليعول به نفســه وعائلته، ولكنه لم يحصــل على عمل مما جعله يعاني من البطالة المزمنة قبل أن يتحول إلى بائع متجول بعد انخراطه مع السلفيين[1].

اختلــف الانتحاريــون أيضًا في نوعيــة تدينهم وتجربتهم قبــل الالتحاق بالتيار الجهادي؛ عاش بعض الانتحاريين مرحلة انحراف في السلوك الأخلاقي قبل التحول نحــو الردكلــة الدينية، في حين تحول البعض من نموذج التدين الشــعبي أو الحركي نحو الراديكالية. وفي هذا الصدد، تجدر الإشــارة إلى أن ســعيد عبيد كان متدينًا منذ فترة مبكرة من حياته بسبب تأثره بمحيط أسرته المتدين؛ مما جعله مثالًا وقدوة لباقي شباب الحي. كما أن عبد الفتاح بوليقضان كان يحضر في بعض الأنشطة التي كانت تنظمها حركة التوحيد والإصلاح، وكان لديه اهتمام كبير بالقراءة، التي كان يخصص لهــا -رغم مســتواه التعليمي المتوســط- جزءًا من وقته، بالإضافــة إلى اقتطاع جزء مهم من مرتبه الشــهري لشــراء الكتب، وكانت قراءاته المبكرة تركز على إســلاميين معتدليــن، أمثــال محمد الغزالي ومالك بن نبي[2] قبل أن تتغير قراءاته بعد دخوله إلى التيار الجهادي.

تقريبًا، ســيلج محمد مهني نفس المســار؛ فقد بدأ يتجه نحو نموذج التدين بعد دخوله للجامعة، حيث انخرط أولًا في النشــاط السياســي والدعوي لحركة التوحيد والإصلاح، من خلال المشاركة في أنشطتها الدعوية واجتماعاتها الداخلية، فضلًا عن نســجه لشبكة واسعة من العلاقات الإنسانية مع أعضاء من جماعة العدل والإحسان. إلا أن هذه المشــاركة لم تكن كافية لإشــباع تطلعاته السياســية، ومن ثمة بدأ يبحث عن نموذج أكثر تشــددًا، وهو ما لاحظه أفراد أســرته خلال ســتة الأشهر التي سبقت التفجيرات، وهو ما يؤكده مصطفى مهني الذي لاحظ أن أخاه، محمد مهني، قد تغير

(1) ربما كان سعيد عبيد النموذج الوحيد للنجاح الاجتماعي والمهني مقارنة مع أبناء حيه الآخرين؛ فقد استفاد من أخيه الذي استطاع الخروج من وضعية التهميش التي كان يعيشها في حي سيدي مومن؛ حيث تمكن من الاشتغال كمحاسب في شركة لتوزيع الأثاث وتطور في مساره المهني لينتقل من محاسب إلى مسير للمقاولة ليتمكن في سنوات قليلة من ضبط قواعد العمل في ميدان توزيع الأثاث، وهو الأمر الذي انعكس بشكل إيجابي على عائلته بمن فيهم سعيد، الذي اشترى له سيارة جديدة وكان يزوده ببعض النقود. للمزيد من التفاصيل، انظر: Tourabi, Les Atentats du 16 mai au Maroc..

(2) Tourabi, Les Atentats du 16 mai au Maroc.

في سـلوكه وظهرت عليه علامات التشـدد الديني خلال تلك الفترة، لاسيما أنه كان مواظبًا على مشاهدة أشرطة جهادية رفقة زملائه.

يحكي أحد المعتقلين السـابقين على خلفية أحداث 16 مايو/ أيار 2003[1] في إحدى المقابلات التي أجريناها معه بعد خروجه من السجن أن بدايات التزامه الديني حدثت في نهاية التسـعينات بشكل عادي مثل أي شاب ملتزم حديثًا؛ فذكر أنه عندما التحـق بالجامعة بدأ حينها بأداء واجباته الدينية "بشـكل عادي، أواظب على الصلاة في المسـجد بشـكل مسـتمر، ...إلخ"، وفي الوقت نفسه برز لديه تعاطف مع قضايا الأمة، من ضمنها القضية الفلسـطينية، وبشـكل أساسي القضية الأفغانية، وتنامي تأثير القاعـدة[2]. وقـد لعبت قنوات فضائية إخبارية دورًا فـي رفع وتيرة هذا التعاطف مع القضية الأفغانية من خلال نقلها للأخبار المرتبطة بالوضع الأفغاني، ونشـر أشـرطة القاعدة لاسيما أشرطة زعيمها، الشيخ أسامة بن لادن. العنصر الثاني الذي يفسر تأثره بالفكر الجهادي، يرجع إلى تعرفه على ميلودي زكريا ومجموعة من الشـباب المتأثر بالأيديولوجية الجهادية، نهاية 2000. وهي معرفة تعمقت أكثر في السـجن في الفترة اللاحقة[3].

في حين كان عدد كبير من الانتحاريين محدودين على مستوى التكوين الديني، كان محمـد العمـري مثلًا، حديث التدين عندما بدأ يخرج مع جماعة الدعوة والتبليغ ويرافقهم في خرجاتهم الدعوية، إلا أنه سـرعان ما انتقل إلى السلفية الجهادية بسبب التشكيك الذي أحدثه أحد أصدقائه في مجموعة الدعوة والتبليغ، وهو ما دفعه لتركها واعتناق الأيديولوجيا الجهادية[4].

إلا أن نمـاذج أخـرى تميزت بمسـار متوتر خلال مرحلـة المراهقة؛ فقد كان

(1) وهو أحد أعضاء خلية عُرفت بخلية 86 التي تم اعتقالها عقب أحداث 16 مايو/ أيار بيومين، يوم 18 مايو/ أيار 2003، بسيدي مومن.

(2) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع. الشافعي، حي سيدي مومن، الدار البيضاء، 14 نوفمبر/ تشرين الثاني 2015.

(3) المرجع السابق.

(4) "سيناريو أحداث 16 مايو/ أيار كما رواه أمام المحكمة انتحاريان لم يتمكنا من تنفيذ العملية"، جريدة التجديد، يوم 28 يوليو/ تموز 2003، (تاريخ الدخول: 6 يونيو/ حزيران 2014): https: / /www.maghress.com /attajdid /8314)

محمد مهني يتعاطى المخدرات[1] لاسيما أقراص "القرقوبي"[2]. بالإضافة إلى ذلك كان محمد مهني مولعًا بالفنون القتالية خاصة رياضة الكونغ -فو، وقد كان يمارسها بشكل يومي قبل ولوجه تيار السلفية الجهادية، وكان هو مدرِّب المجموعة التي نفذت التفجيرات.

لقد شكَّلت أحداث 11 سبتمبر/ أيلول 2001 محطة فاصلة في حياة الانتحاريين؛ حيث كان لها الأثر البالغ على مستوى الأفكار والشعور والسلوك. فهي لم تغير فقط من أفكارهم ومعتقداتهم، ولكن أيضًا من نوعية الصداقات التي يربطها. فقد وضع عدد منهم مسافة بينهم وبين أصدقائهم القدامى، وأظهروا تأثرًا بالنموذج السلفي، ليس فقط فكريًّا وإنما أيضًا من خلال اللباس والشكل الخارجي، عبر ارتداء اللباس الأفغاني وإعفاء اللحية. وفي الأشهر التي سبقت أحداث 16 مايو/ أيار 2003، قرر عدد منهم الالتزام دينيًّا؛ حيث أصبح بعضهم يتردد على المسجد بشكل منتظم، وبفضل كونهم يسكنون في نفس الحي، فقد وقعت عملية الاستقطاب نحو التيار السلفي الجهادي من دون إثارة انتباه السلطات، وظهر تحول على مستوى الشكل بحيث قام بعضهم بإطالة اللحية وحلق الشارب، فضلاً عن مقاطعة لكثير من أبناء الحي. كما لاحظ بعض جيرانهم، لقاءاتهم المتكرر مع عناصر أخرى سلفية، خارج المسجد بعد الصلاة يتجاذبون أطراف الحديث حول الجهاد، والأحداث المرتبطة بالعراق وأسامة بن لادن[3].

ومن ثمة، ظهرت البدائل الأكثر راديكالية تمتلك جاذبية أكبر للشباب، لاسيما بعد تفجيرات 11 سبتمبر/ أيلول وارتفاع أسهم القاعدة في الساحة السياسية، وبروز شخصية زعيمها، الشيخ أسامة بن لادن. ومنذ تلك الفترة، لوحظ تغير على مستوى الشكل وطريقة تعامل الانتحاريين مع محيطهم؛ فقد ظهرت علامات الالتزام إن على

(1) Tourabi, Les Atentats du 16 mai au Maroc.

(2) القرقوبي هو اسم شعبي يشير إلى نوع من الأدوية مهدئة للأعصاب تباع في الصيدلية، تُعطى عادة للمرضى نفسيًّا والأمراض العقلية للمساعدة على التخفيف من التوتر ولكن في حالة استهلاك كميات كبيرة منها قد تؤدي إلى نتائج عكسية تمامًا، وتدفع بالفرد إلى حالة من الإثارة المفرطة تجعله غير مبال بمحيطه وتسهِّل أيضًا أعمال العنف، ويلاحظ أن استهلاكها كان سببًا للعديد من الجرائم المروعة، وهذا النوع من الأقراص واسع الانتشار في الأحياء الشعبية بالدار البيضاء.

(3) Tourabi, Les Atentats du 16 mai au Maroc.

مســتوى المظهر الخارجي مثل اللباس الأفغاني المكون من قميص مع سروال قصير فوق كعب الرجل ورأس مغطى بعمامة بيضاء، وإن على مستوى طبيعة الموضوعات التي تجري مناقشــتها، والتي تتمحور أساسًــا حول الجهاد ورموزه المشهورة لاسيما زعيم تنظيم القاعدة، أسامة بن لادن.

**التعبئة والتجنيد**

تشير بعض التقارير الأمنية والصحفية إلى أن أعمال التخطيط والتجنيد للعمليات انطلقت قبل حوالي ستة أشهر من تنفيذها من طرف مجموعة مكونة من 14 شخصًا كانت تربط بينهم علاقات الجوار وأحيانًا القرابة. جرى اســتقطاب منفذي التفجيرات مــن مســجد الحي، وقد كُلِّف بهذه المهمة عبد الفتــاح بوليقضان، الذي كلَّفه الأمير الوطني للمجموعة، عبد الحق بنتاصر، بمهمة استقطاب الشباب[1]. لقد كان عبد الحق بنتاصر يمثل شخصية رئيسة في الأحداث، فالعديد من التقارير الإعلامية تشير إلى أنه "العقل المدبر" لتفجيرات 16 مايو/ أيار، وبالرغم من ذلك، لا توجد معلومات كافية في المصادر المفتوحة عن مســاره الفكري والأيديولوجي، باســتثناء كونه يشتغل في إصلاح الأحذية ومن هنا تلقيبه بــمول السبَّاط، كما أُطلقت عليه ألقاب متعددة، من بينهــا: "أميــر الانتحاريين" و"ولي الأمر" وغيرها. وقد كانت مهمته داخل المجموعة "الانتحاريــة"، هي الإشــراف الفكري والمعنوي والمــادي الدقيق عليهم، وذلك من خلال تنســيقه مع أمراء خلايا الهجمات، وأبرزهم محمد العمري الذي شــكَّل الخيط الناظم في مرحلة ما بعد التفجيرات في كشف أسماء عناصر الخلية[2].

خــلال تلــك المرحلة بدأت المجموعة في التشــكل، ولكنها لم تكن ذات بنية تنظيميــة واضحة؛ فقد كان هناك مســؤول وطني عن الخلية هــو عبد الحق بنتاصر،

(1) أوسي موح لحسن، "القصة الكاملة لليلة التفجيرات الإرهابية "، جريدة الأحداث المغربية، 16 مايو/ أيار 2013، (تاريخ الدخول: 6 يونيو/ حزيران 2014): http: / /www.maghress.com / ahdathpress /131909

(2) مُول السبَّاط.. "أميرُ الانتحاريين" و"الرأس المُدبِّر" لأحداث 16 مايو/ أيار، موقع هسبريس، 16 مايو/ أيار 2013، (تاريخ الدخول: 4 فبراير/ شباط 2019): http: / /www.hespress.com / portraits /79245.html

إضافة إلى قيادات محلية تنفيذية عبد الفتاح بوليقضان، محمد مهني، وياسين لحنش[1]. وكان يتم انتقاء شـباب الحي من المتدينين حديثًا ويجري بعد ذلك ربطهم بمسـؤول إحدى المجموعات. فقد تم تقسيم الخلية إلى أربع مجموعات تضم كل واحدة منها أربعة أفراد تجتمع بشـكل منفصل عن الأخرى. وكُلِّف يوسف كوثري بتحديد طبيعة اجتماعـات هذه المجموعات، حسـب وثيقة كُتبت بخط يـده عثرت عليها المصالح الأمنية بدكان عبد الرزاق الرتيوي، والتي تشير إلى تقسيم تلك المجموعات[2].

فـي المرحلة الأولى من تكوين الخلية، شـكَّل محل عبد الرزاق الرتيوي[3] في عين المكان نقطة لقاء للمجموعة؛ فقد كان يمتلك متجرًا لبيع التجهيزات مواد البناء، تجهيزات منزلية...، اسـتعمله لتمويل أنشـطة المجموعة، وكذلك مقرًّا لعقد اللقاءات بعيـدًا عن أعين الأجهزة الأمنية. وكانت الاجتماعات تُعقد مرتين في الأسـبوع على الأقل بين صلاتي المغرب والعشاء. وقد كان الرتيوي مندمجًا في المجتمع المحلي، بحيث تم اختياره من طرف سـاكنة حيِّه لكي يمثلهم لدى شـركة التزويد بالكهرباء ويتفاوض معها باسـم أبناء الحي، وقد أسـهم وضعه الاجتماعي في إبعاد الشـكوك عنـه[4]. وقد تكلف كل من محمد مهني وعبـد اللطيف أَمَرين بمهمة التعبئة والتأطير الأيديولوجي، واقتصرت اللقاءات الأولى على حفظ القرآن الكريم وإلقاء دروس في السيرة النبوية والصلاة بشكل جماعي، إضافة إلى تبادل الكتب والأشرطة[5].

إبان تلك الفترة أيضًا، تردد بعض شـيوخ السـلفية الجهادية على تلك المنطقة، لاسـيما الشـيخ محمد الفيزازي، والميلودي زكريا، وعمر الحدوشي، إضافة إلى عبد الكريم الشاذلي، وشارك هؤلاء في إلقاء كلمات ومحاضرات في مناسبات اجتماعية، مثل حفلات الزفاف والعقيقة. وقد كانت تلك الدروس تتشارك في السمات والرؤى، لاسيما في اعتبار المجتمع المغربي غارقًا في المنكرات، وأن هذه السلوكات عليها أن

(1) "القصة الكاملة لليلة التفجيرات الإرهابية"، جريدة الأحداث المغربية.

(2) المرجع السابق.

(3) كان الرتيوي محدود التعليم وحُكم عليه بالسجن ثلاثين سنة.

(4) Jack Kalpakian, "Building the Human Bomb: The Case of the 16 May 2003 Attacks in Casablanca", Studies in Conflict & Terrorism, Vol. 28, Iss. 2, 2005.

(5) إدريس ولد القابلة، محاكمات الإرهاب بالمغرب –الحلقة الثانية، موقع ديوان العرب، 18 مايو/ أيار 2007، (تاريخ الدخول: 4 فبراير/ شباط2019): Http: / /www.diwanalarab.com /spip.) (php?page=article&id_article=7573

تتوقف عن طريق الجهاد ضد رموز الفساد[1]. ومن الصعب التحديد على وجه الدقة مـا إذا كانـت هذه الدروس قد أثَّرت فعليًّا في هؤلاء الشـباب الذين نفذوا العمليات الانتحارية، باعتبار أن أحد الانتحاريين الذين لم يفجر نفسه صرَّح لاحقا في المحكمة بأنه لم يكن يحضر دروس شيوخ تيار السلفية الجهادية[2].

إضافـة إلى ذلك، شـكَّلت أشـرطة الفيديو إحـدى أدوات التأطيـر؛ فقد كان الانتحاريون يشاهدون بشكل منتظم أشرطة فيديو حول الجهاد الأفغاني ضد السوفيت ثم الجهاد الشيشـاني ضد الروس. وقد كانت هذه الأشـرطة في تلك الفترة منتشـرة آنذاك في الأسواق عبر الأقراص المدمجة المقرصنة، لاسيما شريط "جحيم الروس"[3] و"عشـاق الشهادة"[4]، وقد كانت أثمنتها لا تتجاوز 10 دراهم دولار واحد. أما اليوم فهي منتشـرة بشـكل كبير على مواقع الإنترنت بشـكل مجاني، وأصبحت الإنتاجات الإعلامية الجهادية أكثر تطورًا بشكل كبير مقارنة مع ما كان موجودًا في فترة التسعينات.

ومع تعمق التأطير والتعبئة الأيديولوجية دخل أعضاء الخلية في مرحلة الإعداد الجسدي عن طريق القيام بتدريبات اللياقة البدنية والجسدية. وقد تكلف رشيد جليل باعتبـاره مدربًا رياضيًّا بمهمة توفير تدريبـات اللياقة البدنية في مخيم تدريبي بمنطقة الواد المالح قرب مدينة المحمدية شمال غرب مدينة الدار البيضاء[5].

خلال هذه المرحلة، قام عبد الفتاح بوليقضان بتنبيه المسؤول الوطني عن الخلية، عبـد الحـق بنتاصر، بأن الخلية جاهزة للعملية. وهناك عـدد من الروايات الإعلامية والأمنية التي تشـير إلى أن هذا الأخير قـام بتمويل المجموعة بمبلغ 18.800 درهم حوالي 1900 دولار وقام بالإشراف على البرامج التنفيذية للمجموعة، واقترح إضافة

(1) Kalpakian, Building the Human Bomb, p: 115.

(2) سناء كريم، "تفاصيل مثيرة تكشفهـا جلسـة المحاكمة حول لغز تفجيرات 16 مايو/ أيار"، جريدة التجديد، يوم 17 مارس/ آذار 2009، (تاريخ الدخول: 4 فبراير/ شباط2019): https: / /www. maghress.com /attajdid /48658)

(3) يمكن مشاهدة الشريط على موقع اليوتيوب، (تاريخ الدخول: 12 ديسمبر/ كانون الأول 2013): https: / /www.youtube.com /watch?v=QQLGGiVJPmo

(4) يمكن مشاهدة الشريط على موقع اليوتيوب، (تاريخ الدخول: 12 ديسمبر/ كانون الأول 2013): https: / /www.youtube.com /watch?v=Kliv_1ChnuQ

(5) القصة الكاملة لليلة التفجيرات الإرهابية " جريدة الأحداث المغربية.

أعضاء أكثر للمجموعة وهو ما دفع كلًّا من بوليقضان وياسين لحنش إلى استقطاب عناصر جديدة[1].

**رسم تخطيطي لخلية 16 مايو/ أيار 2003**

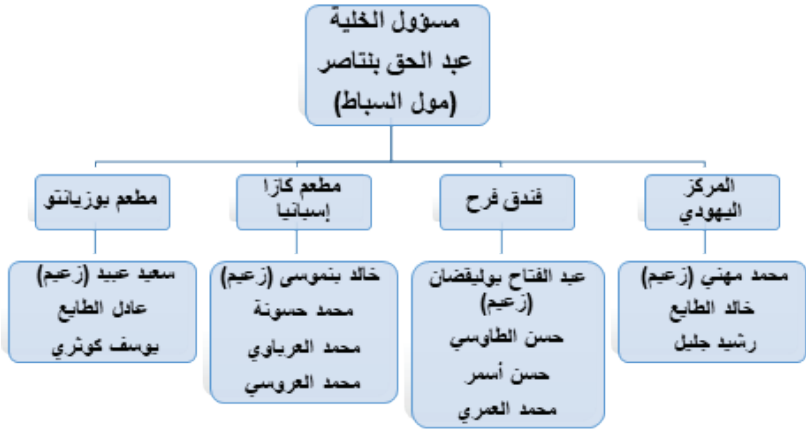


**المصدر: مصادر إعلامية مفتوحة**

بعد الانتهاء من عملية التدريب بدأ البحث عن طريقة لصناعة المتفجرات. ورغم غياب معطيات أكيدة ونهائية، إلا أن المعطيات التي توفرها بعض التحقيقات الصحفية تشير إلى أن كلًّا من عادل الطابع ومحمد مهني كانا قد تطوعا بتحميل تقنيات تصنيع المتفجرات من شبكة الإنترنت، ونسخها في أقراص مدمجة. وبما أن المعلومات كانت بالإنجليزية فقد تم اللجوء إلى محمد حسونة لترجمتها للعربية. إلا أنهم فشلوا في التجربة خلال المرحلة الأولى لصعوبة الحصول على المواد الأولية من الأسواق المحلية[2]. بعدها اتصل عبد اللطيف بوليقضان بأمير الجماعة، عبد الحق بنتاصر "مول السباط"، واقترح عليه استعمال قنينة غاز من الحجم الصغير فارغة يتم فتح مدخلها لإدخال سلكين كهربائيين مُلَحَّمَيْن بمصباح صغير ثم إعادة تلحيم القنينة وملئها بالغاز، وعند إيصال السلكين سيقع انفجار[3]، إلا أنها باءت بالفشل أيضًا.

(1) Kalpakian, Building the Human Bomb, p: 116.

(2) محمد الأشهب، ""الحياة" ترصد تفكيك التنظيمات المتشددة في الذكرى الأولى لهجمات الدار البيضاء"، جريدة الحياة اللندنية، رقم العدد: 15023، الباب/ الصفحة: 14 – قضايا وتحقيقات، 15 مايو/ أيار 2004.

(3) إدريس ولد القابلة، "محاكمات الإرهاب بالمغرب– الحلقة السابعة"، الحوار المتمدن، 21 أكتوبر/

ومن الصعب الجزم بالطريقة التي صنع بها هؤلاء المتفجرات التي استُعملت، ولكن الراجح أنها كانت عبارة عن خليط من المواد الكيماوية المتداولة في الأسواق المحلية. وقد صرح محمد العمري -وهو أحد الانتحاريين الذين تراجعوا عن تفجير أنفسهم في آخر لحظة- بأن كلًّا من محمد مهني وعبد الفتاح بوليقضان هما اللذان تكلفا بالمتفجرات وبإعدادها ووضعها بالحقائب قبل توزيعها على الانتحاريين[1].

وقبل تنفيذ العملية بيومين، اجتمع حسن الطاوسي وعبد الفتاح بوليقضان بمنزل محمد العمري واستمعوا فيه بشكل جماعي لشريط صوتي بعنوان: "رحلة إلى الدار الآخرة"، للشيخ أحمد بن نافع المورعي[2] الذي كان يتحدث فيه عن أهوال القيامة انطلاقًا من تفسير سورة "ق". ثم بعد ذلك بدؤوا في إعداد اللمسات الأخيرة لتحضير المتفجرات[3]. في الليلة التي سبقت التفجيرات، سيلتحق بقية أفراد الخلية، في حين كان أحد أعضاء الخلية يقوم بمهمة المعاينة وتحديد الأماكن المستهدفة[4].

وصباح يوم الجمعة، 16 مايو/ أيار، التحق جميع أعضاء الخلية بمنزل العمري. وبعد الزوال بدأوا بمشاهدة أشرطة "عشاق الشهادة" و"جحيم الروس" بشكل جماعي[5]. وبعد أداء صلاة المغرب والعشاء جمع تقديم، قاموا بحلق ذقونهم حتى لا يثيروا الانتباه. وتكلف أحد أعضاء الخلية بوضع اللمسات الأخيرة من الناحية

---

تشرين الأول 2003، (تاريخ الدخول: 4 فبراير/ شباط2019): (http: / /www.ahewar.org /debat /print.art.asp?t=0&aid=10985&ac=2)

(1) إدريس ولد القابلة، "محاكمات الإرهاب بالمغرب- الحلقة الأولى"، موقع ديوان العرب، 18 مايو/ أيار 2007، (تاريخ الدخول: 4 فبراير/ شباط2019): (http: / /www.diwanalarab.com /spip.php?page=article&id_article=7573)

(2) الشيخ أحمد بن نافع المورعي هو أستاذ بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ومشرف مكتب هيئة الإغاثة الإسلامية، وإمام وخطيب جامع عبد الرحمن فقيه في مكة المكرمة. يبدو متأثرًا بفكر سيد قطب، حيث يصف في أحد مقاطع الشريط سيد قطب، بكونه "شهيد الإسلام".

(3) "خطاب التكفير والكراهية.. يعيد استنساخ نفسه"، موقع ماروك بريس نقلًا عن جريدة الأحداث المغربية، 16 مارس/ آذار 2013، (تاريخ الدخول: 4 فبراير/ شباط2019): http: / /www. marocpress.com /alahdat-almaghribia /article-245422.html

(4) إدريس ولد القابلة، "محاكمات الإرهاب بالمغرب- الحلقة الثانية"، موقع ديوان العرب، 16 مارس/ آذار 2007، (تاريخ الدخول: 4 فبراير/ شباط2019): http: / /www.diwanalarab.com /spip. php?page=article&id_article=7573

(5) المرجع السابق.

التقنيــة[1]، كما ربط العمري الاتصال مع "مول الســباط"، الذي بارك العملية المزمع تنفيذهــا، داعيًا لهم بنجاح مهمتهــم، ليودعوا بعضهم البعض أخيرًا مرددين: "موعدنا في الجنة إن شاء الله"[2].

وفي الســاعة التاســعة والنصف ليلًا خرج "الانتحاريون" بمجموعات صغيرة، خشــية لفت الانتباه، اســتقلوا ســيارات أجرة كبيرة أوصلتهم إلى الأماكن المحددة، وقبــل ذلــك انقســموا إلى أربعة مجموعــات، كل واحدة لها زعيم أو منســق، ولها مهمتها الخاصة. وفي تمام العاشرة مساء من يوم الجمعة، 16 مايو/ أيار 2003، فَجَّر الانتحاريون أنفســهم، وتسببت التفجيرات في مقتل 45 شخصًا ضمنهم 12 من أصل 14 انتحاريًّا وجرح حوالي 100 آخرين[3].

## ثالثًا: ما وراء التفجيرات

أدت تفجيــرات الدار البيضاء إلى تغيرات في السياســات العمومية في المجال الدينــي والسياســي والأمنــي؛ إذ كان يُعتقد أن المغرب في منــأى عن ظاهرة العنف السياسي نظرًا لتميز نظامه باستقرار نسبي مقارنة مع جيرانه، إلا أن الأحداث الإرهابية أنهت مقولة الاستثناء المغربي، وأبرزت أن هذا البلد ليس معزولًا عن محيطه السياسي والثقافي.

تــم تأويل هذه التفجيرات على أنها امتداد لسلســلة أحــداث عرفها العالم منذ هجمــات 11 ســبتمبر/ أيلول 2001، ومــرورًا بتفجيرات الرياض قبل أســبوعين من تفجيرات الدار البيضاء. وقد ذهبت آنذاك بعض التحليلات الصحفية إلى وجود بصمات "تنظيم القاعدة" في تفجيرات الدار البيضاء[4]، ويرجع هذا في نظرهم إلى خطاب ابن

(1) إدريس ولد القابلة، "محاكمات الإرهاب بالمغرب- الحلقة السادسة"، الحوار المتمدن، 20 أكتوبر/ تشرين الأول 2003، (تاريخ الدخول: 4 فبراير/ شباط2019): http: / /www.ahewar.org /debat/ show.art.asp?aid=10955

(2) المرجع نفسه.

(3) "15 عامًا على تفجيرات الدار البيضاء.. «الضربات الاستباقية» مستمرة"، موقع قناة الحرة، 16 مايو/ أيار 2018، (تاريخ الدخول: 16 فبراير/ شباط2019): https: / /www.alhurra.com /a /morocco-casablanca-terrorist-attacks-memorial /436742.html

(4) Terror blasts rock Casablanca, BBC.

لادن الصادر خلال شهر فبراير/ شباط 2003، والذي دعا فيه "الصادقين من المسلمين إلى التحرك [...] للتحرر من عبودية هذه الأنظمة الحاكمة الظالمة المرتدة المستعبدة من أميركا وليقيموا حكم الله على الأرض"، ويعتبر ابن لادن في نفس الخطاب أن المغرب "من أكثر المناطق تأهلًا للتحرير"[1]، إضافة إلى الأردن ونيجيريا وباكستان والمملكة السعودية واليمن. وهو ما أكده وزير الداخلية المغربي، مصطفى الساهل، حيث اعتبر في مؤتمر صحفي، يوم 19 مايو/ أيار 2003، أن تحريات تفجيرات الدار البيضاء "تؤكد فرضيات" علاقتهم "بالإرهاب العالمي"[2].

**اعتماد المقاربة الأمنية**

وكردٍّ فعل على هذه الأحداث، انخرطت الدولة في حملة شاملة لـ"مكافحة الإرهاب" عبر تبني سياسات أمنية متشددة أظهرت حالة من الارتباك في أجهزة الدولة. فباعتبار أنها المرة الأولى التي يتعرض فيها المغرب لهجمات إرهابية بذلك الحجم، باستثناء تفجيرات فندق أطلس إسني سنة 1994، لم يكن هناك مرجع سابق يمكن القياس عليه، ما عدا سنوات الرصاص خلال عهد الملك الراحل، الحسن الثاني، المتميزة بالإفراط في استعمال القمع.

أفرزت ردود فعل السلطات المغربية على أحداث 16 مايو/ أيار 2003 ارتدادات وانعكاسات سياسية وحقوقية، فبعد توجيه الاتهام بشكل مباشر إلى ما يسمى إعلاميًّا وأمنيًّا بـ"تنظيم السلفية الجهادية"[3]، اعتُقل على إثرها مئات الشباب وزُجَّ بهم في السجون بتهم وأحكام ثقيلة، كما قادت الحملة التي كانت تهدف إلى تجفيف منابع التشدد الديني حسب الرواية الرسمية، إلى إغلاق عشرات الجمعيات الدينية ذات الخلفية السلفية، بالإضافة إلى حل أحزاب سياسية ذات مرجعية إسلامية حزب الأمة

(1) أسامة بن لادن، "رسالة إلى إخواننا المسلمين في العراق 1"، د.ت. (بتصرف)، منبر التوحيد والجهاد، (تاريخ الدخول: 15 أكتوبر/ تشرين الأول 2014): http: / /www.tawhed.ws /pr?i=678

(2) "Lundi 19 mai heure par heure", Le Nouvel Observateur, 20 Mai 2003. (Accessed 4 February 2019) http://tempsreel.nouvelobs.com/monde/20030519.OBS1056/lundi-19-mai-heure-par-heure.html

(3) استعمل هذا المصطلح عقب تفجيرات 16 مايو/ أيار لتوصيف الأفراد والجماعات الإسلامية المؤمنة بالعنف الجهادي. وقد انتشر هذا المصطلح بفضل ترويج وسائل الإعلام المغربية.

والبديـــل الحضاري وتـــم التهديد بحل بعضها حزب العدالـــة والتنمية. كما تم اتهام جمعيات وأحزاب ذات مرجعية إســـلامية بـ"المسؤولية المعنوية" عن تلك الأحداث، واتهامها بتوفير غطاء أيديولوجي للعنف السياســـي، من خلال الدعوة أو التســـامح مع دعوات "تكفير" الدولة والمجتمع، والتي وفرت في رأي الدولة مناخًا مناســـبًا للقيام بمثل هذه الأفعال المشينة.

إن تفجيرات الدار البيضاء كانت بمنزلة صدمة لكل من الدولة والمجتمع المغربي. ولقد أدى ارتفاع منسوب التشدد الديني في صفوف السلفيين إلى تشدد مقابل من جهة الدولة، قد يتناسب أو يتجاوز حجم الظاهرة؛ إذ وضعت صدمة التفجيرات الانتحارية الدولة أمام حالة مستجدة لم تتعود عليها من قبل، وأدت إلى ردود فعل قوية استجابة للتحديات الأمنية والسياسية التي بات تفرضها الجماعات المتطرفة على أمن الوطن.

**الاستراتيجية الدينية كأداة لمحاصرة التطرف**

بالإضافـــة إلى اعتماد المقاربة الأمنية، قامت الســـلطات المغربية بإعادة صياغة اســـتراتيجيتها الدينيـــة لمواجهـــة التحديـــات المفترضة التي بات يفرضها ما يســـمى بـ"التهديـــدات الإرهابيـــة" والعمل على تجفيف منابـــع التطرف وتضييق الخناق على المحاضن التي تشـــكِّل بيئة مواتية للتطرف. وقد اعتمدت سياســـة الدولة على مقاربة متعددة المستويات على الأصعدة الاقتصادية والسياسية والأمنية.

لم تنتبه الدولة إلى التحولات العميقة التي عاشها المجتمع المغربي في علاقته بالتدين، إلا بعد وقوع أحداث 16 مايو/ أيار 2003 بالدار البيضاء، حيث أَشَّرت هذه الأحـــداث إلـــى تغير عميق في علاقة كل من المجتمع والدولة بالمجال الديني، وكان أبـــرز هذه التحولات ظهـــور فاعلين دينيين جدد أصبحوا نشـــطين في التأطير الديني خارج الأطر الاجتماعية التقليدية مثل الأسرة أو مسجد الحي، وأصبح لهؤلاء الفاعلين مرجعيات عابرة للحدود.

أعادت الدولة صياغة سياستها الدينية عبر توسيع دائرة نفوذها في هذا المجال، وتضييق مجال تدخل المنافســـين من الفاعلين غير المؤسساتيين Non-state actors في التأطير والتعبئة الدينية. وقد تجســـدت السياســـة الدينية الجديدة للدولة في تبني مشـــروع تأطيري واسع أُطلق عليه "مشروع إعادة هيكلة الحقل الديني"، سنة 2004، بهدف مأسســـة هذا المجال وضمه لمجال نفوذ الدولة وســـيطرتها وكذلك الدفع نحو

احتكار الرمزية الدينية في يد الملك باعتباره أميرًا للمؤمنين.

اعتمدت الدولة على حزمة من المبادرات من أجل تدبير المجال الديني، سواء على مستوى التأطير الديني أو توفير الموارد المالية والبشرية والإرساء المؤسساتي. ولهذا سارعت إلى إطلاق مشروع "إعادة تأهيل الحقل الديني"، الذي أعلن عنه الملك محمد السادس في خطاب 30 أبريل/ نيسان 2004، بهدف تحصين المغرب "من نوازع التطرف والإرهاب، وحفاظًا على هويته المتميزة بالوسطية والاعتدال والتسامح"[1]، ونتج عنه عملية ضبط شاملة للحقل الديني واحتكار التدخل فيه من خلال تقنين مؤسسة العلماء وتشجيع الزوايا الصوفية، وأيضًا من خلال محاولة مواكبة التطور الذي عرفه العالم المعاصر عبر إدماج الدولة للخطاب الديني في وسائل الإعلام، مثل إنتاج برامج دينية خلال بعض المناسبات الخاصة، مثل الدروس الحسنية أو تأسيس قناة السادسة وإذاعة محمد السادس للقرآن الكريم.

أهم سمة لهذا المشروع هو طابعه الشمولي، فهو يضم المستوى 1 التشريعي و2 التدبيري-المؤسساتي و3 التأطيري-الفكري.

على المستوى التشريعي، تمت المصادقة على عشرات القوانين التي تهم المجال الديني، من تنظيم المساجد وبنائها، وتحسين وضعية الأئمة والخطباء، واستصدار مدونة للأوقاف وغيرها من القضايا التي تهم تدبير الحقل الديني. فقد اعتبر وزير الأوقاف أن المغرب تأخر أربعين سنة عن إطلاق هذا المشروع. إنه تعبير عن رغبة في استدراك ضعف الدولة في نشر التدين المعتدل وعدم قدرتها على ضبط الخطابات المروجة في المساجد وانتشار خطابات تتسم بالراديكالية والتشدد خلال العقدين الماضيين. فقد تم إرساء سياسات عمومية في المجال الديني بهدف ضبطه وتكريس الاستمرارية، حيث تم بمقتضى الظهائر والتشريعات إعادة هيكلة مؤسسة العلماء بالرفع من عدد المجالس العلمية لتشمل كل جهات المملكة، ثم إعادة إصدار قانون تنظيمي للمجلس العلمي الأعلى والمجلس العلمي للمغاربة المقيمين بالخارج، وتقنين إصدار الفتوى وضبط وإحصاء المساجد وإطلاق مجموعة من المبادرات والبرامج التكوينية والتثقيفية بهدف إنتاج "موظفين" في الحقل الديني بأفكار تتناسب مع اختيارات الدولة السياسية

(1) خطاب الملك محمد السادس أمام المجلس العلمي الأعلى والمجالس الإقليمية العلمية، يوم 30 أبريل/ نيسان 2004، موقع الحكومة المغربية، (تاريخ الدخول: 4 فبراير/ شباط2019): http: // www.maroc.ma

والفكرية.

إن تكريس احتكار إنتاج الخطاب الديني من طرف الدولة يتم عبر أداتين: أولًا: الفتوى باعتبارها أهم أداة في الصراع داخل الحقل الديني وانعكاساته السياسية، ثانيًا: الخطاب المسجدي، حيث تعمل الوزارة الوصية على مراقبة المساجد وضبطها بتعاون مع وزارة الداخلية عن طريق السلطات المحلية.

مسار المركزة والضبط هذا تم عبر مسار مؤسساتي تمثل في توحيد الخطاب الديني في مضمونه وفي توحيد إصدار الفتوى. والهدف من عملية التوحيد تلك هو ضبط مصادر إنتاج المعرفة الدينية والتأطير الديني، عبر تأميم المساجد وفضاءات ودور العبادة والتعليم الديني، وهو اختيار يسعى إلى توسيع حدود تدخل المؤسسات الرسمية والحد من نفوذ الفاعلين غير المؤسساتيين في المجال الديني. وسيتم تنزيل هذا المشروع الجديد على المستوى الواقعي من خلال عمل تشريعي تدعمه بيروقراطية إدارية وموارد بشرية ومالية وُضعت تحت تصرفه.

# الفصل الخامس
# الجيل الثاني

تُعتبــر مرحلة ما بعد 2003 مرحلة مهمة في مســار التيــار الجهادي بالمغرب؛ فقــد وفرت الســياقات المحلية والدولية فرصًا للتيار الجهــادي للتعبئة وأعطتها دفعة جديدة. فبعد تشــديد الخناق الأمني على التيار الجهادي محليًّا لم يجد نشــطاء التيار من خيار غير التحول نحو البعد العالمي عبر الالتحاق ببؤر التوتر في الخارج، لاسيما في الجزائر، ثم العراق.

ويحاول هذا الفصل تســليط الضوء على الجيل الجديد من المتطوعين المغاربة في ساحات القتال في الخارج في الفترة بين 2003 و2011، لاسيما في الجزائر التي تربطها حدود مع المغرب، كما ســيتعرض للتحولات التي عرفها الشرق الأوسط بعد الغزو الأميركي للعراق سنة 2003، ودورها في استقطاب الجهاديين المغاربة نحو بؤر التوتر التي صنعها التدخل الأميركي.

## أولًا: الجهاديون المغاربة في الجزائر

بعد الغزو الأميركي لأفغانســتان، نهاية 2001، تم طرد تنظيم القاعدة من معقله الأساسي الذي وفرته له حركة طالبان؛ ونتيجة لذلك اضطر إلى تبني استراتيجية جديدة للتكيف مع هذا المتغير تقتضي اعتماد مبدأ اللامركزية في الاشتغال عن طريق إيجاد فروع محلية له والتحالف مع تنظيمات جهادية إقليمية، بحيث تمنح القاعدة اســمها وتقدم تمويلها مقابل أن تحصل على ولاء التنظيم الإقليمي وبيعته للقاعدة المركزية. وهي استراتيجية وُضعت قيد التشغيل منذ سنة 2003 عبر إيجاد فروع لتنظيم القاعدة في الجزيرة العربية والعراق وشمال إفريقيا[1].

(1) للمزيد حول موضوع استراتيجية القاعدة وتوجهها نحو اعتماد اللامركزية يمكن الرجوع أساسًا إلى منظِّرها الرئيس، أبو مصعب السوري، الذي اقترح على القاعدة الاشتغال بهذا المبدأ، انظر: عمر عبد الحكيم، (أبو مصعب السوري)، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، منبر التوحيد والجهاد، ديسمبر/ كانون الأول 2004.

ولفهـــم توجه جزء من المتطوعين المغاربة نحو تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإســـلامي الذي كان ينشـــط في الجزائر ومالي ومنطقة الساحل جنوب الصحراء بدلًا من القاعدة في بلاد الرافدين بالعراق، من المفيد تســـليط الضوء على عناصر الجذب والطرد في التجربة الجهادية الجزائرية. ففي منتصف التسعينات، حيث أغرت القضية الجزائرية الجهاديين عبر العالم أملًا في تحولها لتكون محطة للمتطوعين العرب بعد نهاية الحرب في أفغانســـتان. فقد بعث أســـامة بن لادن بعض مســـاعديه لاســـتطلاع الأوضاع وتقديم الدعم المادي والســـلاح، كما أرســـلت الجماعة الإسلامية المقاتلة الليبية العديد من مقاتليها للمشاركة الميدانية في الجزائر، في حين كانت مساندة بعض الجهاديين المغاربة تتم من خلال توفير الدعم اللوجســـتيكي مثل نقل السلاح وتسفير المقـاتلين إلى الجزائـر[1]. علاوة على ذلك، حصل الجهاديون في الجزائر على الدعم الأيديولوجي للتيار الجهادي العالمي، لاســـيما تيار أبو قتادة الفلســـطيني وأبو مصعب الســـوري في لندن والذي شـــكَّل لفترة طولية خزانًا للدعم الأيديولوجي للجماعات الجهادية في الجزائر. ورغم أن الشيخ أبو قتادة الفلسطيني قام بتبرير الأعمال الإرهابية التي كانت تنفذها الجماعة الإســـلامية المسلحة GIA في الجزائر عبر عموده الصادر في مجلة الأنصار، لاســـيما "فتوى جواز قتل النســـاء والأطفال من أُسَر رجال الأمن والســـلطة ردًّا على أفعـــال تلك الأجهزة بأهالي المجاهديـــن"[2]، إلا أنه تراجع عنها لاحقًا[3].

---

يمكن أيضًا الاطلاع على عدد من الدراسات والتحليلات حول الموضوع، ونقترح التالي:
Nathan Brant Hamilton Decentralized Terrorism: Ramifications for a Centralized International System, Global Security Studies, Spring 2012, Volume 3, Issue 2 p: 24.
Brad Mcallister, Al Qaeda and the Innovative Firm: Demythologizing the Network, Studies in Conflict & Terrorism , Vol. 27, Iss. 4, 2004

(1) عمر عبد الحكيم (أبو مصعب السوري)، مختصر شهادتي على الجهاد في الجزائر، د.ت. د.ن. ص: 21.

(2) أبو قتادة الفلسطيني، "فتوى عظيمة الشأن في مسألة قتل الذرية والنسوان درءًا لخطر هتك الأعراض وقتل الإخوان"، مجلة الأنصار، العدد 90، بتاريخ 30 فبراير/ شباط 1995، (تاريخ الدخول: 4 فبراير/ شباط 2019): https: / /ia800203.us.archive.org /28 /items /ansar_masg /90.pdf

(3) "أبو قتادة.. تبليغي تحوَّل لأبرز منظِّري الجهاديين"، الجزيرة.نت، 9 نوفمبر/ تشرين الثاني 2014، (تاريخ الدخول: 4 فبراير/ شباط 2019): http: / /www.aljazeera.net /news /

وقد أخذ مسار الجماعة الإسلامية المسلحة منحى مختلفًا بعد صعود "عنتر الزوابري" على رأس التنظيم؛ فقد اعتمد سياسة الأرض المحروقة عبر اللجوء إلى العمليات الإرهابية التي تستهدف المدنيين وتنفيذ مجازر جماعية في حقهم. ونتيجة الإحساس المتزايد بالتهميش وضعف السند الشعبي للعمل المسلح، قامت الجماعة الإسلامية المسلحة بتبني مواقف تصعيدية أبرزها الفتوى الصادرة سنة 1995 التي أدانت كل الشعب الجزائري بالردَّة، وهو ما يعني من الناحية العملية تبرير وشرعنة استهداف المدنيين[1].

عاشت الجماعة الإسلامية المسلحة في تلك المرحلة حالة ضعف على مستوى الموارد المالية والبشرية، وتراجع للدعم الشعبي الذي كان يرفض العمليات التي تستهدف المدنيين مما أدى إلى تشتت الفصائل المسلحة التي كانت تتميز في ذاتها بتنافر منهجي بارز بين تشكيلة غير متجانسة، ولاسيما المتشددة سلفية العاصمة، وتلك القادمة من الصحوة الإسلامية المعاصرة، التي كانت جزءًا من مكونات تجربة الإنقاذ الإسلامية، كما أن الصراع على الزعامة بين الأجنحة ساهم أيضًا في اشتداد التوتر الداخلي وتفجر الجماعة الإسلامية المسلحة من الداخل[2].

نتيجة لذلك، عزلت الجماعة الإسلامية المسلحة نفسها عن محيطها الاجتماعي وفقدت الدعم من التيار الجهادي العالمي، وهو ما أدى إلى سلسلة انشقاقات داخلية وتحولات تنظيمية، أبرزها انشقاق مجموعة من المقاتلين وتأسيس الجماعة السلفية للدعوة والقتال GSPC، سنة 1998، قبل أن تتحول مرة أخرى، سنة 2003، بعد بيعتها لتنظيم القاعدة وتأسيس تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي AQIM[3]. ويمكن

2014/ reportsandinterviews/ 11/ 9/ أبو-قتادة-التبليغي-الذي-تحوّل-لأبرز-منظري-الجهاديين

(1) أمل بوبكير، "السلفية وسياسة التطرف في جزائر ما بعد الصراع"، معهد كارنيجي للسلام العالمي، أكتوبر/ تشرين الأول 2008.

(2) المرجع السابق.

(3) للتعمق أكثر في هذا الموضوع، انظر الدراسات التالية: Guido Steinberg, Isabelle Werenfels, "Between the ‘‘Near’’ and the ‘‘Far’’ Enemy: Al-Qaeda in the Islamic Maghreb", Mediterranean Politics, Vol. 12, Iss. 3, 2007. Ricardo René Larémont, Al Qaeda in the Islamic Maghreb: Terrorism and Counterterrorism in the Sahel, African Security, Vol. 4, Iss. 4, 2011 Jean-Luc Marret, Al-Qaeda in Islamic Maghreb: A ‘‘Glocal’’ Organization, Studies in

النظر إلى تحالف الجماعة السلفية للدعوة والقتال مع تنظيم القاعدة وتحولها إلى فرع له في منطقة شمال إفريقيا وجنوب الصحراء بمنزلة تكيف براجماتي مع المتغيرات التي عرفتها الساحة الجهادية العالمية. فالتحالف مع تنظيم القاعدة مثَّل استراتيجية تسويقية جيدة ساعدت على استقطاب مقاتلين من المنطقة والذي كان كثير منهم ينشط ضمن جبهات القتال ضد القوات الأميركية في العراق وأفغانستان. فرفع شعار "القاعدة" منح تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسـلامي نوعًا من الامتياز والشراسة ميزته عن باقي التنظيمات الجهادية في المنطقة[1].

هناك سـبب آخر يفسـر توجه المغاربـة نحو تنظيم القاعدة فـي بلاد المغرب الإسلامي بدلًا من العراق. يرجع الأمر إلى الصعوبات "اللوجيستية" المرتبطة بالولوج للعراق بالنسـبة لعدد من الراغبين في الجهاد خارج المغرب. فعدم توافر العديد من الجهاديين على جوازات السـفر والأموال الكافية للسـفر للعراق جعل العديد منهم يتوجهون نحو فروع القاعدة في شمال إفريقيا بدلًا من العراق.

**الالتحاق بالجبهة الجزائرية: دراسة حالة**

يشـير بعض الباحثين إلى أن لجوء العديد من الشـباب من بلدان شمال إفريقيا إلى تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي يرجع أساسًا إلى الهروب من الاعتقال والقمـع الـذي كان يعترضهم في بلدانهم كنوع من طلـب الحماية وليس بالضرورة اقتناعًـا بالفكرة أو سـعيًا للقتال في بلدانهم[2]، وهي فكـرة تؤكدها بعض المقابلات التي أجريناها مع جهاديين سـابقين. فقد أشـار م.ح. إلى أنه حاول السـفر رفقة ستة من زملائه إلى الجزائر للالتحاق بالجماعة السلفية للدعوة والقتال سنة 2003 و2005 بسبب عدم توفره على جواز السفر ومن ثمة عدم قدرته على السفر إلى العراق.

تساعد دراسة حالة م.ح. وزملاءه على فهم أسباب وديناميات التحاق المتطوعين

Conflict & Terrorism, Vol. 31, Iss. 6, 2008

(1) Christopher Chivvis, S. and Andrew Liepman, North Africa's Menace: AQIM's Evolution and the U.S. Policy Response, RAND Corporation, 2013. http://www.rand.org/pubs/research_reports/RR415.html

(2) محمد محمود أبو المعالي، القاعدة وحلفاؤها في أزواد: النشأة وأسرار التوسع، مركز الجزيرة للدراسات، 2014، ص: 39.

المغاربة بتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي؛ فقد تحول رفقة ستة من زملائه نحو الأيديولوجية الجهادية بعد أحداث 11سبتمبر/ أيلول 2001 وذلك بعد تجربة قصيرة ضمن التيار السلفي التقليدي. وقد تأثر من جهة بالدروس الدينية التي كان يلقيها شيوخ التيار الجهادي حول أهمية الجهاد ودفع الصائل، لاسيما الشيخ حسن الكتاني في مسجد مكة بحي الواد، الموجود في ضواحي مدينة سلا. ومن جهة أخرى، بسبب دخول الإنترنت على الخط وتوفيره إمكانات هائلة للبحث عن تبريرات أيديولوجية في مسائل الجهاد والثورة المسلحة لتسويغ مواقفه الراديكالية. وبعد أشهر من البحث والاجتماعات مع الأقران ترسخت لديه فكرة الالتحاق بمنطقة توتر نظرًا لغياب الشروط الموضوعية لممارسة الجهاد ضد النظام في المغرب. ويبدو أنه لم يكن يمتلك رغبة في استهداف المغرب غالبًا لعدم توافر الظروف المواتية، بالمقابل كان مقتنعًا بفكرة جهاد المساندة، أي السفر لمناطق التوتر لمساندة الجماعات الجهادية هناك، ومن ثمة بدأ يبحث عن منافذ لتصريف أفكاره[1].

بدأت فكرة السفر نحو الخارج تختمر بشكل أولي سنة 2001، وفكَّر أعضاء الخلية في الالتحاق بالجهاد الأفغاني وقد أدت الضربات الأميركية ضد القاعدة في أفغانستان بعد هجمات 11 سبتمبر/ أيلول 2001 إلى تشتيت تنظيم القاعدة واعتقال العشرات من أعضائه، وهو ما أدى بهم إلى التخلي عن الفكرة بسبب غياب الوسيط المسهِّل للسفر. بقيت فكرة الهجرة لبؤر التوتر كامنة لدى أعضاء الخلية في انتظار فرصة أخرى، وهو ما تحقق سنة 2003، بعد حصول حدثين قريبين من حيث التوقيت الزمني، مما سيكون له انعكاس على قرار الخلية بالسفر للالتحاق بتنظيم الجماعة السلفية للدعوة والقتال، قبل أن تتحول إلى تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي. الحدث الأول هو الاحتلال الأميركي للعراق في شهر مارس/ آذار 2003 الذي تم تغطيته بشكل مستمر عبر القنوات الفضائية العربية، والتي حركت في نفوسهم مشاعر الغضب من الولايات المتحدة، وكان هناك تأييد واسع للمقاومة العراقية المسلحة في العالم الإسلامي[2]. أما الحدث الثاني فقد كان مرتبطًا بتفجيرات 16 مايو/ أيار 2003

(1) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع م.ح. 3 نوفمبر/ تشرين الثاني 2015، بمدينة الدار البيضاء.

(2) "A Year After Iraq War: Mistrust of America in Europe Ever Higher, Muslim Anger Persists", Pew Research Center, March 16, 2004, ) http://www.pewglobal.org/2004/03/16/a-year-after-iraq-war/)

والمناخ السياسي الذي ساد البلد بعد تلك الأحداث؛ فقد أحس أعضاء المجموعة بالتضييق الأمني والخوف من الاعتقال بسبب الأفكار الجهادية التي يؤمنون بها.

إن وجود عناصر جاذبة الجهاد العراقي وعناصر طاردة الضغط الأمني ستجعل من مسألة الهجرة مسألة ملحَّة لعدد من الشباب الجهادي بالمغرب. فقد دفع الخوف من التوسع في الاعتقال الكثير منهم إلى تعجيل الخروج من البلد. رغم أن العراق كان هو الوجهة الأولى للجهاديين المغاربة، إلا أن بعض التعقيدات اللوجيستيكية -عدم توفرهم على جوازات سفر- حالت دون توجه أعضاء الخلية نحو العراق، كما أنهم لم يتمكنوا من الحصول على جوازات سفر مزورة لأنهم كانوا يشكِّلون خلية معزولة ذات إمكانات مالية محدودة. فهي مجموعة صغيرة ومعزولة من الشباب المتحمس للفكرة الجهادية العالمية بدون أن تكون لها علاقات تنظيمية معروفة مع التنظيمات العابرة للحدود.

إن هذا النوع من الخلايا الرخوة كان يتكون عادة من الجهاديين الهواة، ويتميز بمجموعة من الخصائص: أولًا: تكون هذه الخلايا في الغالب مكونة من أشخاص تربطهم علاقات أولية مثل علاقات القرابة والجيرة أو الصداقة. فقد كانت كل عناصر الخلية تعرف بعضها البعض وكانوا يقطنون تقريبًا في نفس الحي أو المدينة وكانوا أيضًا تربطهم علاقات عمل كان م.ح مساعد خياط ويشتغل عند خياط جهادي أو علاقات صداقة. ثانيًا: غياب الاحترافية، بحيث يكون الطابع الاندفاعي هو المهيمن على سلوك أعضاء المجموعة، ومن هنا لا يتم الانتباه إلى عدد من الاحترازات الأمنية. ثالثًا: ولهذا، فنتيجة لطابع الهواية تكون مثل هذه المجموعات سهلة الاختراق من الناحية الأمنية، على عكس المجموعات الجهادية المحترفة التي تتميز بحس أمني عال.

إذن، فنتيجة لعدم امتلاك جوازات السفر وعدم القدرة على ربط علاقات مع شبكات التسفير العابرة للحدود فقد كان أعضاء الخلية مضطرين إلى البحث عن بدائل للسفر نحو الخارج اعتمادًا على الإمكانات الذاتية. ومن هنا برزت الجزائر كخيار ثان يعوض العراق؛ فالجزائر بلد يشترك مع المغرب في الحدود الشرقية، وهناك شبكات تهريب نشطة على الحدود. وهذا البلد قبل ذلك يضم تيارًا جهاديًّا نشيطًا في مواجهة الحكومة منذ بداية التسعينات، وبالتالي، فقد كان هذا هو الخيار الوحيد المتبقي للخلية

(تاريخ الدخول: 4 فبراير/ شباط2019).

التي كانت تضم حوالي سبعة أعضاء.

لتحقيق هذا الهدف كان من الضروري ربط اتصال مع تنظيم الجماعة السلفية للدعوة والقتال في الجزائر باعتبارها بنية الاستقبال. وهنا، تمكن عضو في الخلية المغربية من الحصول على البريد الإلكتروني ورقم هاتف أحد أعضاء تنظيم الدعوة السلفية للدعوة والقتال في الجزائر يلقب أبو محمد، قد حصل عليه عن طريق جهادي مغربي كان تعرَّف على الجهادي الجزائري خلال مرحلة الجهاد الأفغاني[1]. هنا يظهر الدور الذي لعبه الجهاد الأفغاني في بناء شبكات عابرة للحدود تستطيع النشاط بإمكانات محدودة. وبعد ذلك تم التواصل عن طريق شبكة الإنترنت، الذي بات عنصرًا أساسيًّا تعتمده القاعدة في التدريب والتخطيط والعمل اللوجيستي، وأصبح فضاء الاتصالات الالكترونية ساحة مشروعة للقتال[2].

بعد ربط الاتصال وتحديد موعد اللقاء دخلت المجموعة في مرحلة التحضير اللوجيستي. عملت المجموعة على اللقاء في مدينة وجدة من أجل السفر بشكل سري عبر الحدود البرية، وقاموا بحلق لحاهم لتمويه الشرطة، وتفاوضوا مع أحد المهربين المحليين لإدخالهم الجزائر باعتبار أنهم عمال يدويون يريدون العمل في الجزائر في قطاع البناء، ودفعوا مقابل دخولهم بشكل سري للجزائر مبلغًا ماليًّا لم يتجاوز 300 درهم حوالي 30 دولار للشخص الواحد على أن يوصلهم المهرب إلى مدينة الجزائر العاصمة التي تبعد حوالي 600 كلم عن مدينة وجدة. وقبل دخولهم للأراضي الجزائري قاموا بتسليم بطائقهم الوطنية للمهرِّب الذي يقوم غالبًا بإشعار السلطات المغربية بدخولهم، ويُتخذ هذا الاحتراز أيضًا للتغطية على هويتهم إذا تم كشفهم من طرف السلطات الجزائرية[3]. وهكذا، دخل أعضاء الخلية في شهر يوليو/ تموز 2003 إلى الداخل الجزائري في البداية عبر مدينة مغنية وهي مدينة حدودية في أقصى الغرب الجزائري، قبل أن يتمموا طريقهم نحو الجزائر العاصمة ثم إلى مدينة بجاية التي كانت مكان لقائهم مع العنصر الرابط في الجماعة السلفية للدعوة والقتال[4]. فشلت المحاولة الأولى للمجموعة بسبب عدم تمكنهم من لقاء الشخص في الموعد الذي

(1) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع م.ح. المرجع نفسه.

(2) عبد الباري عطوان، القاعدة: التنظيم السري، ط.1 (بيروت، دار الساقي، 2007)، ص: 148.

(3) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع م ح.

(4) المرجع السابق.

كان محددًا وهو ما اضطرهم للرجوع للمغرب، وتسـلُّم بطائقهم الوطنية مرة أخرى. رجعت المجموعة إلى مباشرة أعمالها بشكل عادي لكيلا تثير انتباه السلطات[1].

بقي الوضع على هذا الحال لمدة سنتين إلى غاية منتصف سنة 2005 مع تلقي أحد أعضاء الخلية رسـالة إلكترونية من شـخص يقول فيها إنه أخو أبي محمد ذلك الجهادي الذي كان على تواصل معهم قبل سـنتين، وإنه يمكنه مسـاعدتهم للولوج إلـى المجموعة مرة أخرى. إلا أن تلك الرسـالة كانت عبـارة عن فخ نصبته أجهزة المخابرات الجزائرية، حسـب تصريحـات أحد أعضاء الخلية، من أجل الإيقاع بهم. فقـد كان أبـو محمد معتقلًا في تلك الفترة وتمكنت أجهزة المخابرات الجزائرية من اختراق بريده الإلكتروني وتواصلت مع معارفه السـابقين بهدف الإيقاع بها. في كل الأحوال لم ينتبه أعضاء الخلية لهذا الشَّـرَك، وبدأت التحضيرات للسـفر مرة أخرى، وسلكت المجموعة نفس المسار بنفس الطريقة وبنفس المبررات التي كانوا يحيطون بها أسـباب سـفرهم المعلنة، أي الرغبة في العمل في الجزائر أو الهجرة نحو إيطاليا. وتم اعتقال الخلية بعد إدخالها إلى مقر للمخابرات العسـكرية في وسـط البلد، وبعد أيام من التحقيق تم تسـليمهم للسـلطات المغربية التي حكمت عليهم بعشر سنوات نافذة قضوها كاملة قبل أن يتم الافراج عنهم في نهاية صيف 2015. ومع ذلك، ظلت الحالات المتوجهة نحو الجزائر محدودة. فميدان المعركة في هذا البلد لم يكن جاذبًا مثلما هي عليه الحال في العراق التي أغرت الجهاديين المغاربة أكثر فأكثر.

## ثانيًا: غزو العراق وجيل الزرقاوي

منـذ الغـزو الأميركي للعراق، سـنة 2003، تكوَّن شـبه إجماع بيـن الباحثين والمتخصصيـن فـي قضايا الإرهاب على أن تنظيم القاعـدة انتعش أكثر وطوَّر مناعة مكَّنته من إيجاد أرضية خصبة للنشـاط والأكثر من ذلك سـهَّل من عملية الاستقطاب من طرف الجماعات الإسـلامية المسـلحة[2]. فقد أصبح العراق الملاذ الآمن الذي اسـتقطب جيلًا جديدًا من الجهاديين الذين بإمكانهم الحصول على تدريب عسـكري

(1) المرجع السابق.

(2) Richard Norton-Taylor, "Iraq War Has Swollen Ranks of al-Qaida," Guardian, October 16, 2003.

وبناء علاقات شـــخصية من خلال تجربة القتال ومخيمات التدريب[1]. ويعتبر الباحث توماس هاجهامر Thomas Hegghammer أن الحرب في العراق شكَّلت نقطة تركيز للجهادية العالمية كجبهة لمعركة رئيســة أســهمت في إضعاف الحملات الجهادية في الأماكــن الأخرى[2]. فقد كانت توجهات الرأي العام رافضة للغزو الأميركي بالعراق. وقد أشارت دراسة لمعهد بيو سنة 2006 إلى أن ثلثي المغاربة يعتبرون أن التفجيرات الانتحاريــة التي تســتهدف المصالح الغربية في العــراق مبررة، وأن 56 في المئة من المغاربة أيدوا العمليات التي تستهدف الجنود الأميركيين الموجودين في العراق سنة 2005[3].

**العراق كبؤرة جذب جديدة للجهادية العالمية**

قبل تحليل ظاهرة المقاتلين المغاربة في العراق من المفيد في البداية فهم لماذا شــكَّل العراق فضاء استقطاب قوي لعناصر التيار الجهادي بالمغرب. وهنا من المهم أولًا رصد الأهمية النسبية التي كان العراق يحظى بها ضمن استراتيجية القاعدة وكيف كانــت تنظر للمقاتلين الأجانب في تلك الفتــرة، وأيضًا الدور الذي لعبه أبو مصعب الزرقاوي في تقوية الحضور الجهادي في العراق، والذي ارتكزت اســتراتيجيته على عنصرين: أولًا: تقوية الاســتقطاب والصراع السُّنِّي-الشِّيعي، وثانيًا: اعتماد استراتيجية الاســتنزاف وسياســة الأرض المحروقة عن طريق العمليات الانتحارية ذات القدرة التدميرية العالية[4].

عمومًا، ظهر اهتمام قيادات تنظيم القاعدة بالعراق قبيل الغزو الأميركي للعراق؛ فقبل ذلك بســتة أشــهر نشر أيمن الظواهري تسجيلًا صوتيًّا يعتبر فيه أن "التقسيم لن يقتصر على العراق بل ســيمتد للعديد من دول المنطقة وأن الحملة الأميركية يُتوقع

(1) Dana Priest, "Iraq New Terror Breeding Ground," Washington Post, January 14, 2005.

(2) Thomas Hegghammer. "Global Jihadism after the Iraq War." Middle East Journal, 60, no. 1 (2006): 11-32.

(3) "Sharp Decline in Support for Suicide Bombing in Muslim Countries", Pew Research Center. July 2007.(http://www.pewglobal.org/files/pdf/257.pdf)

(4) "Iraq's Insurgency After Zarqawi," Council on Foreign Relations, (accessed January 3, 2019): https://www.cfr.org/backgrounder/iraqs-insurgency-after-zarqawi

لها أن تمتد لإيران وباكستان لتحطيم أية دولة تملك مشروعًا نوويًّا في منطقة الشرق الأوسط ضمانًا لأمن إسرائيل"[1]. كما ألقى أسامة بن لادن كلمة صوتية، في شهر مارس/آذار 2003، بعنوان "رسالة إلى شعبنا في العراق" ذكر فيها أنه يتابع "باهتمام شديد وحرص بالغ استعداد الصليبيين للحرب لاحتلال عاصمة الإسلام سابقًا ونهب ثروات المسلمين وتنصيب حكومة عميلة عليكم تتبع أسيادها في واشنطن وتل أبيب كسائر الحكومات العربية الأخرى الخائنة العميلة تمهيدًا لإنشاء إسرائيل الكبرى"[2]. ومنذ ذلك الحين صدرت المئات من الأشرطة الصوتية والمرئية لقيادات القاعدة والعلماء المسلمين تدين الغزو الأميركي للعراق.

**جيل أبو مصعب الزرقاوي**

إبان تلك الفترة، كان هناك شاب من أصول أردنية قد عبر الحدود لتوِّه من أفغانستان مرورًا بإيران ليختبئ في المناطق الكردية أشهرًا قبل الغزو الأميركي للعراق. لقد كان هذا الشاب الذي سيُعرف فيما بعد باسم أبو مصعب الزرقاوي مدركًا أن الولايات المتحدة تخطط لغزو العراق ولهذا استبق الأمر وبدأ في تكوين النواة الأولى لتنظيمه الجهادي في العراق سنة 2003[3].

بدأ الزرقاوي عملياته ضد الاحتلال الأميركي في مرحلة مبكرة بعد الغزو الأميركي للعراق، شهر مارس/آذار 2003، وعمل في البداية على تأسيس فصيل جهادي سُنِّي سماه "جماعة التوحيد والجهاد". ومن أجل الحصول على المال والسمعة، قام الزرقاوي بمبايعة أسامة بن لادن، سنة 2004، وقام بتغيير اسم مجموعته نحو "تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين"، قبل أن يحولها مرة أخرى إلى "مجلس شورى المجاهدين"، ثم في الأخير ستتحول إلى "دولة العراق الإسلامية" بعد وفاة الزرقاوي،

(1) "لقاء السحاب الرابع مع الشيخ أيمن الظواهري"، موقع السحاب، (تاريخ الدخول: 4 فبراير/ شباط2019):/ http: / /up1430.com /central-guide /pencil /elit /the_sum /the_sum_2 pages /dialogue /index.php

(2) نص الرسالة الصوتية للشيخ أسامة بن لادن الى أهل العراق، (تاريخ الدخول: 4 فبراير/ شباط2019): Laden.htm /2003-02-http: / /alarabnews.com /alshaab /GIF /14

(3) Jean-Charles Brisard and Damien Martinez, Zarqawi: The New Face of Al-Qaeda, (Other Press, 2005), p: 118.

سنة 2006، وصعود أبو أحمد المهاجر بدلًا منه أميرًا للجماعة[1].

وحسب الباحثيْن، محمد أبو رمان وحسن هنية، فقد أسهمت أربعة عوامل في تشكيل بيئة مناسبة لنشاط تنظيم القاعدة في العراق استثمرها الزرقاوي لتعزيز نشاطه العسكري ضد قوات التحالف والمجموعات المتحالفة معها. وهذه العوامل هي: أولًا: تفكيك الجيش العراقي وتسريح أعضائه، وتفكيك الأجهزة الأمنية والعسكرية التابعة للنظام البعثي، تنفيذًا لخطة الحاكم العسكري، بول بريمر، وقد نتج عن ذلك تحول العديد منهم نحو المقاومة المسلحة ضد الاحتلال الأميركي، وقد استقطب الزرقاوي العديد منهم لتنظيمه. ثانيًا: تشكل مزاج شعبي ضمن المجتمع السُّنِّي العراقي ضد العملية السياسية التي اقترحها الأميركيون، والإحساس بالتهميش وفقدان المكاسب التي تمت مراكمتها خلال الفترات السابقة، بالإضافة إلى تشجيع الأميركيين لسياسات طائفية دفعت لتعزيز الحس الطائفي لدى الطرفين، السني والشيعي. ثالثًا: تدفق المئات من المقاتلين والمتطوعين العرب لمواجهة الاحتلال العراقي، الذين سهَّل كل من النظام العراقي السابق والنظام السوري انتقالهم لمواجهة الغزو، وقد انضم أغلبهم إلى تنظيم الزرقاوي. رابعًا: الدعاية الأيديولوجية الصارمة التي انتهجها الزرقاوي والتي جعلته بؤرة جذب للمئات من هؤلاء المقاتلين العرب. وقد ارتكزت دعاية مجموعة الزرقاوي على استدعاء الصراع التاريخي بين السنة والشيعة، وأسهمت التطورات الميدانية بتعجيل المواجهة بين الطرفين[2].

لقد لعبت الدعاية الأيديولوجية للقاعدة دورًا أساسيًّا في جذب المئات من المقاتلين المتطوعين من ربوع العالم الإسلامي لمواجهة الاحتلال الأميركي، ولكن تأجيج الصراع الطائفي بين السنة والشيعة يعتبر أيضًا من الدوافع التي أسهمت في جذب الكثير من الشباب للتوجه نحو الجبهة العراقية. ومن ثمة فإن فهمًا أعمق للمسألة يستدعي الوقوف عند الصراع من الناحية الأيديولوجية وانعكاسات الحرب في العراق على التيار الجهادي بالمغرب. في الحقيقة لم يكن الاستقطاب الطائفي بين السنة والشيعة وليد الغزو الأميركي للعراق، ولكنه وجد ظروفًا مثالية للانفجار والتمظهر في شكل عنيف. فجذور المشكل ترجع إلى قرون من العداوة، وقد تعززت خلال العقود

(1) محمد أبو رمَّان، وحسن أبو هنيَّة، السلفية الجهادية في الأردن بعد مقتل الزرقاوي، )عمان، مؤسسة فريدريش آيبرت، 2009(، ص: 32-33.

(2) المرجع السابق، ص: 31.

الأخيرة نتيجة لعدد من التغيرات السياسية في المنطقة. وقد لعبت الثورة الإسلامية في إيران سنة 1979 دورًا مهمًّا في تنامي هذا الشعور بفضل الصراع على النفوذ في المنطقة العربية، بين المملكة السعودية التي عملت على نشر المذهب الوهابي، وبين إيران من خلال سعيها لتصدير الثورة الإيرانية إلى خارج حدودها ونشر الفكر الشيعي الإمامي. وقد كان لهذا التنافس في العالم العربي انعكاسات سياسية واجتماعية أبرزها تنامي الاستقطاب على أساس الهوية المذهبية، ولاسيما بين أتباع المدرسة السلفية والشيعية. وستعرف المواجهة بين السلفيين والشيعة، أَوْجَهَا إبَّان الغزو الأميركي للعراق سنة 2003؛ فبالإضافة إلى الصور النمطية والانقسامات الطائفية التي كانت موجودة من قبل، فإن وصول نخب جديدة للسلطة في العراق بعد الاحتلال الأميركي، عمَّقت مركزية الهوية الطائفية في العراق ما بعد 2003[1]. بالإضافة إلى ذلك، فإن هيمنة عدد من القيادات الشيعية على مراكز الحكم في ظل الاحتلال الأميركي وتهميش الطائفة السنية عمَّق من شعور السنة بالتهميش والاغتراب. وستزداد حدة التهميش مع سياسات المالكي الذي عمل على إقصاء منهجي للطائفة السنية من الحكم[2].

يعتبر أبو مصعب الزرقاوي الرائد في تعزيز وتعميق الشرخ المذهبي في العراق، من خلال نقله للصراع المذهبي بين السنة والشيعة من صراع الأيديولوجيا بين المراجع الدينية السلفية والشيعية، إلى عملية استهداف منهجي للشيعة بدون التمييز بين المقاتلين والمدنيين. وقد أصدر الزرقاوي فتوى، سنة 2004، يستهدف فيها جميع الأفراد الشيعة بدون استثناء[3]. وقد أوضح الزرقاوي بجلاء مرارًا أن مناهضته للتشيع لم تكن فقط

(1) Fanar Haddad, "Sunni-Shia Relations After the Iraq War", United States Institute of Peace, November 15, 2013

(2) للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، يمكن الاطلاع على التحليلات التالية: Zaid Al-Ali, "How Maliki Ruined Iraq", Foreign Policy, June 19, 2014. (accessed January 3, 2019) http://foreignpolicy.com/2014/06/19/how-maliki-ruined-iraq/ Juan Cole, "Top 10 Mistakes of former Iraq PM Nouri al-Maliki (That Ruined his Country)", Informed comment. Aug. 15, 2014. (accessed January 3, 2019) http://www.juancole.com/2014/08/mistakes-maliki-country.html

(3) "الزرقاوي في بيان جديد: نقتل الشيعة لأنهم بدأوا بتصفية السنة"، موقع العربية، 12 يوليو/ تموز 2005، (تاريخ الدخول: 4 فبراير/ شباط 2019): http://www.alarabiya.net/articles/2005/07/12/14873.html

خيارًا استراتيجيًّا في نزاع سياسي، ولكنه بالأحرى قرار يقوم على قناعات دينية[1].

لم تنتج الحرب في العراق عن أسباب دينية، ولكن الدين لعب دورًا مهمًّا في التعبئة الأيديولوجية آنذاك، ويعتبر غيدو شتاينبرج Guido Steinberg أن اندلاع العنف الطائفي في العراق بين السنة والشيعة تمليه ثلاثة أسباب: أولًا: اعتقاد جزء من الجماعات السنية الراديكالية بكون الشيعة هم جزء من التهديد الخارجي الذي تمثله قوة أجنبية. ثانيًا: وهو أن هذه الجماعات الراديكالية تحتاج إلى قادة قادرين وقساة بالإضافة إلى الفرصة لبناء بنية تحتية لتصير قوة يحسب لها ألف حساب. العامل الثالث: لكي تندلع النزاعات الكبيرة، على المقاتلين الشيعة أن يردوا بالانتقام. وقد تحققت كل هذه الشروط في العراق بعد الغزو الأميركي سنة 2003. فقد اعتقد الكثير من السنة أن الإسلام في خطر، لأن الولايات المتحدة غزت العاصمة القديمة للخلافة. ومع صعود الشيعة للسلطة وتسلمهم زمام الأمور بالإضافة إلى علاقاتهم مع إيران أدى ذلك إلى احساس بالتهميش من طرف الطائفة السنية، وحفز عددًا من الناشطين الجهاديين على استهداف الشيعة[2].

## ثالثًا: مغاربة العراق

لقد أدى الغزو الأميركي للعراق بالعديد من الشباب المتحمس لتلبية دعوة تنظيم القاعدة للالتحاق بساحات القتال في العراق. وقد بدأ تدفق المتطوعين المغاربة نحو العراق في مرحلة مبكرة من سنة 2003، عبر التحاق مجموعات من المتطوعين بالمقاومة العراقية المسلحة ضد الغزو الأميركي. ورغم أنه من الصعب معرفة عدد المغاربة المتطوعين للقتال في العراق خلال الفترة بين 2003 و2010 على وجه التحديد لغياب معطيات رسمية حول الموضوع، إلا أنه من المؤكد أن المئات من المغاربة كانت لديهم رغبة للالتحاق بالمجموعات الجهادية في العراق آنذاك كما أن العشرات منهم التحقوا فعلًا.

تشير بعض المؤشرات المتوفرة إلى أن المئات من الشباب سافروا فعلًا أو كانت

(1) غيدو شتاينبيرج، "السلفية الجهادية والشيعة: ملاحظات حول الجذور الفكرية المناهضة للتشيع"، ضمن كتاب: رول مبير (محرر)، السلفية العالمية: الحركات السلفية المعاصرة في عالم متغير، ( الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى بيروت 2014)، ص: 161.

(2) المرجع السابق، ص: 158.

لديه الرغبة في الالتحاق بساحات القتال بالعراق. أبرز هذه المؤشرات يتجلى في عدد الخلايا التي كانت تجنِّد المتطوعين نحو العراق والتي نجحت السلطات المغربية في تفكيكها. فقد ناهزت الثلاثين شبكة خلال الفترة بين 2003 إلى نهاية 2007[1]. وأفادت السلطات المغربية أيضًا أنها رصدت على الأقل خمسين شخصًا انتقلوا إلى العراق منذ 2003 إلى حدود فبراير/ شباط 2007، كما أنها أحبطت سفر خمسين آخرين خلال فترة أربعة أشهر بين نوفمبر/ تشرين الثاني 2006 وفبراير/ شباط 2007[2]. في حين تذهب بعض المعطيات غير الرسمية التي حصلنا عليها إلى أن العدد أكبر من الرقم الذي تصرح به السلطات المغربية. ويُقَدِّر بعض الجهاديين السابقين إلى أن العدد يقدَّر بين 200 و300 مغربي سافروا فعلًا إلى العراق[3].

وفي كل الأحوال، تمكنت السلطات المغربية من توقيف عدد من المغاربة الذين كانوا يرغبون في السفر للعراق للقتال إلى جانب فصائل المقاومة العراقية، وهذا جزء من تعهدات المغرب مع الولايات المتحدة في إطار مساهمتها فيما سمي بالحرب على الإرهاب[4]. وهو موقف كشفت عنه وثائق ويكيليكس في لقاء في شهر يوليو/ تموز 2007 جمع بين مساعدة رئيس الأمن القومي ومكافحة الإرهاب الأميركية بمسؤولين في الأجهزة الأمنية المغربية؛ إذ ثمَّنت المسؤولة الأميركية التعاون الممتاز للمغرب في مجال مكافحة الإرهاب بما في ذلك الجهود الكبيرة المبذولة من أجل إغلاق منافذ المقاتلين المتوجهين إلى العراق[5].

(1) "الأمن المغربي يفكِّك 30 شبكة لتجنيد مقاتلين وإرسالهم للعراق"، موقع هسبريس، 17 مايو/ أيار 2008، (تاريخ الدخول: 4 فبراير/ شباط 2019): http: / /www.hespress.com /permalink /6578. html

(2) Craig Whitlock, "Terrorist Networks Lure Young Moroccans to War in Far-Off Iraq", Washington Post, , February 20, 2007, (accessed January 3, 2019) https:// www.washingtonpost.com/archive/politics/2007/02/20/terrorist-networks-lure-young-moroccans-to-war-in-far-off-iraq-span-classbankheadconflict-is-recruiting-tool-for-al-qaeda-affiliates-span/60748516-78b9-42ab-b6a7-d7cab6197133/?utm_term=.af47bd912f10

(3) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع.ب. بمدينة طنجة، يوم 6 يوليو/ تموز 2015، وقد حاول السفر إلى العراق سنة 2004 واعتقل بسبب ذلك وحكم بالسجن لمدة ثلاث سنوات.

(4) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع.ح. مدينة سلا، يوم 11 يونيو/ حزيران 2015.

(5) "Aphsct Townsend's Visit To Morocco", Wikileaks Documents, 31 july 2007, (accessed

**مميزات الجهاديين المغاربة في العراق**

من جهة ثانية، كشـفت وثائق سـنجار الخاصة بسجلات المقاتلين في صفوف القاعـدة بالعراق -وهي عبارة عن وثائق اكتشـفتها القـوات الأميركية أثناء مداهمتها لتنظيم القاعدة في العراق في 2006 في منطقة سـنجار بالعراق[1]- عن مجموعة من المعطيات الخاصة بالمغاربة الموجودين بالعراق. فخلال سنة واحدة تمكن حوالي 36 مغربيًّا على الأقل من الدخول إلى الأراضي العراقية ضمن حوالي 700 متطوع من 20 جنسية دخلوا العراق خلال نفس الفترة. وهي نسبة تصل إلى حوالي 6 في المئة من مجموع المتطوعين الذين ولجوا العراق في الفترة بين أغسطس/ آب 2006 و2007[2].

من جهة ثالثة، يؤشر وجود مغاربة معتقلين في السجون العراقية على كون ظاهرة مغاربة العراق قضية حقيقية وليسـت مجرد تخمينات وافتراضات؛ فعدد من الأسـر المغربية صرَّحوا بأن أبناءهم يوجدون في وضعية اعتقال في السـجون العراقية، وقد أحصينا على الأقل إحدى عشرة حالة من المغاربة المعتقلين في السجون العراقية[3]، وقد صدر حكم بالإعدام على مغربي على الأقل[4].

**المدن التي ينحدر منها المقاتلون المغاربة في العراق**

تشـير المعطيات المتوفرة حول مغاربة العراق -كما يظهر في الرسم التوضيحي أدنـاه- إلـى أن ثلثي هـؤلاء المقاتلين من مدينة الدار البيضـاء، والخُمُس من مدينة تطوان[5]. إلا نسـبة المقاتلين مقارنة بالسـاكنة هو الأعلى بالنسبة لمدينة تطوان؛ حيث

February 4, 2019) https://wikileaks.org/plusd/cables/07RABAT1229_a.html

(1) ("Al-Qa'ida's Foreign Fighters in Iraq: A First Look at the Sinjar Record", CTC Harmony Project. January 2007. (accessed February 4, 2019) https://ctc.usma.edu/al-qaidas-foreign-fighters-in-iraq-a-first-look-at-the-sinjar-records/

(2) Ibid.

(3) التقينا أثناء إنجاز المقابلات بالعديد من أسر المغاربة المعتقلين بالعراق، وأجرينا معهم مقابلات حول ظروف وملابسات اعتقال أبنائهم.

(4) محمود معروف، "عائلات مغربية تعيش حالة من الهلع على مصير أبنائها المحكوم عليهم بالإعدام في العراق"، جريدة القدس العربي، 20 يوليو/ تموز 2015، (تاريخ الدخول: 4 فبراير/ شباط 2019): http: / /www.alquds.co.uk /?p=374941

(5) Peter Bergen&al. "Bombers, Bank Accounts, & Bleedout: Al-Qa'ida's Road In and Out of Iraq". Combatting Terrorism Center at West Point, July 2008. P: 40. (accessed

وصلت إلى حوالي 16 مقاتلًا لكل مليون نسمة في حين لم تتجاوز مدينة الدار البيضاء 6 للمليون[1].

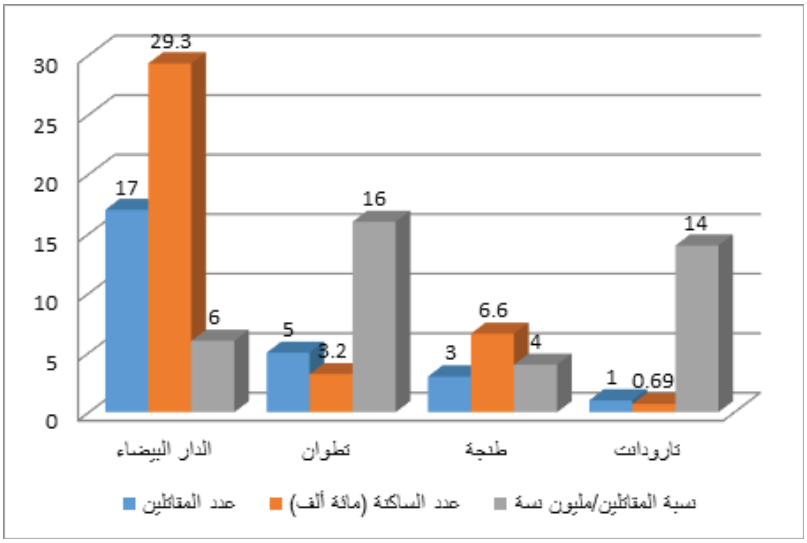


**المرجع: وثائق سنجار**

**جدول: المغاربة المسجونون في العراق**

| الاسم الكامل | الميلاد | المدينة | المهنة | الحالة العائلية | المستوى الدراسي | تاريخ الاعتقال |
|---|---|---|---|---|---|---|
| أحمد بوكايدي | 1981 | الدار البيضاء | تقني في الكهرباء | متزوج | البكالوريا | 12/ 2010 |
| عبد اللطيف الطبيلي | 1976 | الدار البيضاء | لا يوجد | عازب | بكا + 2 | 1/ 2007 |
| محمد إعلوشن | 1973 | طنجة | لا يوجد | متزوج | لا يوجد | أواخر 2006 |
| عز الدين بوجنان | 1982 | طنجة | تلميذ | أعزب | البكالوريا | أواخر 2003 |
| عبد السلام البقالي | 1973 | طنجة | خياط الأفرشة | أعزب | أولى إعدادي | أواخر 2003 |
| أحمد الغيسي | 1974 | طنجة | بائع متجول/ طنجة | متزوج | التاسعة إعدادي | 11/ 2007 |

February 4, 2019) https://ctc.usma.edu/app/uploads/2011/12/Sinjar_2_FINAL.pdf

(1) Ibid

| | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| بلال الزعري | 1988 | طنجة | طالب | أعزب | ثانية علوم تجريبية | 2007 /9 |
| جمال أحشوش | 1978 | تطوان | لا يوجد | لا يوجد | لا يوجد | لا يوجد |
| عمر العافية | 1982 | طنجة | صانع أحذية | أعزب | بكالوريا | 2008 /07 |
| هشام المداد | 1982 | طنجة | عامل | أعزب | الإجازة في التاريخ | 2008 /5 |
| عادل بوزين | --- | طنجة | لا يوجد | لا يوجد | لا يوجد | لا يوجد |

**المصدر: لجنة البحث عن المفقودين في العراق**

## رابعًا: ديناميكيات الجهاد العراقي

من المهم الإشارة إلى ملاحظة مهمة في هذا الإطار، فالشريط الشمالي الغربي من المملكة يمثل البؤرة التي طالما صدَّرت عددًا كبيرًا من الجهاديين إلى بؤر التوتر. وهو ما أكدته وثائق سنجار وأيضًا المعطيات التي توفرها عائلات المعتقلين المغاربة في العراق. حيث تشير المعطيات إلى أنه من أصل أحد عشر مغربيًّا معتقلًا في السجون العراقية يوجد تسعة على الأقل من مدينة طنجة، واثنان من مدينة الدار البيضاء وواحد من مدينة تطوان. تشكِّل الأحياء المهمشة في مدن الشمال المناطق التي تصدِّر أكبر عدد من هؤلاء الجهاديين. ففي مدينة تطوان مثلًا، فإن المشتبه بهم في تفجيرات مدريد 2007 كانوا منحدرين من حي جامع مزواق، وهو حي هامشي في هذه المدينة أما في مدينة طنجة فإن حي بني مكادة، تنتشر فيه العشوائيات والاقتصاد غير المهيكل شكَّل أيضًا مصدرًا مهمًّا للجهاديين نحو العراق. وفي مدينة سبتة يشتهر حي الأمير أو البرنسيبي بكونه المصدِّر الأول للجهاديين في إسبانيا. فالإحصاءات التي قدمتها وزارة الداخلية الإسبانية، حوالي 70 في المئة من الجهاديين الإسبان ينحدرون من مدينتي سبتة ومليلية[1].

(1) "El 70% de yihadistas detenidos en España son de Ceuta y Melilla" ، Europa Press, 09 March 2015, (accessed February 4, 2019) http://www.europapress.es/nacional/noticia-70-yihadistas-detenidos-espana-dos-ultimos-anos-vive-ceuta-melilla-20150309152755.html

استغل التيار الجهادي هذا المناخ المؤيد لعملياته ضد الأميركيين واستثمر غضب الشباب، وعمل على انتقاء المرشحين بشكل دقيق. فقد كان المُجنِّدون ينشرون "مراقبين" في المساجد والمناطق التي يوجد فيها الشباب الغاضب في الأحياء الفقيرة والمهمشة. ويبقى المراقب في علاقة تواصل مستمرة مع المُجَنَّد لأسابيع أو أشهر، بغرض جسِّ نبضه واستفزاز عواطفه وإقناعه بأن عليهم واجبًا دينيًّا يجب القيام به، ومن ثمة يبقى المرشحون تحت اختبار نفسي من بعيد يقوم به المجنِّد لتحديد ما إذا كان المرشح مستعدًّا فعلًا للموت في سبيل القضية. وفي حالة التأكد النهائي من أنه مستعد للقطع مع الماضي والتضحية يتم تسليمه إلى شخص آخر يقوم بترتيب عملية السفر إلى العراق[1].

يُعتبر المغربي، محسن خيبر، أحد أبرز الناشطين في مجال استقطاب المغاربة نحو العراق قبل أن يُقتَل أثناء مواجهات مسلحة ضد القوات العراقية على الحدود السورية، سنة 2009. أسَّس خيبر، سنة 2006، شبكة لتجنيد مقاتلين مغاربة وإرسالهم إلى بلاد الرافدين[2]، وكان يملك في دمشق منزلًا حوَّله إلى إقامة لاستضافة عدد من المنتمين إلى ما يسمى "الجماعة الإسلامية المغربية المقاتلة". كما نشط مغربي يُدعى عبد العلي عياض في تجنيد حوالي 40 مغربيًّا للقتال في العراق، انطلاقًا من مدينة تطوان وقد اعتقلته السلطات المغربية في سنة 2007[3]. ويبدو أنه كانت هناك علاقات أيديولوجية وربما دعم مالي ولوجيستي بين هذه الخلية وبين مجموعات القاعدة والجماعة السلفية للدعوة والقتال في الجزائر.

على عكس ما يظهر من الوهلة الأولى، لم يكن السفر إلى العراق صعبًا ولا مكلفًا من الناحية المادية؛ فقد ساعد عدد من العوامل الموضوعية على تسهيل سفر العديد من المغاربة إلى العراق. فقد كان أغلب المتطوعين المغاربة يستعمل طريقًا "تقليدية" تنطلق من المغرب نحو تركيا، وبعدها تبدأ رحلة أخرى نحو سوريا، قبل

(1) Whitlock, Terrorist Networks Lure Young Moroccans.

(2) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع.ب، طنجة، 6 يوليو/ تموز 2015.

(3) "محكمة الإرهاب تنظر في ملف مجندين بالعراق وتؤجل خلية لخضر"، الصحراء المغربية، 4 سبتمبر/ أيلول 2009، (تاريخ الدخول: 4 فبراير/ شباط2019): http: / /www.maghress.com / almaghribia /92864

الوصول إلى العراق. وبما أن المغاربة لا يحتاجون إلى تأشيرة دخول إلى تركيا، فإن أغلبهم كان يختبئ وراء فكرة السياحة؛ حيث أصبحت تركيا وجهة مفضَّلة لعدد من السياح المغاربة وأيضًا بلدًا يقصده العديد من الشباب للبحث عن فرص العمل بعد أن أغلقت أوروبا وجهها في صفوف المهاجرين في السنوات الأخيرة.

**مسار الجهاديين نحو العراق**

لعبت شبكات التسفير عبر سوريا دورًا كبيرًا في دخول المقاتلين الأجانب نحو العراق. وكانت سوريا معبرًا رئيسًا وسهَّلت عمليات انتقالهم. وقد شكَّلت مدينة دير الزور بالضبط نقطة عبور ونقل للعديد من الجهاديين الراغبين بالالتحاق بالعراق، على الأقل حتى حدود سنة 2006 [1]. وتجدر الإشارة إلى أن السلطات السورية غضَّت الطرف عن ظاهرة المقاتلين الأجانب الذين كانوا يمرون عبر أراضيها بسبب رغبتها في إغراق الأميركيين في الوحل العراقي. وقد ساعد هذا الأمر من مأمورية تنظيم القاعدة الذي تمكن من إرساء شبكة تجنيد وتسفير نشيطة مكونة من حوالي عشرات المنسقين السوريين حصرها أحد التقارير في حوالي 95 منسقًا سوريًّا على الأقل الذين يوفرون خدمات نقل المتطوعين نحو العراق؛ الأمر الذي يعطي انطباعًا بأن هذه الشبكة تخصصت في استقطاب مقاتلين أجانب وانتحاريين بخصائص معينة ومن مناطق محددة[2].

بالإضافة إلى ذلك، كان العديد من المغاربة ينطلقون من بلدان أوروبية لاسيما إسبانيا وفرنسا عن طريق شبكات تجنيد كانت تساعد عددًا من المغاربة في الحصول على جوازات سفر مزورة للمرور نحو أوروبا ثم بعد ذلك الدخول إلى سوريا. وقد نشرت جريدة الاتحاد الاشتراكي، سنة 2009، تقريرًا حول المغاربة الذين سافروا إلى العراق، ورسمت المسار الذي يتخذه هؤلاء؛ حيث يُطلب من المجند أن يستقل سيارة أجرة بعد الوصول إلى مطار دمشق وينتقل إلى منطقة الميرة وأن يستقر بفندق هناك ثم يتصل بأحد الأشخاص المتخصصين في نقل المتطوعين نحو العراق[3].

(1) Peter Bergen&al. Bombers,. p: 48;

(2) Matthew Levitt, Foreign Fighters and Their Economic Impact: a Case Study of Syria and al-Qaeda in Iraq (AQI), Perspective on Terrorism, Vol 3, No 3 (2009).

(3) "كيف تحول مغاربة إسبانيا إلى قاعدة لـ"الجهاد" في العراق؟"، الاتحاد الاشتراكي، 3 يناير/

**أبرز المقاتلين المغاربة في العراق**

محمد مومو الملقب بـ"أبو قسورة": من مواليد 1965 بمدينة فاس، وتوفي سنة 2009 بغارة أميركية بالعراق. يحمل الجنسية السويدية، كان يتنقل بين سوريا وتركيا والعراق بجواز سفر سويدي. التحق بالعراق سنة 2004، وأقام في البداية في مدينة بعقوبة، قبل أن يغادرها إلى الفلوجة حيث قاد العمليات ضد الجيش الأميركي، مما أهله لتولي منصب نائب قائد "تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين"[1].

محسن خيبر: ينحدر من مدينة طنجة ويعتبر أحد أبرز القادة الميدانيين لتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين. أسَّس، سنة 2006، شبكة لتجنيد مقاتلين مغاربة وإرسالهم إلى بلاد الرافدين، وكان يملك في دمشق منزلًا حوَّله إلى مضافة لاستقبال المتطوعين قبل إرسالهم إلى داخل العراق. وكان ضمنهم عدد من المنتمين إلى ما يسمى بـ"الجماعة الإسلامية المغربية المقاتلة"، وقُتل في عملية قتالية ضد القوات العراقية على الحدود السورية سنة 2009 [2].

سعد الحسيني: مهندس زراعي وخبير في صناعة المتفجرات القوية. درس بإسبانيا قبل أن يرحل إلى أفغانستان عام 1997؛ حيث تلقى تدريبات عسكرية بمعسكر "الفاروق" على يد تنظيم القاعدة، ثم في معسكر "خلدن"، وشكَّل إلى جانب مغاربة آخرين اللبنة الأولى لتنظيم "الجماعة الإسلامية المقاتلة" التي اهتمت باستقطاب ناشطين مغاربة من بين صفوف "الأفغان العرب". وذكرت تحريات الأمن المغربي أن الحسيني جنَّد 18 شابًّا مغربيًّا التحقوا بتنظيم القاعدة في العراق[3]، وقد اعتقلت

---

كانون الثاني 2009، (تاريخ الدخول: 6 فبراير/ شباط2019): https: / /www.maghress.com / alittihad /84700

(1) "قال: إن "أمير الشمال" متزوج من أوروبية و"رمى جنسيته السويدية في سلة المهملات" "البغدادي" ينعي "أبا قسورة": كان يعشق دماء المرتدين و"الحزب الشيطاني"، جريدة الحياة اللندنية، 23 أكتوبر/ تشرين الأول 2008، (تاريخ الدخول: 6 فبراير/ شباط 2019): http: / /www.alhayat. com /article/ 1360411

(2) محمد الأشهب، "خلايا أوروبية تجنِّد المغاربة الانتحاريين وترسلهم إلى العراق"، جريدة الحياة اللندنية، 18 يناير/ كانون الثاني 2006، (تاريخ الدخول: 6 فبراير/ شباط 2019): http: / /www. alhayat.com /article/ 1282104/ معلومات-تكشفها-تحقيقات-الشرطة-في-الرباط-خلايا-اوروبية-تجند-المغاربة-الانتحاريين-وترسلهم-الى-العراق-قبل-خلايا-الزوجات-nbsp

(3) "بانوراما الصيف: مغاربة قاتلوا تحت لواء القاعدة (الحلقة العاشرة)"، جريدة الصباح، 18 يوليو/

السلطات سعد الحسيني، ولا يعرف مصيره لحد الساعة.

ميمون بلحاج: سافر إلى بلجيكا حيث تشبَّع بأفكار جهادية تحض على القتال ضد القوات الأميركية في العراق، ما دفعه إلى التوجه إلى سوريا والاتصال بالمغربي "محسن خيبر" الذي تدبَّر أمر إقامته قبل أن تشتبه فيه السلطات السورية وترحِّله إلى المغرب سنة 2009[1].

عبد السلام البقالي من مواليد سنة 1973 سافر إلى العراق في سنة 2003، لكن اعتقلته القوات الأميركية وحكمت عليه بالسجن 7 سنوات للدخول إلى البلاد بطريقة غير شرعية، ثم أعادت محاكمته سنة 2011، ولا تعرف أسرته مصيره لحد الآن[2].

كان تنظيم القاعدة في العراق هو المحضن الرئيس لأغلبية المتطوعين المغاربة[3]، وكان أغلبهم انتحاريين، وهي استراتيجية كانت تلجأ إليها القاعدة قصد إحداث أكبر قدر من الخسائر في صفوف العدو وإحداث أقصى درجات الرعب في نفوسه[4]. فقد أشارت وثائق سنجار أن الأغلبية من المغاربة، وكذلك الليبيون، كانوا يشكِّلون أيضًا نسبة كبيرة من الذين تسجلوا كـ"انتحاريين" أكثر من زملائهم السعوديين[5].

فبسبب عدم امتلاكهم خبرة قتالية سابقة يلجأ عدد كبير من المتطوعين المغاربة إلى الاشتغال ضمن فئة الانتحاريين. هذا بالإضافة إلى أن تقسيم العمل الذي كانت تقوم به القاعدة في العراق كان يفرض أن يقوم المقاتلون الأجانب بالعمليات الانتحارية في حين يقوم العراقيون والجنود السابقون في الجيش العراقي بالعمليات القتالية وأعمال التخطيط.

---

تموز 2011، (تاريخ الدخول: 6 فبراير/ شباط2019): https://assabah.ma/17947.html/ بانوراما-الصيف-مغاربة-قاتلوا-تحت-لواء8-/

(1) محمد الأشهب، "التحقيقات مع مغربيْن حاولا التسلل الى العراق من سورية: شبكات "أوروبية" لتهريب "الجهاديين"... والمطلوب المجاطي يظهر في طنجة"، جريدة الحياة اللندنية، 11 فبراير/ شباط 2005، (تاريخ الدخول: 6 فبراير/ شباط 2019): http://www.alhayat.com/article/1234352

(2) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع.ب، طنجة، 6 يوليو/ تموز 2015.

(3) المرجع السابق.

(4) M. J. Kirda, "Al Qaeda in Iraq", Center for Strategic and International Studies, June 2011, P:2. (accessed February 4, 2019) http://csis.org/files/publication/110614_Kirdar_AlQaedaIraq_Web.pdf

(5) Peter Bergen&al. Bombers, p:7.

الأنشطة التي يقوم بها المقاتلون الأجانب حسب الجنسية العدد

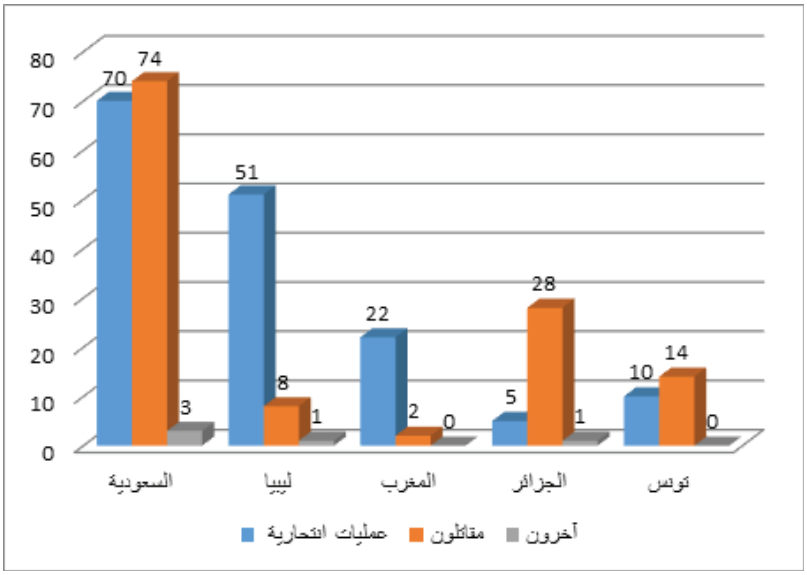


المرجع: وثائق سنجار

الأنشطة التي يقوم بها المقاتلون الأجانب حسب الجنسية النسبة

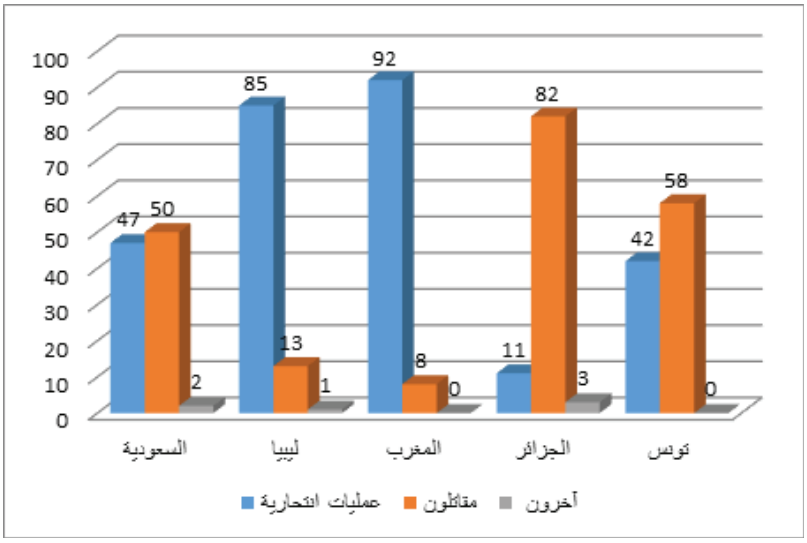


المرجع: وثائق سنجار

بالرغم من اســتقطاب الجهاد العراقي للعشــرات مــن المتطوعين المغاربة، إلا أن أحداث الربيع العربي ســتحمل معها تحولًا في مســار التيار الجهادي وستكون له انعكاســات داخلية وخارجية على بنية هذا التيار، وهو ما ســيحاول الفصل الموالي تعميقه بالوصف والتحليل.

# الفصل السادس
# الربيع الجهادي

مسَّت أحداث التعبئة الاجتماعية التي عرفها العالم العربي، وضمنها المغرب، منذ سنة 2011، التيارات الجهادية وفرضت عليها التكيف مع الأوضاع المستحدثة وتطوير ميكانيزمات الاشتغال. ويبدو من الوهلة الأولى وكأن التيارات الجهادية إضافة إلى الأنظمة الاستبدادية تنتمي كلتاهما إلى فئة الخاسرين من أحداث ما سُمِّي بالربيع العربي. فقد ذهب العديد من التحليلات والمواقف إلى أن الانتفاضات الشعبية التي اجتاحت العالم العربي ستعمل على تقويض أيديولوجية القاعدة وستحد من نفوذها، لاسيما بعد مقتل زعيمها، أسامة بن لادن، من طرف قوات أميركية خاصة في شهر أبريل/ نيسان 2011. وقد سجَّل الرئيس الأميركي، باراك أوباما، أن "موت ابن لادن يسجل الإنجاز الأكثر بروزًا إلى اليوم لمجهودات أمتنا في القضاء على القاعدة"[1]. وعلى نفس المنوال، سار وزير الدفاع الأميركي الذي أكد على أن الولايات المتحدة تمكنت من التأثير ليس فقط على قيادات تنظيم القاعدة، ولكن أيضًا على قدرتهم على توفير أي نوع من القيادة أو التحكم على مستوى العمليات[2]. كما اعتبر المحلل السياسي، فواز جرجس، أن أحداث الربيع العربي لم تزلزل أسس الأنظمة السلطوية في الشرق الأوسط وحسب "ولكنها أيضًا دقَّت مسمارًا قاتلًا في نعش سردية حول الإرهاب قامت برسم القاعدة باعتبارها الخطر الأكبر على الغرب"[3]. كما اعتبر نواف القديمي أن "الزخمين، التغييري والوجداني، اللذين أحدثتهما الثورات السلمية في العالم العربي؛ قد ضربا الفكر الجهادي في فكرته المركزية وأصاباه بحالة فقدان

(1) "Remarks by the President on Osama Bin Laden", The White House, May 02, 2011, (accessed February 6, 2019) http://www.whitehouse.gov/the-press-office/2011/05/02/remarks-president-osama-bin-laden

(2) "Al-Qaida Senior Leadership Nearly Eradicated: Panetta", Nuclear Threat Initiative, June 22, 2012, (accessed February 4, 2019) http://www.nti.org/gsn/article/al-qaida-senior-leadership-nearly-eradicated-panetta-says .

(3) Fawaz Gerges, "The Rise and Fall of al Qaeda: Debunking the Terrorism Narrative," Huffington Post, 3 January 2012.

للتوازن"[1]، ودفعاه إلى إيجاد مساحة للتناغم بين العنف والمشاركة في الاحتجاجات السلمية، عبر تبني فكرة التكامل بين العمل المسلح والاحتجاجات السلمية اللذين يهدف كلاهما إلى إسقاط الأنظمة القائمة، وهو ما يشكِّل خطوة أولى نحو تحقيق حلم تأسيس الدولة الإسلامية في مرحلة لاحقة.

بيد أن نظرة فاحصة لتطورات الأحداث تُظهر أن مقولات انتهاء صلاحية التيارات الجهادية بعد مقتل أسامة بن لادن أقرب إلى الأمنيات أكثر منها أمرًا واقعًا. مع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن الربيع العربي وجوَّ الحريات الناتجة عنه ليس هو العامل في توفير الأجواء للتيارات الجهادية وإنما إحباطاته وعرقلة المسار الديمقراطي هو الذي وفر الغطاء لعودة التيارات الجهادية بقوة، وهذا ما حدث في الجزائر من قبل. فالإحباط هو صانع العنف، بينما كان المسار الديمقراطي والربيع العربي فرصة للدفع نحو الاعتدال. فتحول الثورة السورية والليبية نحو العمل المسلح هو ما منح الحركات الجهادية العابرة للحدود ساحة تدريب وتعبئة، وفرصة لتوجيهها لمصلحتها وتوسيع مجال نفوذها[2]. وهو ما سيتم تفصيله لاحقًا في هذا الفصل.

## أولًا: التكيف الأيديولوجي والتنظيمي

أظهر الجهاديون قدرة على التكيف الفكري والعملاني مع الربيع العربي، الذي دفع بعض التيارات الجهادية إلى التعبير عن بعض المراجعات الجزئية من داخل النسق الفكري الجهادي، تعكس إلى أي حد يمكنها ضبط إيقاعها مع التطورات السياسية والاجتماعية. برزت عملية التكيف الأيديولوجي في مقاربات قدمها بعض قيادات القاعدة إضافة إلى سلوكات الجهاديين في عدد من الدول العربية، بما فيها المغرب، لاسيما المشاركة في مسيرات واحتجاجات إما بشكل مستقل أو بالمشاركة مع الفعاليات الاجتماعية الأخرى. وقد حملت هذه الفعاليات بين ثناياها تطورًا دالًّا على نشاط هذه المجموعات والجماعات، تَمَثَّل في العمل العلني من ناحية، وتخفيف حدة النقد الأيديولوجي المعروف، ضمن أدبياتها، ضد الديمقراطية باعتبارها نظامًا

(1) نواف القديمي، "الإسلاميون وربيع الثورات: المُمارسة المُنتجة للأفكار"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012، ص: 27.

(2) Bruce Hoffman, "Al Qaeda's Uncertain Future", Studies in Conflict &Terrorism, 36:8, 2013, P: 636

كفريًّا غير إسلامي من ناحية أخرى[1].

لقد سارع أسامة بن لادن وأيمن الظواهري وقيادات القاعدة المركزية وفروعها الإقليمية إلى الثناء على الثورات الشعبية واعتبارها نتيجة منطقية لوضعية الظلم التي عاشتها الشعوب العربية وأنها تخدم الهدف نفسه الذي ناضلت من أجله التنظيمات الجهادية. ففي رسالة صوتية أُذيعت بعد وفاته، أثنى ابن لادن على "الثورات العربية" التي "أضاءت من تونس، وأَنِسَت بها الأمة، وأشرقت وجوه الشعوب [...]. فبإسقاط الطاغية التونسي سقطت معاني الخنوع والخوف والإحجام وظهرت رغبة في التغيير"[2]. كما استمر أيمن الظواهري على نفس المنوال إثر توليه قيادة التنظيم بعد وفاة ابن لادن؛ حيث نشر في صيف 2012 وثيقة استراتيجية سميت بـ"توجيهات العمل الجهادي" توصل فيه إلى استنتاج خاص بتنظيم القاعدة اعتبر فيه أن الثورات العربية راجعة إلى ضربات الجهاديين التي أنهكت أميركا عسكريًّا واستنزفتها اقتصاديًّا مما دفعها للانكفاء على نفسها. فتراجُع النفوذ الأميركي يرجع حسب الظواهري إلى "ضربات المجاهدين لأميركا في أفغانستان والعراق، وبسبب تهديد أمن أميركا منذ الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول 2001، بدأت أميركا تسمح بتنفيس الضغط الشعبي، فانفجر في وجه عملائها، وستشهد المرحلة القادمة -إن شاء الله- مزيدًا من التراجع والانكفاء الأميركي، الذي سيزعزع سلطات حلفائها"[3]، كما وضعت نفس الوثيقة أُسُس عمل القاعدة وحلفائها في المرحلة القادمة، وهي استراتيجية تقوم على أساسين: يرتكز الأول على العمل العسكري عبر استهداف أميركا وإسرائيل كأولوية، وإسقاط الأنظمة القائمة في العالم العربي. أما الأساس الثاني الذي تقوم عليه استراتيجية القاعدة فهو العمل الدعوي العلني، من خلال التركيز على العمل الفردي والجماعي واستغلال أجواء الحريات لتوسيع دائرة الاستقطاب وضخِّ دماء جديدة في شبكة القاعدة من خلال الانفتاح على

(1) محمد أبو رمان، "أيديولوجيا القاعدة ومحاولة التكيف مع الثورات الديمقراطية"، مجلة السياسة الدولية، يوليو/ تموز 2011.

(2) الكلمة الأخيرة للشيخ أسامة بن لادن-للثورات العربية، موقع اليوتيوب. https: / /www.youtube. com /watch?v=K_Ldd9vJEzY. (تاريخ الدخول: 10 أغسطس/ آب 2014).

(3) أيمن الظواهري، توجيهات عامة للعمل الجهادي، مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي، 2012، الرابط: (https: / /azelin.files.wordpress.com /2013/ 09/ dr-ayman-al-e1ba93awc481hirc4ab-22general-guidelines-for-the-work-of-a-jihc481dc4ab22-ar.pdf) ( تاريخ الدخول: 10 غشت/ آب 2014).

فئات الشباب الذين لم تكن تسمح فرصة القمع السابقة بالوصول إليهم[1].

رغم مقاومة بعض رموز التيار الجهادي العالمي لمسألة المشاركة في الاحتجاجات الشعبية -باعتبارها شكلًا من أشكال الديمقراطية المرفوضة-، إلا أن الاتجاه العام كان يسير نحو قبول المشاركة في الاحتجاجات السلمية ولو تطلَّب ذلك المشاركة أو الوقوف جنبًا إلى جنب تيارات علمانية. وهو ما أبرَزه مفتي القاعدة، أبو المنذر الشنقيطي، في إجابة على أسئلة وردت من طرف جهاديين مغاربة على موقع التوحيد والجهاد أحد أبرز المواقع الجهادية بخصوص الموقف من المشاركة في مسيرات حركة 20 فبراير/ شباط. أعرب الشنقيطي أنه "وجب الاستفادة من هذا الظرف واغتنام الفرصة والعمل بشتى الوسائل والسعي إلى إشعال فتيل الثورة، والبوح بكل ما في الصدور والسعي إلى إبراز الاحتقان الذي واراه الخوف"[2] بما فيها الدعوة لإسقاط النظام. كما أنه أجاز المشاركة في حركة 20 فبراير/ شباط المغربية جنبًا إلى جنب التيارات العلمانية واليسارية، وعبَّر عن موقف براجماتي يدعو فيه إلى توظيف المشاركة في الحركة لـ"تحقيق ما نصبو إليه من أهداف مشروعة دون أن نتبنى منهجها الذي تدعو إليه أو نقر بالباطل الذي تنطلق منه، لاسيما [...] إذا كان الهدف الأساسي لهذه الحركة هو إسقاط النظام أو تحقيق العدالة ورفع المظالم فلا حرج في الانتماء إليها"[3].

يبرر الشنقيطي هذا الموقف البراغماتي في فتوى أخرى حول الثورة السورية في بداياتها الأولى لما كانت سلمية؛ حيث يعتبر أن المشاركة في المظاهرات مع مجموعات تدعو إلى إقامة نظام ديمقراطي لا يعتبر شرطًا كافيًا لمنع المشاركة فيها، باعتبار أن أجواء الحريات التي ستُفتح بعد سقوط النظام تؤدي إلى فتح الحريات أمام الدعوة الإسلامية مما يمكِّنها من الحصول على نفوذ اجتماعي أوسع يجعل من إمكانية

(1) المرجع السابق.

(2) "أسئلة حول المظاهرات في المغرب الأقصى" موقع التوحيد والجهاد، رقم السؤال: 4325، د.ت. (تاريخ الدخول: 10 أغسطس/ آب 2014): http: / /www.tawhed.ws /FAQ /display_ question?qid=4325

(3) حكم التعاون مع حركة 20 فبراير/ شباط من أجل التغيير في المغرب، موقع التوحيد والجهاد، رقم السؤال: 4694، د.ت. (تاريخ الدخول: 10 أغسطس/ آب 2014): http: / /www.tawhed.ws / FAQ /display_question?qid=4694

المطالبــة بتطبيق الشــريعة ممكنة مقارنة مع الوضع الحالــي. ويدعو إلى الفصل بين أمرين: المطالبة بإسقاط النظام والمطالبة بتطبيق الديمقراطية. فالأول في نظره مشروع أما الثاني فممنوع، ويقول: "فكما أن سقوط النظام ضروري لمن يطالب بالديمقراطية فهو أيضًا ضروري لمن يطالب بتطبيق الشرع [...]؛ فاتحد الهدف واختلفت النية"[1].

## ثانيًا: الجهاديون واحتجاجات حركة 20 فبراير/شباط

عرفت سنة 2011 بداية تحول في مسار التيار الجهادي بالمغرب، مع اتجاهه نحو البروز العمومي والمشاركة في الحياة العامة بصيغ مختلفة، تراوحت بين المشاركة في الاحتجاجات الشعبية وإسنادها والنشاط الحقوقي والوساطة والدعم الإعلامي لقضايا المعتقلين، ثم تنظيم عدد من الأنشــطة الدعوية. إضافة إلى اســتمرار عمليات التجنيد والتعبئة للعمل المسلح سواء داخل أو خارج المغرب، وهو ما سيتم التطرق إليه في الفصل المخصص للمقاتلين المغاربة في سوريا.

وبالرغم من أن عددًا من الأنشطة التي قام بها هذا التيار يرجع إلى فترات سابقة عن 2011، إلا أن ســياق الربيع العربي ســمح بإخراج مظالم المعتقلين على خلفية قانون الإرهاب إلى الرأي العام والتعريف بقضيتهم، ووفر فرصة سياسية للضغط على النظام من أجل الإفراج عنهم أو عن ذويهم وكذلك الدعوة للإنصاف والمصالحة.

ويُعتبر الإضراب عن الطعام والاحتجاج داخل الســجون أحد الوســائل الأبرز المســتعملة مــن طرف المعتقلين الســلفيين للتعبير عن المظالم ونقــل معاناتهم إلى الجمهور الأوسع، بهدف التأثير على الرأي العام. إنه مزيج بين التكتيك الاحتجاجي واليأس؛ فالجســد هو آخر ســلاح يمتلكه المُعتقل للتعبير عن معاناته؛ فرغم أن إيذاء الجســم جرَّاء الإضراب عن الطعام ربما يؤدي إلى الموت، وهو موجه نحو الذات، بدلًا من الخصم[2]، إلا أنه يُعتمَد باعتباره أحد أشكال المقاومة التي يلعب فيها الجسد دورًا في الفعل الاجتماعي الجماعي. فقد تم استعمال الجسد باعتباره مساحة مقاومة

(1) أسئلة حول المشاركة في المظاهرات السلمية في سوريا، موقع التوحيد والجهاد، رقم السؤال: 4666، د.ت. (تاريخ الدخول: 10 أغسطس/آب 2014): http://www.tawhed.ws/FAQ/display_question?qid=4666

(2) Michael Biggs, The Rationality of Self-Inflicted Sufferings: Hunger Strikes by Irish Republicans, 1916—1923, Sociology Working Papers, University of Oxford, 2007-03.

منذ مدة طويلة كاستراتيجية للاحتجاج الجماعي ضد الهيمنة[1].

ورغم الجدل المثار حول مسألة الإضراب عن الطعام، إلا أن المعتقلين الجهاديين الذين يستعملونه يقومون بتبريره من الناحية الأيديولوجية باعتباره من القضايا الفقهية "الخلافية" التي تتضمن آراء متنوعة. فرغم أن عددًا من العلماء أفتوا بعدم مشروعية الإضراب عن الطعام باعتباره نوعًا من قتل النفس[2]، إلا أن البعض أجازه في بعض الحالات التي لا تؤدي إلى الموت[3]، في حين يقدِّم مفتي تنظيم القاعدة، أبو المنذر الشنقيطي، فتوى يدعو فيها إلى تنفيذ إضراب "شكلي أو جزئي بحيث لا يؤدي إلى قتل النفس أو تأذي البدن"[4].

أمام غياب بدائل احتجاجية أخرى، يتجه المعتقل إلى إيذاء جسده كشكل من أشكال المقاومة بغضِّ النظر عن نتائج هذا السلوك. مع ذلك يمتلك هذا التكتيك بعض الفعالية، رغم الأذى الذي يسببه للجسد. ويفضِّل المعتقلون السلفيون تنفيذ الإضرابات عن الطعام باعتمادها أحد سجلات النضال[5] لتحقيق بعض المطالب في تحسين وضعية الإقامة داخل السجن وأيضًا كأداة للتواصل وإسماع التظلمات خارج

(1) George Ritzer (Editor), The Blackwell Encyclopedia of Sociology, (Blackwell Publishing, 2007), p: 1848.

(2) صدرت العديد من الفتاوى التي تحرِّم الإضراب عن الطعام، واعتبرت بعض الاجتهادات الفقهية أن المُضرِب إذا توفي يدخل في نطاق المنتحر. انظر، في هذا السياق، الفتاوى التالية:
حكم إضرابِ السجين عن الطعام لتحقيق أهدافه، موقع إسلام ويب، رقم الفتوى: 8020.
حكم الإضراب عن الطعام، وما الحكم لو مات المُضرب؟ موقع الشيخ ناصر العمر على شبكة الإنترنت.
حُكم من توفي وهو مضرب عن الطعام، فتوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين، فتاوى نور على الدرب، الشريط رقم 5.

(3) يجيز الشيخ يوسف القرضاوي الإضراب عن الطعام على أساس ألا يؤدي إلى الموت، وضرورة شرب القليل من الماء والقليل من الطعام حتى لا يتسببوا لأنفسهم بالموت، أنظر: يوسف القرضاوي: إضراب أسرى فلسطين "جائز"، al-qaradawi.net، تاريخ النشر: أربعاء, 09/ 01/ 2004 / / :https www.al-qaradawi.net /node /4442 (تاريخ الدخول: 16 يونيو / حزيران 2020 )،

(4) ما حكم الإضراب عن الطعام حتي الموت عند الكفار أو الطواغيت؟ منبر التوحيد والجهاد، د.ت. (تاريخ الدخول: 10 أغسطس/ آب 2014):http: / /www.tawhed.ws /FAQ /display_question?qid=4115&text=%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%A7%D8%B1%D8%A6%D8%B6%D8%A5%D8%A

(5) Verta Taylor,"Tactical Repertoires of Contention", In George Ritzer (Editor), The Blackwell Encyclopedia of Sociology, (Blackwell Publishing, 2007), p: 779

أسوار السجن. وهو ما يُظهر المرونة التي يتميز بها المعتقل الجهادي عندما يجد نفسه أمـــام حـــالات عليه المفاضلة فيها بين مقتضيات المعتقدات الأيديولوجية وبين ضغط الواقع. فعملية التبرير الأيديولوجي لشرعنة الممارسة غير المشروعة نظريًّا تجري عبر البحث عن "حيل فقهية" لملء الفراغ بين الأيديولوجيا والواقع.

في شهر أبريل/ نيسان 2012، نفذ حوالي 45 معتقلًا سلفيًّا في السجون المغربية إضرابًا عن الطعام، احتجاجًا على الوضعية المزرية التي يعيشـــونها داخل المعتقل[1]. وفي شـــهر نوفمبر/ تشـــرين الثاني 2013، خاض مجموعة من المعتقلين إضرابًا عن الطعام، أدى إلى وفاة المعتقل محمد بن جيلالي عمره 62 سنة ومريض بشلل نصفي في ســـجون مدينة مكناس، بعدما تدهورت صحته نتيجة خوضه لإضراب عن الطعام لمدة 20 يومًا، كما نفَّذ معاذ نور الدين نفيعة بفاس إضرابًا عن الطعام لمدة شـــهرين بسجن بوركايز أدى إلى تدهور حالته الصحية، ولم يُسمح لزوجته بزيارته إلا بعد نقله إلى المستشفى في وضعية حرجة. وخوفًا على حياته، سارعت مجموعة من الفعاليات الحقوقية بالتوسط لدى السلطات الأمنية لحل النزاع، وانتهى بالاتفاق بالسماح لزوجته بالزيارة مقابل إيقاف الإضرابات واحتجاجات السلفيين خارج السجون[2].

غالبًـــا مـــا يتم المزج بيـــن الإضراب عن الطعام والاحتجاجـــات داخل وخارج الســـجون. وقد ارتفعت وتيرة الاحتجاجات منذ انطلاق حركة 20 فبراير/ شباط؛ ففي شـــهر مارس/ آذار 2011، نظَّم المعتقلون الإســـلاميون احتجاجات واسعة من داخل الســـجون، لاسيما سجن ســـلا حيث يوجدون بكثافة، أدت إلى اشتباكات بينهم وبين أجهزة الأمن التي قمعت هذه الاحتجاجات بقسوة بعد تدخل فرقة خاصة نتيجة فشل

(1) "المعتقلون السلفيون في المغرب: 45 يومًا إضرابًا عن الطعام، وجمعيات حقوق الإنسان تدخل على الخط"، موقع يا بلادي، 23 مايو/ أيار 2012، (تاريخ الدخول: 17 أغسطس/ آب 2018):
http://ar.yabiladi.com/articles/details/10880/%D8%A7%D9%85%D8%B9%84%D9%86-%D8%A7%D9%88%D9%84%D9%82%D9%8A%D9%86-%D9%88%D9%8A%D9%81%D9%84%D9%85%D8%A7-%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%85%D8%A7.html%88%D9%8A%D9%85%D9

(2) "نفيعة" يوقف الإضراب عن الطعام بعد تدخل منتدى الكرامة لترحيله، جريدة التجديد، 28 مايو/ أيار 2012، (تاريخ الدخول: 13 فبراير/ شباط 2019): https://www.maghress.com/attajdid/75173

فرق مكافحة الشـغب العادية، ولم تهدأ الأوضاع إلا بعد وسـاطات من بعض شيوخ التيار الجهادي، خصوصًا الشيخ أبو معاذ نفيعة، الذي تم نقله من سجن القنيطرة إلى سجن سلا للوساطة مع المحتجين[1].

النقطة التي فجَّرت الاحتجاجات داخل السجون، في فبراير/ شباط 2011، كانت شـريطًا لأحد المعتقلين السلفيين يسمى بوشتى الشارف، وهو شيخ طاعن في السن، ادَّعى في شـريط منشور على الإنترنت أنه تعرض للاغتصاب من طرف إدارة السجن عن طريق اسـتعمال "القرعة" أي إدخال قنينة في دبره[2]. رغم أن إدارة السـجن نفت هـذه الادعاءات وظهـر لاحقًا زيف هذا الادعاء بعد اعتراف المعني بعد خروجه من السجن أنه كذب بخصوص تعذيبه[3]، إلا أن الحدث آنذاك كان كافيًا لتفجير الغضب وسـط المعتقلين السـلفيين كما أثار الشريط تعاطفًا مع المعتقلين السلفيين من خارج السجن بعد انتشار الشريط على نطاق واسع.

أسـهمت جمعيات المجتمع المدني في تخفيف حدة الاحتقان داخل السـجون من خلال جهود الوسـاطة، عبر مبادرات مختلفة قاد بعضها فاعلون سياسـيون، من بينهم: خديجة الرويسي، عضو المكتب السياسي لحزب الأصالة والمعاصرة، ونبيلة بن عمر، النائبة البرلمانية عن الحزب نفسه كذلك، والمحامي اليساري والمعتقل السياسي السابق، أحمد راكز، ومحمدين الخاليدي، الأمين العام لحزب النهضة والفضيلة، قصْدَ بناء خط وساطة بين السلفيين والدولة. إلا أنه ينبغي الانتباه الى أن مثل هذه التحركات قد تؤدي إلى نتائج عكسـية، لكونها تزرع الأمـل لدى المعتقلين وعوائلهم بخلاص قريب، كما تمثِّل بالنسبة إليهم رسالة غير مباشرة من الجهات الرسمية المعنية بالملف للبحث عن مخرج، ولاسـيما حين يتحدث هؤلاء المتدخلون عن الجهات العليا أو حين يصرحون لهم بأنهم مرسلون من القصر[4].

(1) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع عبد الصمد الإدريسي، محام، مدينة الرباط، 28 أغسطس/ آب 2013.

(2) انظر الرابط التالي على موقع اليوتيوب، (تاريخ الدخول: 13 فبراير/ شباط 2019): https: / /www. youtube.com /watch?v=GYPkVFrXPDc)

(3) بعد اعتراف المعني بالأمر بأنه كذب على السلطات لتحقيق التعاطف مع قضيته، انظر شريط الفيديو المنشور بموقع هسبريس، (تاريخ الدخول: 13 فبراير/ شباط 2019):.https: / /www.hespress. com /societe /404425.html

(4) سناء كريم، "الوسطاء الجدد في المغرب"، معهد كارنيجي للسلام العالمي، نوفمبر/ تشرين الثاني

إضافة إلى ذلك، لعب منتدى الكرامة لحقوق الإنسان الذي كان يرأسه مصطفى الرميد، وزير العدل والحريات السابق والقيادي في حزب العدالة والتنمية، دورَ الوسيط بين الدولة والمعتقلين بهدف البحث عن حلول عملية لوقف الاحتجاجات. وعُقدت جلسات حوار بين مسؤولين في وزارة العدل والمندوبية العامة للسجون والمجلس الوطني لحقوق الإنسان وممثلين عن السلفيين، تكلَّلت بتوقيع اتفاق 25 مارس/ آذار 2011[1] تضمن أربعة إجراءات:

1. تسريع الأحكام والبت في القضايا الرائجة أمام المجلس الأعلى ومحاكم الاستئناف في أفق شهر.
2. مراجعة كل الملفات القابلة للمراجعة والتي استنفدت كل وسائل الطعون.
3. معالجة القضايا العالقة معالجة عادلة وفي أقرب الآجال.
4. تفعيل مسطرة العفو عند أول مناسبة وطنية.

أسهم هذا الاتفاق في إخماد الاحتجاجات داخل السجون، إلا أن بنوده لم تعرف طريقها للتطبيق، حيث يُعتقد أن تفاوض السلطات مع المعتقلين كان يهدف إلى تطويق الأزمة أكثر منه رغبة في حل هذا الملف بشكل منهجي وتَفَهُّمي.

## ثالثًا: الجهاد "السلمي-المدني"

سيعرف نشاط التيار السلفي الجهادي تحولًا في شهر مايو/ أيار 2011 مع تأسيس اللجنة المشتركة للدفاع عن المعتقلين الإسلاميين. وتُعتبر هذه اللجنة بمنزلة محاولة جدية لمأسسة العمل العلني لدى جزء من المعتقلين السابقين على خلفية قانون الإرهاب. تُعَرِّف اللجنة المشتركة نفسها باعتبارها "لبنة من لبنات الجسم الحقوقي المغربي، حاملة على عاتقها نصرة قضية المعتقلين الإسلاميين بكل الوسائل السلمية المتاحة والمشروعة"[2]. وهي بهذا تخرج نفسها من دائرة العمل السري من جهة،

---

.2012

(1) "بلاغ منتدى الكرامة لحقوق الإنسان بخصوص اتفاق 25 مارس/ آذار 2011"، اللجنة المشتركة للدفاع عن المعتقلين الإسلاميين، (تاريخ الدخول: 27 مارس/ آذار 2014): http: / /www.ccddi. org /index /news.php?extend.811

(2) "من نحن؟"، اللجنة المشتركة للدفاع عن المعتقلين الإسلاميين، 27 سبتمبر/ أيلول 2012، (تاريخ الدخول: 13 فبراير/ شباط 2019):http: / /www.ccddi.org /index /news.php?extend.41

وتؤكد الطابع السلمي لعملها، وتنفي عن نفسها احتكار الحقيقة، بحيث تموضع نفسها كفاعل ضمن الحقل "الحقوقي". ويظهر من خلال التعريف المذكور أنها تمثِّل توجهًا جديدًا للتيار الجهادي يسعى إلى إظهار الطابع المحلي لعمله "المدني"، ورغبته في الانفتاح على الآخر، سواء التيار الإسلامي أو العلماني، في تحقيق الأهداف المشتركة، أي الدفاع عن المعتقلين السياسيين، ثم أخيرًا نبذ العنف داخل المجتمع.

يمثِّل تأسيس اللجنة المشتركة ثمرة اندماج مجموعتين كانتا تنشطان في نفس المجال، وهما: تنسيقية الحقيقة للدفاع عن معتقلي الرأي والعقيدة التي تأسست شهر نوفمبر/ تشرين الثاني 2010 من طرف بعض عائلات المعتقلين بهدف "التواصل مع الجمعيات الحقوقية، وتمثيل المعتقلين لدى الجهات الرسمية، وتنسيق الخطوات لحماية حقوق المعتقلين"[1]، وتنسيقية المعتقلين الإسلاميين السابقين التي تضم المعتقلين السابقين على خلفية قانون الإرهاب.

بدأت فكرة الاندماج تتبلور بعد تنظيم سلسلة من الأنشطة المشتركة، لاسيما خلال الفترة الأولى لحركة 20 فبراير/ شباط، ونجحت عملية الاندماج في ضم التنسيقيتين والعمل بشكل مشترك بسبب عاملين: أولًا: جهود الوساطة والتسهيلات والاستشارة التي وفرها منتدى الكرامة لحقوق الإنسان -الذراع الحقوقية لحزب العدالة والتنمية- للجنة المشتركة في مراحلها الأولى، الذي دعم لوجيستيكيًّا ومعنويًّا اللجنة المشتركة وأسهم في إنجاح خروجها للوجود، حيث وضع المنتدى مقرَّه رهن اجتماعاتها وكانت تشتغل باعتبارها لجنة حقوقية منبثقة منه لتفادي الإشكالية القانونية في تأسيس جمعية، فتم اعتماد حيلة لجنة حقوقية. كما لعب محمد حقيقي -المدير التنفيذي لمنتدى الكرامة- دورًا في تسهيل عملية الاندماج عبر تقريب وجهات النظر والحضور في الاجتماعات التأسيسية للجنة وتقديم المشورة القانونية، إضافة إلى المشاركة في وقفاتها واعتصاماتها[2]. العامل الثاني يرجع إلى التسويات الأيديولوجية بين مكونات اللجنة، فرغم أنها مكونة أساسًا من معتقلين سابقين للتيار الجهادي، إلا أنها سلكت منحى العمل الحقوقي، وفَرَّغت أنشطتها من المضمون الجهادي، وتجنبت السجالات

(1) "بلاغ تأسيس تنسيقية عائلات معتقلي ما يسمى السلفية الجهادية"، الدار البيضاء، 8 نوفمبر/ تشرين الثاني 2010، (تاريخ الدخول: 13 فبراير/ شباط2019): http: / /www.forsanhaq.com / showthread.php?t=206172

(2) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع أ. ح. مدينة فاس، 4 مارس/ آذار 2013.

الأيديولوجية وتركت المجال مفتوحًا للقناعات الفكرية الشـخصية، بما فيها الالتحاق بالفصائل القتالية بسـوريا؛ إذ تبنَّت موقفًا محايدًا إزاء سـفر معتقلين سابقين لسوريا، ورفضـت دعـم فصيل معين أو إعلان تأييدها لتنظيـم القاعدة[1]، رغم أن العديد من أعضائها لديهم قناعات جهادية وبعضهم شارك في أعمال قتالية خارج المغرب[2]، إلا أنها فضَّلت البقاء "محايدة" وتكريس صورة ذهنية بالطبيعة العلنية لأعمالها وسلميتها، وعدم نيتها القيام بأعمال تخريبية في المغرب.

نجحت اللجنة المشتركة في المرحلة الأولى من تأسيسها في خلق صدى إعلامي والتعريف بقضية المعتقلين السـلفيين لدى الرأي العام. فمن خلال سيل من البيانات والفيديوهات على مواقع التواصل الاجتماعي، تمكنت اللجنة المشـتركة من الوصول إلى فئات أوسـع لم تكن لتصل إليها من قبل؛ فخلال الفترة الممتدة بين بداية شـهر مايو/ أيار 2013 ومنتصف شـهر أبريل/ نيسان 2014، أصدرت اللجنة المشتركة أكثر من 330 رسالة إلكترونية[3] تتضمن بيانات وتسجيلات صوتية ومرئية وتعليقات على الأحداث تتعلق بالمعتقلين الإسـلاميين وأطوار محاكماتهم والتجاوزات التي تقام في حقهم، وغيرها. هذا الكم الهائل من الرسـائل سـمح لها بخلق جو من التعاطف مع قضية المعتقلين السلفيين، وكانت تنفيسًا نسبيًّا عن الضغط الذي يتعرض له السلفيون.

وقد شاركت اللجنة المشتركة ضمن احتجاجات حركة 20 فبراير/ شباط، إلا أن حضورهـا اقتصر على طرح قضيـة المعتقلين على خلفية قانون الإرهاب، حيث كان المطلب الأساسي للمشاركين في مسيرات الحركة يتجلى في أربع نقاط: إطلاق سراح المعتقلين الإسلاميين، وإسقاط قانون مكافحة الإرهاب، وإغلاق معتقل تمارة السري، وأخيرًا: محاسـبة المسؤولين الأمنيين المتورطين في ادعاءات التعذيب[4]. وقد حاول التيار الجهادي الدخول في تحالف تكتيكي مع حركة 20 فبراير/ شباط من خلال تبني عدد من مطالبها، واعتبر أسـامة بوطاهر أنه قاوم محاولات إدخالهم في مواجهة مع حركة 20 فبراير/ شباط باعتبارهم "وكالين رمضان" و"ملحدين"، حيث لم يثنهم هذا

(1) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع عبد الفتاح الحيداوي، مدينة سلا، 17 أغسطس/ آب 2014.

(2) المرجع السابق.

(3) عملية حسابية لمجموع الرسائل التي توصل بها الباحث بين الفترة الممتدة من 7 مايو/ أيار 2013 إلى 8 أبريل/ نيسان 2014.

(4) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع عبد الفتاح الحيداوي، مدينة سلا، 17 أغسطس/ آب 2014.

الأمر عن المشاركة جنبًا إلى جنب معهم[1].

في الوقت نفسه، عمل ناشطو اللجنة المشتركة على الحفاظ على تميزهم أثناء حضورهم في مسيرات 20 فبراير/ شباط عن باقي المجموعات الأخرى لاسيما من خلال التفريق بين النساء والرجال، حيث قاموا بوضع دائرة حول النساء المشاركات في المسيرة، ولم يسمحوا بالاقتراب منهم. والأمر اللافت أيضًا هو تسجيل مشاركة نسائية واسعة لعائلات المعتقلين، حيث رفعن أصواتهن بالشعارات، إضافة إلى رفع لافتات، وهو ما قد يظهر من الوهلة الأولى أنه يتعارض مع الأيديولوجية السلفية التي تحرم خروج المرأة للفضاء العمومي، باعتبار أن صوتها عورة. يمكن النظر لهذه المشاركة النسوية اللافتة للأنظار بكونها جزءًا من سياسة التسويق و"تكثير السواد"، كما أنه يدخل أيضًا في باب الضرورات لدى السلفيين، وجد له تبريرًا أيديولوجيًّا من طرف منظِّري التيار الجهادي. فحسب موقع الجهاد والتوحيد، يجوز خروج المرأة في المظاهرات إذا دخل في باب الحاجة والضرورة، وذلك في إطار احترام مجموعة من الضوابط المحددة في: إذن الزوج، والخروج في مسيرة نسائية، أو في مكان ليس فيه خلطة أو مزاحمة للرجال. وأن يكون خروج المرأة في المظاهرات مأمون العواقب لوجود الحماية، وأما في حالة التسيب الأمني أو انعدام الحماية فينبغي للمرأة أن تلزم بيتها، وأخيرًا أن تكون مُتَجالة أي تجاوزت مرحلة اليأس، أما الشابة التي تُخشى منها الفتنة فالأفضل أن يكون خروجها محصورًا في الضرورة كالقضايا الخاصة المتعينة التي تحتاج إلى تكثير السواد لقلة المشاركين فيها مثل الاعتصامات المناصرة للسجناء[2].

من الناحية الأيديولوجية، أكَّد عدد من أعضاء اللجنة المشتركة في مقابلات أجريتها معهم أنهم لا ينظرون إلى المجتمع المغربي على أنه "كافر"، بل يؤكدون على طابعه الإسلامي "الذي لا تخطئه عين، رغم الملاحظات والاختلالات التي يمكن تسجيلها، والتي نتشارك فيها مع بقية الحركات الإسلامية الأخرى"[3]. وأكد "عصام ش." "أنه كان يُلقي دروسًا في النحو والتجويد في مقر حركة التوحيد والإصلاح، ولم

(1) "كيف يحاول المخزن التفريق بين 20 فبراير/ شباط والسلفيين؟" موقع اليوتيوب، (تاريخ الدخول: 10 يناير/ كانون الثاني 2014): https: / /www.youtube.com /watch?v=uAtV5VaeEOA

(2) حكم خروج النساء في المظاهرات، رقم السؤال: 4251، منبر التوحيد والجهاد، (تاريخ الدخول: 10 يناير/ كانون الثاني 2015): http: / /www.tawhed.ws /FAQ /display_question?qid=4251

(3) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع أ. ح. مدينة فاس، 10 أغسطس/ آب 2013.

يكن يسبِّب له هذا الأمر حرجًا"[1]. كما أن اللجنة المشتركة اشتغلت بتنسيق مع عدد من الجمعيات المحسوبة على التيار العلماني، وعقدت لقاءات معها في سبيل التعريف بملفهم، كما لم تجد حرجًا في التنسيق وحضور دورات تكوينية لمنظمات حقوقية دولية مثل منظمة العفو الدولية وكان أعضاؤها مسرورين بصدور تقارير عن منظمة "هيومن رايتس ووتش" الأميركية التي ترصد وضعية حقوق الإنسان في المغرب. طبعًا، هذه المشاركات كانت تستهدف استجلاب الدعم الحقوقي لملف المعتقلين، بدون أن يعني ذلك تقاسم المرجعيات الأيديولوجية[2].

هذه المواقف تسير في نفس الاتجاه الذي يؤكده الشيوخ الأربعة المعروفون بشيوخ ما يسمى بـ"السلفية الجهادية". يرفض هؤلاء وصفهم بالتكفيريين، ويعتبر عمر الحدوشي أن مصطلح السلفية الجهادية مصطلح "لقيط نشأ في دهاليز أجهزة المخابرات"، وأكد أنه "يصلِّي في مساجد المسلمين ويأكل ذبائحهم ولا يدعو إلى مفاصلة المجتمع"[3]. بل ويؤكد بعض رموز اللجنة المشتركة معاناتهم مع بعض "الغلاة" من الشباب في السجون وخارجها، ويقصد بها مجموعة من الشباب "التكفيريين، الذين ينظرون للجميع على أنهم كفار، وقد يسلِّم عليك ولكنه يلعنك في قلبه، [...] وقد حاولنا الدخول في جدل فكري معهم لكن بعضهم منغلق ولا يقبل الحوار"[4].

بالمقابل، يؤمن بعض أعضاء اللجنة المشتركة الذين أجريت معهم البحث بالفكر وأيضًا بالعمل الجهادي خارج المغرب؛ فالجهاد حسب "أ.ح" هو "ذروة سنام الإسلام، وهو مطلب شرعي على كل المسلمين الإيمان به" فمتى تم الهجوم على أحد البلدان الإسلامية "يجب أن يهب المسلمون لنصرتهم من شتى بقاء العالم"[5]، كما يؤكد ع.ش. أن هذا المفهوم يتقاطع مع مبدأ جهاد المساندة، والذي يجد تبريره حسب

(1) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع. ش. مدينة سلا، يوم 4 أغسطس/ آب 2013.

(2) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع أ. ح. مدينة فاس، 10 أغسطس/ آب 2013.

(3) "عمر الحدوشي لـ "التجديد": ليس لي ما أتراجع عنه. لا أكفِّر المجتمعات ولا أكفِّر أصحاب المعاصي مطلقًا"، جريدة التجديد، 8 فبراير/ شباط 2012، (تاريخ الدخول: 10 يناير/ كانون الثاني 2014): https: / /www.maghress.com /attajdid /72221

(4) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع. ش. مدينة سلا، يوم 4 أغسطس/ آب 2013.

(5) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع أ. ح. مدينة فاس، 10 أغسطس/ آب 2013.

"ع. ش." في عجز الأنظمة العربية عن القيام بواجب الدفاع عن الأراضي الإسلامية المحتلة، لهذا يعتبر الجهاديون أن القتال الدفاعي "جهاد الدفع" لا يحتاج إلى إذن ولي الأمر، لأن "الأمة" في نظره "جسم واحد، لا فرق بين المغرب وإندونيسيا والشيشان وغيرها. متى احتلت مكان من دار الإسلام، فإن واجب كل المسلمين نصرتهم"[1]. إذن من خلال المنطلق النظري هذا، يستنتج الجهاديون المغاربة أن مساندة المسلمين في دفع "الصائل" تكون مشروعة في كل الحالات التي يتم فيها احتلال مباشر لأراضي المسلمين.

يعتبر أحد الناشطين السلفيين أنهم لا يؤمنون بفكرة الدولة-الوطنية وبالتالي لا يعترفون بالحدود الجغرافية التي تفصل بين الدول الإسلامية. وتشكِّل العقيدة الدينية الأساس الذي يتم تعريف الذات بها. فالجهادية-العالمية تشغل وظيفة جيش غير نظامي عابر للقوميات، تشكل العقيدة الدينية المرجعية المشتركة بينها، "فقد نجح المسلمون في تكوين جيش متحرك لا يعترف بالحدود المصطنعة، يتنقل في كل الأماكن التي يوجد بها صراع، إنها مثل شركة المكدونالد، يوجد شبكات محلية ومزود مركزي، وفكرة يشترك فيها الجميع، رغم التغيرات المحلية التي قد تظهر"[2]، كما يؤكد أحد الجهاديين السابقين.

والجدير بالملاحظة أن اللجنة المشتركة لا تمثل التيار الجهادي ككل، فنفوذها في صفوف المعتقلين الإسلاميين محدود، كما أن طبيعة التنوع الذي تعيشه مكوناتها جعلها تركز جهدها في القضايا المشتركة بدل الجدالات الأيديولوجية، التي تتجلى أساسًا في إطلاق سراح كافة المعتقلين الإسلاميين، ووقف التجاوزات والانتهاكات التي تطول أبناء الحركة الإسلامية. علاوة على إسقاط قانون مكافحة الإرهاب، وتفعيل مبدأ عدم الإفلات من العقاب بالنسبة للمسؤولين عن كافة الانتهاكات التي شابت ملف المعتقلين الإسلاميين. وأخيرًا، جبر الضرر المادي والمعنوي عن كل أشكال الانتهاكات التي لحقت بالضحايا[3]. وبالرغم من محاولات التنسيق، إلا إنه سرعان ما

(1) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع. ش. مدينة سلا، يوم 4 أغسطس/ آب 2013.

(2) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع أ. ح. مدينة فاس، 10 أغسطس/ آب 2013.

(3) ورقة تعريفية للجنة المشتركة للدفاع عن المعتقلين الإسلاميين: مكوناتها و أعضاؤها و أهدافها. د.ت. موقع اللجنة المشتركة للدفاع عن المعتقلين الإسلاميين (تاريخ الدخول: 13 فبراير/ شباط 2019): http: / /www.ccddi.org /index /page.php?4

ظهر تصدع داخل اللجنة المشتركة بعد انسحاب فتيحة حسني الملقبة بأم آدم المجاطي عقب صراع نشب بينها وبين أنس الحلوي على خلفية اتهامات متبادلة حول مسائل تهم حياة أنس الشخصية، بالإضافة إلى اتهامها اللجنة المشتركة بالضعف في الدفاع عن المعتقلين.

ترجع أسباب هذا النزاع إلى عوامل مختلفة لا يمكن فصلها عن مواقف السلفيين من المرأة وعملها في الخارج، فالنشاط العمومي لفتيحة حسني وانفتاحها على وسائل الإعلام، إضافة إلى ما يُتصور "مزاجها الحاد وحدية مواقفها" جعل العديد من السلفيين يتحفظون على هذا الأمر[1]. السبب الثاني يرجع إلى الصراع الخفي الذي كان بين تيار جهادي "براجماتي" والآخر "راديكالي". فالتيار الأول هو الذي كان مهيمنًا على اللجنة المشتركة وكان يسعى ما أمكن إلى توسيع دائرة المشاركة والتركيز أكثر على البُعد الحقوقي للجنة المشتركة أكثر من البعد الجهادي، في حين كان التيار الثاني يتجه أكثر فأكثر إلى إظهار طابعه الجهادي والمناصرة العلنية للقاعدة. نتيجة لذلك، دخلت أم آدم المجاطي في مواجهات "إلكترونية" وإعلامية مع عدد من أعضاء اللجنة المشتركة وشيوخ التيار الجهادي تتهمهم بالتخلي عن ملف المعتقلين السلفيين والسقوط في تجاوزات "أخلاقية وعقدية"[2]. وصل مدى هذا الصراع الشخصي إلى خارج الوطن مع دخول بعض رموز التيار الجهادي العالمي على الخط؛ حيث تدخل المصري هاني السباعي كحَكَم بين الطرفين المتنازعين؛ فقد أجرى مقابلات منفردة معهما عبر الهاتف وبعض وسائل الاتصال الحديثة مثل برنامج "سكايب" لبحث حيثيات النزاع، وأصدر السباعي حُكْمًا قضائيًّا نهائيًّا لصالح فتيحة مجاطي[3]، وهو ما أدى إلى سخط الحلوي، واعتبره قرارًا مبنيًّا على أساس غير سليم. إلا أن المسؤول الإعلامي باللجنة المشتركة قلَّل من شأن هذا الأمر واعتبر أن أم آدم "مثيرة للمتاعب"

(1) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع أ. ح. مدينة فاس، 4 مارس/ آذار 2013.

(2) "أم آدم المجاطي في حفل بمناسبة خروج الشيخ عمر الحدوشي من السجن"، موقع اليوتيوب، (تاريخ الدخول: 10 يناير/ كانون الثاني 2014):
https: / /www.youtube.com /watch?v=lC4DJNXAF4c

(3) "الحكم النهائي في قضية السيدة أم آدم المجاطي"، حكم به الشيخ د. هاني السباعي، مركز المقريزي للدراسات التاريخية، لندن، 26 يونيو/ حزيران 2013، (تاريخ الدخول: 10 مارس/ آذار 2015):
http: / /www.almaqreze.net /ar /news.php?readmore=2164

وأنها لم تكن في يوم ما مسؤولة في تنسيقية الحقيقة، بل كانت تعمل فيها تحت إشراف حسناء مساعد[1].

بالإضافة إلى ذلك، أدت تطورات الثورة السورية إلى سفر العديد من أعضاء اللجنة المشتركة إلى سوريا وانضمامهم إلى الفصائل المقاتلة هناك، وكان لسفر الناطق الرسمي السابق للجنة المشتركة، أنس الحلوي، إلى سوريا دور بارز في تراجع إشعاع اللجنة المشتركة ودفعت العديد من شركائهم داخل المجتمع المدني إلى التبرؤ منهم.

## رابعًا: العلاقة المتذبذبة مع السلطات

تميزت علاقة السلطات الأمنية مع اللجنة المشتركة بمراحل متقلبة حسب الظرفية، فكانت العلاقة تستقر في نوع من التسامح وتتوتر في فترات أخرى. بشكل عام، كانت الدولة تتسامح مع أنشطة اللجنة المشتركة وسمحت لها بتنظيم وقفاتها الاحتجاجية من دون أن تتعرض لها بالقمع، بالرغم من تعرض فئات أخرى للقمع والتضييق، مثل مجموعات المعطّلين التي كانت تتعرض وقفاتهم أمام البرلمان للقمع. يفسر بعض أعضاء اللجنة هذا الأمر من خلال ربطه بالصراع الموجود داخل الأجهزة الأمنية حول الطريقة التي ينبغي لها أن تتعامل مع السلفيين، بحيث يعتبر أحد أعضاء اللجنة التنفيذية لِلّجنة المشتركة أن "هناك جناحين في الأجهزة الأمنية، يمكن تسميتهما بجناح الصقور وجناح الحمائم، يؤمن الصقور بالقبضة الحديدية وقمعنا، أما الحمائم فيرغبون في إعطائنا فرصة للتعبير عن آرائنا رغم اختلافهم معنا، وهذا التخبط الذي نراه هو بسبب الصراع بينهما، فعندما ينتصر الصقور يتم قمعنا، والعكس صحيح"[2].

هناك تفسير إضافي يمكن اقتراحه ويتعلق برغبة السلطات في تحقيق وظيفتين من خلال السماح للجنة المشتركة بالاحتجاج بشكل سلمي؛ يتجلى الأول في الوظيفة التنفيسية، بحيث يؤدي السماح للجهاديين بالتعبير عن آرائهم وتظلماتهم أمام الرأي العام إلى تخفيف الضغط عليهم ويعطيهم فرصة لتفريغ غضبهم من دون أن يعني ذلك تحقيقًا لمطالبهم. والثاني وظيفة رصدية؛ إذ يساعد السماح للمعتقلين الجهاديين السابقين بتنظيم أنشطة إشعاعية وتأطيرية بتسهيل عمل السلطات على رصد الأعضاء

(1) مراسلة الباحث عبر البريد الإلكتروني مع المسؤول الإعلامي للجنة المشتركة للدفاع عن المعتقلين الإسلاميين، 8 أبريل/ نيسان 2014.

(2) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع أ. ح. مدينة فاس، 10 أغسطس/ آب 2013.

والمتعاطفين معهم وإبقائهم تحت دائرة الضوء والرصد مما يساعدها على متابعة تطوراتهم، وقمع العناصر الراديكالية ضمنهم.

بموازاة ذلك، عرفت العلاقة بين الدولة واللجنة المشتركة توترات متقطعة، وصلت إلى درجة عليا من التوتر بداية سنة 2013، اضطرت معها اللجنة المشتركة إلى توقيف جميع أنشطتها النضالية والإعلامية لمدة ثلاثة أسابيع تعبيرًا عن الاحتجاج على "المضايقات التي يتعرض لها مجموعة من أعضاء اللجنة المشتركة للدفاع عن المعتقلين الإسلاميين وكذا استهداف مجموعة من أنشطتها الاحتجاجية السلمية بالمنع وبالقوة أحيانًا رغم أن كل أنشطتها تسير وفق ما هو مسموح به من حق المواطنين في الاحتجاج السلمي دون تخريب أو احتلال لأماكن عامة"[1]، عبَّر عنها الناطق الرسمي باسم اللجنة في مقابلة أجريناها معه بأن التوقيف كان "بمنزلة استراحة محارب، لنلتقط أنفاسنا ونعيد ترتيب الأولويات، ولم يكن في نيتنا توقيف عملنا بشكل نهائي، كما أن هناك عامل الدعم والمساندة الذي تلقيناه من طرف مجموعة من الفعاليات التي طلبت منَّا الاستمرار في الدفاع عن المعتقلين بشكل سلمي"[2].

على نفس المنوال، عرفت علاقة اللجنة المشتركة وحزب العدالة والتنمية مدًّا وجزرًا؛ ففي سنة 2011، كانت تميل إلى التعاون عن طريق جمعية منتدى الكرامة الذي كان يحتضن أنشطة المعتقلين السلفيين السابقين، ولكن بعد وصول حزب العدالة والتنمية لقيادة الحكومة سنة 2012 بدأت العلاقة تتدهور بين الطرفين. ففي بداية وصول العدالة والتنمية للحكومة ساد تفاؤل في أوساط التيار الجهادي بإمكانية حلٍّ شامل لملف السلفية الجهادية بسبب الوعود التي كان الإسلاميون يحملونها قبل وصولهم للحكم وأيضًا بسبب اشتغال الذراع الحقوقية للحزب على ملف المعتقلين السلفيين لفترة طويلة، وبالتالي هم الأقدر على فهم طبيعة الملف ومن ثمة اقتراح حلول عملية له. هذا بالإضافة إلى تقاسم السلفيين المرجعية الدينية نفسها مع الإسلاميين رغم اختلافهم على مستوى التطبيق. ونتيجة لذلك كان أول اللقاءات التي عقدها وزير العدل والحريات، مصطفى الرميد، مع ممثلين للتيار الجهادي؛ فقد عقدت اللجنة

(1) "لهذه الأسباب، علَّقنا جميع أنشطتها النضالية الحركية والإعلامية وغيرها"، اللجنة المشتركة للدفاع عن المعتقلين الإسلاميين، 11 يناير/ كانون الثاني 2013، (تاريخ الدخول: 13 فبراير/ شباط 2019): (http: / /www.ccddi.org /index /news.php?extend.675)

(2) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع أ.ح. بمدينة فاس، يوم 28 أغسطس/ آب 2013.

المشتركة لقاءات مع الوزير، في فبراير/ شباط 2012، بهدف إيجاد حلول لملفِّهم، إلا أن اللقاءات لم تسـفر على ما يبدو عن نتائج عملية، وهو ما أفرز حالة من الإحباط في صفوف الجهاديين.

هذا التعقيد الذي عرفه ملف المعتقلين السلفيين أدى إلى توتر العلاقة بين التيار السلفي الجهادي مع حزب العدالة والتنمية الذي يقود الحكومة منذ بداية 2012. لقد كان المعتقلون السـلفيون السابقون يأملون أن يُسهم وصول الإسلاميين إلى الحكومة في تحريك ملفهم وحلحلته، إلا أن رئيس الحكومة، عبد الإله بنكيران، ووزير العدل والحريات، مصطفى الرميد كلاهما من حزب العدالة والتنمية، أدركا أن الملف مُعقد[1] لأن الملف يرتبط أساسًـا بالأجهزة الأمنية التي ليسـت للحكومة عليها سلطة، يقابله نفاد صبر المعتقلين السـلفيين القابعين في السجون، مما أدى بالعديد منهم إلى تنفيذ إضرابات عن الطعام واحتجاجات داخل السجون.

تجلَّت عملية الشد والجذب بين الحكومة والمعتقلين السلفيين أساسًا من خلال قيام اللجنة المشتركة للدفاع عن المعتقلين الإسلاميين بتنظيم وقفات متعددة أمام مقر الحزب الذي يقود الحكومة للتنديد بما يعتبرونه تنكرًا للحزب لوعوده بتحريك ملفهم، واتهامهم له بلعب ورقة السـلفيين كورقة انتخابية للضغط على النظام[2]. ومع ذلك، انتقد بعض شيوخ التيار السلفي هذه الخطوة التصعيدية، وحاول حسن الكتاني -أحد الرموز السلفية المقربة من اللجنة المشتركة- تلطيف الأجواء، ووجَّه بدلًا من ذلك طلبًا للملك محمد السادس يدعوه إلى حل ملف السلفيين، باعتبار أن الحكومة غير قادرة على الاقتراب منه[3]. من جهته، يعتبر حزب العدالة والتنمية أن المعتقلين السلفيين لم يقوموا بمجهودات كافية لدفع شبهة "العنف" عنهم. فقد برر كل من رئيس الحكومة ووزير العدل عدم تحريك ملف السلفيين المعتقلين في السجون بسبب التحاق أغلبهم

(1) "ابن كيران: ملف معتقلي السلفية الجهادية معقد.. وحلُّه يبدأ بإجراء مراجعات فكرية"، جريدة الشرق الأوسط، 24 نوفمبر/ تشرين الثاني 2013، العدد 12780.

(2) "بيان اللجنة المشتركة في وقفة أمام مقر حزب العدالة والتنمية بالمغرب"، موقع اليوتيوب، 13 ديسمبر/ كانون الأول 2013، (تاريخ الدخول: 10 يناير/ كانون الثاني 2014): https: / /www. youtube.com /watch?v=RUEsIhBjrok

(3) "أبو حفص والكتاني: حل ملف المعتقلين الإسلاميين بيد الملك وحده"، جريدة أخبار اليوم، 8 ديسمبر/ كانون الأول 2013، (تاريخ الدخول: 13 فبراير/ شباط 2019): http: / /m.alyaoum24. com /168716.html

بســـاحات القتال في سوريا[1]. وفعلًا، أســـهم السفر المفاجئ لأنس الحلوي -الناطق الرســـمي السابق باسم اللجنة المشتركة للدفاع عن المعتقلين الإسلاميين- إلى سوريا في عَرْقَلَة التوصل لحل شامل لملف المعتقلين السلفيين. فقد كان أنس معتقلًا سابقًا وناشطًا حقوقيًّا بارزًا حيث عُرف إعلاميًّا بمواقفه المدافعة عن إطلاق سراح السجناء ونبذ العنف داخل المغرب والتواصل مع مختلف الفعاليات المدنية والسياسية[2].

(1) "بنكيران: الأوضاع السياسية للبلاد لا تساعد على حل ملف المعتقلين السلفيين"، جريدة أخبار اليوم، 24 نوفمبر/ تشرين الثاني 2013، (تاريخ الدخول: 13 فبراير/ شباط 2019): http: / /m. alyaoum24.com /168049.html

(2) "أنس الحلوي يفاجئ الحقوقيين ويغادر المغرب للقتال في سوريا"، موقع هسبريس، 27 ديسمبر/ كانون الثاني 2013، (تاريخ الدخول: 13 فبراير/ شباط 2019): http: / /www.hespress.com / societe /97459.html

# الفصل السابع
# الجيل الجديد من المقاتلين المغاربة في سوريا

خــلال الفتــرة الأولى لاندلاع الثورات العربية كان الطابع المميز لها هو الكفاح السلمي من أجل التغيير، إلا أن تحولها في اتجاه العمل المسلح في ليبيا وسوريا أدى إلى تغيير الطبيعة السلمية للحراك الشعبي. لم يكن هذا التحول بدون ثمن، فالثورات، كمــا تســتنتج حنَّة أرندت، كان لابد لها أن تكــون عنيفة ودموية إلى حين إقامة نظام جديد[1].

ومن النتائج غير المتوقعة لهذا التحول الجذري في مســار الحراك الشــعبي في العالــم العربــي بروز موجة جديدة من الجهادية العالمية التي وجدت صدى اجتماعيًّا في صفوف الشباب المهمَّش والمحبط. فقد وفَّرت تداعيات الثورة السورية بنية فرص للأيديولوجيا الجهادية لتجد انتشارًا في أوساط هؤلاء الشباب، وتطابقت رؤاهم للعالم مــع أهــداف التنظيمات الجهاديــة، إلا أنه يبدو أن الجيل الجديــد يميل أكثر للعنف المفرط، ممزوج بالنشــاط النشــاط الاجتماعي والدعوي، مع حماســة جديدة تجاه الصراعات العنيفة في كافة أنحاء العالم، ولاســيما محاربة نظام الأســد في سوريا في الوقت الراهن. وغالبًا ما يمجِّد الشباب السلفيون الجهاديون هؤلاء الذين يقاتلون في إطار الجهاد السوري، فضلًا عن أسلافهم في أفغانستان والعراق وغيرها من البلدان[2].

وقد أثار موضوع الســفر إلى ســوريا للقتال ضد نظام الأسد نقاشًا في صفوف الســلفيين بالمغــرب وتباينت وجهات النظر حوله بشــكل بارز بيــن اتجاه يدعو إلى وجوب الجهاد في سوريا باعتباره يدخل في باب جهاد المساندة و"دفع الصائل" في حين يعارض أغلب شيوخ التيار السلفي السفر، ويدعون إلى الدعم والنصرة بأشكال

(1) أرندت، حنَّة، في الثورة، ترجمة عطا عبد الوهاب، ط.1 (بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2008)، ص: 29.

(2) حايم ملكا، ووليام لورنس، "الجيل التالي من السلفية الجهادية"، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، 2013.

أخرى. وقد أيَّد شيوخ التيار الجهادي الثورة السورية خلال سنواتها الأولى، وكان ذلك إلى حدود نهاية سنة 2013. مثلًا، شارك الشيخ محمد الفيزازي ومحمد رفيقي أبو حفص في مؤتمر القاهرة، الذي انعقد منتصف شهر يونيو/ حزيران 2013، وأيد محمد الفيزازي البيان الختامي للمؤتمر الذي أعلن النفير العام للقتال في سوريا واعتبر أنه من الضروري مقاتلة النظام السوري وإسقاطه بكل الوسائل[1].

ستتغير مواقف الشيوخ مع دخول تنظيم داعش على الخط بداية سنة 2014، حيث سيغيِّر هؤلاء مواقفهم إزاء مسألة المقاتلين المغاربة في سوريا، فرغم التعاطف البارز الذي يبديه عمومًا السلفيون تجاه الثورة السورية، إلا أنهم يتحفظون على مشاركة المغاربة في القتال الدائر هناك، لاعتبارات أيديولوجية وسياسية. ففي رسالة مصوَّرة في شهر أبريل/ نيسان 2014، قال عمر الحدوشي إنه ضد إرسال المقاتلين الشباب المغاربة إلى سوريا[2] لما يترتب عليه من مشاكل اجتماعية، لدى أسر المقاتلين. كما غيَّر محمد الفيزازي من موقفه المتحمس لدعم الثورة السورية بكل الوسائل واستقر رأيه على الاكتفاء بمبدأ التعاطف مع القضية السورية والدعم المعنوي والدبلوماسي، في حين أن المغرب غير معني حاليًّا بالدعم العسكري والمالي والبشري "لأنه آخر بلاد الإسلام استهدافًا وأبعد بلاد الإسلام مسافة [...]، فآخر شيء يجب أن نفكر فيه هو أن يذهب شبابنا إلى سوريا للقتال. وأقرب ما يكون إلى الحقيقة أنهم سيذهبون -لو ذهبوا- إلى القتل وليس إلى القتال"[3]، وحذَّر الشباب المغربي من السفر لسوريا للقتال ضمن الفصائل المعارضة التابعة للقاعدة لما قد يسبِّبه هذا الأمر من تداعيات سلبية على مسار الثورة من "دون أن يغيِّر من كفة الصراع شيئًا أو يكاد إن لم أقل بأن هذا مما يجعل دول العالم تتخلف عن تسليح المعارضة السورية من جهة وإعطاء النظام السوري وحلفائه ذريعة قوية مفادها أن الحرب هي ضد الإرهابيين والتكفيريين"[4].

---

(1) "الفزازي: ما قيل في مؤتمر القاهرة من طرف علماء الأمة، ولم يُنشر"، موقع هسبريس، 16 يونيو/ حزيران 2013، (تاريخ الدخول: 13 فبراير/ شباط 2019): https://www.hespress.com/orbites/81821.html

(2) "البغدادي يتحدى الحدوشي"، جريدة الصباح، 16 فبراير/ شباط 2017، (تاريخ الدخول: 13 فبراير/ شباط 2019): https://assabah.ma/185140.html/البغدادي-يتحدى-الحدوشي/

(3) محمد الفيزازي، "قبل الذهاب للجهاد في سورية"، موقع هسبريس، 30 يونيو/ حزيران 2013، (تاريخ الدخول: 15 فبراير/ شباط 2019): https://www.hespress.com/orbites/82956.html

(4) المرجع السابق.

وبغـضِّ النظـر عن دور التعبئـة الأيديولوجية التي قام بها السـلفيون المغاربة للسفر إلى سوريا، فقد سرَّعت عسكرة الثورتين، السورية والليبية، من وتيرة استقطاب المقاتلين المغاربة وارتفعت إلى حدها الأقصى في الفترة بين يونيو/ حزيران وديسمبر/ كانون الأول 2013. فخلال فترة ستة أشهر التحق حوالي 900 متطوع مغربي بالقتال في سـوريا، وهو معدل يسـاوي حوالي 150 مقاتلًا شـهريًّا[1]. ورغم أن التقديرات تختلف حول أعداد المقاتلين المغاربة في سـاحات القتال، إلا أن المؤكد أن الساحة السـورية تستقطب النصيب الأكبر؛ حيث يقدَّر العدد بالمئات حسب عدد من التقارير والدراسـات المنجـزة حول الموضوع التي حصرت العدد فـي حوالي 1500 مقاتل مغربي في سـوريا بحدود سـنة 2015[2]. وبشـكل أكثر دقة، وصل عدد المتطوعين المغاربة في صفوف الجماعات المسلحة في سوريا -حسب الإحصاءات الرسمية التي توفرها وزارة الداخلية المغربية- إلى 1122، في يونيو/ حزيران 2014[3]، و1350، في يوليو/ تموز 2015، ضمنهم 254 قُتلوا في المواجهات المسـلحة هناك[4]، أي حوالي 20 فـي المئـة من عدد المتطوعين. وإذا أضفنـا الأوروبيين من أصول مغربية يمكن

(1) Des djihadistes Marocains en Syrie veulent rentrer au pays", h24info, 23Mai 2014. " (accesses 15 February 2019) http: / /www.h24info.ma /maroc /des-jihadistes-marocains-en-syrie-veulent-rentrer-au-pays /23381

(2) أشار العديد من التقارير إلى أن الرقم التقريبي هو 1500 مقاتل مغربي موجود في سوريا، انظر على سبيل المثال:

Foreign Fighters in Syria, The Soufan Group, June 2, 2014.

Peter R. Neumann, Foreign Fighter total in Syria/Iraq now exceeds 20,000; surpasses Afghanistan conflict in the 1980s, ICSR at King's College London, 26 January 2015.

Treatment of Foreign Fighters in Selected Jurisdictions, the Global Legal Research Center, December 2014

UN Documents on Foreign Terrorist Fighters, The Counter-Terrorism Committee Executive Directorate, United Nations, 2013.

(3) " Menace terroriste: Hassad précise l'ampleur du phénomène ", Aufaitmaroc, 17 July 2014. (accesses 15 February 2019) http://www.aufait.ma/2014/07/16/hassad-precise-lampleur-du-phenomene_442863

(4) United Nations Counter-Terrorism Committee, "Statement by Director General Mr. Yassine Mansouri, MFA, Morocco". Counter-Terrorism Committee Briefing. 30 September 2014. (accesses 15 February 2019) https://www.un.org/sc/ctc/news/2014/10/08/in-counter-terrorism-committee-briefing-african-states-share-best-practices-in-preventing-incitement-to-terrorism/

أن يصل العدد إلى ما بين 2000 و2500 مقاتل في المجموع. بعد ســـوريا تأتي ليبيا باعتبارها الوجهة الثانية الأكثر جذبًا للجهاديين المغاربة[1]. حيث تشـــير بعض التقارير إلى وجود العشـــرات من المغاربة الذين التحقوا بالجماعات الجهادية في ســـوريا بعد دعوة أبو بكر البغدادي للمغاربة للالتحاق بإمارة الدولة الإسلامية بليبيا التابعة لتنظيم داعش[2]، بالإضافة إلى اعتماد الجهاديين المغاربة لليبيا كممرٍّ للعبور نحو سوريا، بعد أن تم تضييق الطريق التقليدية عن طريق تركيا.

**رسم بياني يوضح تطور أعداد المقاتلين المغاربة في سوريا**

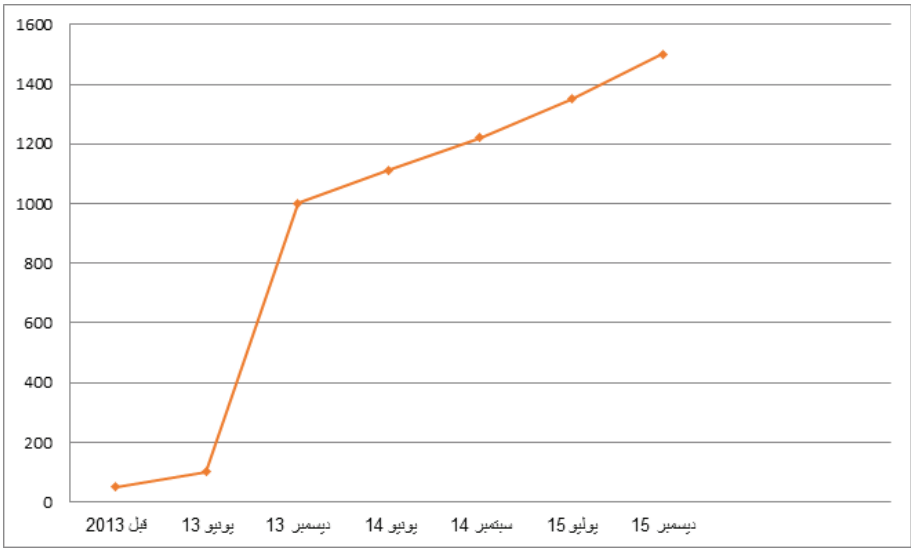


**المرجع: تركيب الباحث من مصادر مفتوحة**

(1) "Jihadists take aim at last safe haven in North Africa", The Times, 16 July 2015. (accesses 15 February 2019) http://www.thetimes.co.uk/tto/news/world/africa/article4499184.ece

(2) "Daesh : Al Baghdadi lance un appel aux djihadistes marocains de rejoindre la Libye", yabiladi, 17January 2015, (accesses 15 February 2019) http://www.yabiladi.com/articles/details/32705/daesh-baghdadi-lance-appel-djihadistes.html

## أولًا: أساليب التجنيد والتأطير

وعلى غرار الجهاد العراقي، اعتمدت عملية الاستقطاب إلى الساحة السورية على العلاقات الشـخصية بشـكل كبير؛ فأغلب الذين سافروا إلى سوريا تم استقطابهم من طرف أشخاص تربطهم بهم علاقة اجتماعية معينة؛ إما علاقات صداقة أو علاقة عمل أو جوار وغيرها. فالمعرفة الشخصية المسبقة بين المتشددين وبين الزبائن المحتملين تخلق وضعية ثقة مما يسهِّل عملية التجنيد. يحصل الاختلاف على مستوى الأدوات والطرق المستعلمة للاستقطاب.

### الاستقطاب

بشـكل عام، يمكن التمييز بين طريقتين للاسـتقطاب: أولًا: عن طريق المقابلة المباشـرة وجهًا لوجه بين الطرفين في العالم الحقيقي، وتعتمد أساسًـا على شبكات العلاقات المسـبقة المنسوجة بين الراغبين بالالتحاق وبين شبكات التسفير. ثانيًا: عن طريق الاسـتقطاب عن بُعد، عبر الإنترنت. بحيـث أصبح الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعـي تلعـب دورًا أساسـيًّا في اسـتراتيجية التنظيمات الجهادية لاسـتقطاب الجهاديين[1].

اختمرت فكرة السفر إلى سوريا في البداية عبر لقاءات غير رسمية بين أبناء الحي الواحد أو زملاء في العمل، وغالبًا ما يكون هؤلاء ضمن فئة الشـباب أولئك الذين يمتلكون حماسًا دينيًّا وفي الوقت نفسه غاضبون على الأوضاع في بلدهم ومحبطون من عدم قدرة أية جهة على التدخل لإنقاذ الشعب السوري.

تشـير دراسة أنجزها المرصد الشمالي لحقوق الإنسان حول المغاربة المقاتلين في سـوريا والمنحدرين من مناطق الشـمال الغربي بالمغرب إلى أنه حوالي 60 في المئـة من المبحوثين تم اسـتقطابهم عن طريق مواقـع التواصل الاجتماعي في حين الباقي تم عن طريقة المقابلة وجهًا لوجه[2]. بالنسـبة لشـبكات التواصل الاجتماعي، فقد أضحت إحدى الأدوات الفعالة للاسـتقطاب للجهاد في سوريا؛ حيث يضع عدد

(1) Jytte Klausen, "Tweeting the Jihad: Social Media Networks of Western Foreign Fighters in Syria and Iraq", Studies in Conflict & Terrorism, 2015, Vol 38:1, p: 1-22.

(2) " Enquête: pourquoi les Marocains partent faire le jihad en Syrie ", TelQuel, 26 novembre 2014, (accessed 15 February 2019) (http://telquel.ma/2014/11/26/enquete-les-jihadistes-marocains-en-quete-gloire-en-irak-en-syrie_1424117

من الشـــباب الملتحقين هناك صفحات لهم على شـــبكة الفيسبوك، ويتواصلون بشكل يومي مع أصدقائهم المغاربة لتحفيزهم على الالتحاق بهم.

بالإضافة إلى تنوع الطرق التي تستعملها الجماعات الجهادية لاستقطاب مترشحين جـــدد واعتمادهـــا على أدوات وطرق متعددة يبرز اختلاف أيضًا على مســـتوى درجة تحكم المجندين في مســـار انتماءاتهم والمجموعات التي ســـينضمون إليها. ويدخل في هذا الاعتبار عدد من المتغيرات، أبرزها: المســـتوى التعليمي والخبرة في الســـفر خارج البلد وأيضًا إدراك الاختلافات بين المجموعات المسلحة والجهة التي تم ربط الاتصال بها في سوريا، ثم أخيرًا الشبكة التي تسهِّل عملية السفر وإجراءات الدخول إلى الداخل السوري. وفي هذا السياق، يمكن التمييز بين ثلاثة أنماط من المرشحين للجهاد حسب درجة الاستقلالية أو التبعية إزاء شبكات التجنيد:

**الصنف الأول**: **"المســـتقلون"**، وهم الأشخاص الذين يتمتعون باستقلالية مادية ويمتلكون مستوى تعليميًّا مرتفعًا نسبيًّا ولديهم أيضًا تجربة في الأسفار خارج المغرب. هذه الفئة رغم أنها تشكِّل نسبة قليلة إلا أنها تتميز بكونها مستقلة نسبيًّا على مستوى ترتيبات الســـفر وأيضًا المجموعات التي يتم الالتحاق بها في سوريا، وعادة ما تسافر بشكل فردي أو في إطار مجموعة صغيرة لا تتجاوز 3 4- أشخاص.

**الصنف الثاني**: **"شـــبه المســـتقلين"**، هم الأشخاص الذين يتمكنون من تحضير بعض الاستعدادات اللوجيستية، وبسبب عدم تمكنهم من معرفة تفاصيل الرحلة فإنهم يضطرون إلى البحث عن مسهِّلين لعملية السفر.

**الصنف الثالث**: **"التبعيون"**، وهم أولئك الذين لا يكون لديهم تأثير محدود في مســـار السفر والمجموعات التي سيلتقون بها. فبسبب الفهم المحدود لطبيعة الحرب الأهلية في ســـوريا وعدم امتلاك معلومات دقيقة حول الجماعات المسلحة الموجودة هناك فإن هذا الصنف يعتمد أساسًا على المسار الذي تخططه شبكات التسفير المرتبطة بالتنظيمات الجهادية في سوريا.

عـــادة ما ينتهي الأمر بهذا النوع من الأشـــخاص إلـــى الانخراط في مجموعات مختلفة وقد يتم تقســـيمهم بشـــكل عشـــوائي على المجموعات المسلحة كما حصل بالنســـبة لحالة م.ك. الذي يحكي محاميه أنه بعد أن التزم منذ فترة قصيرة لم تتجاوز شهرًا التقى ببعض زملائه وقرروا السفر إلى سوريا في صيف 2013 لمساندة الشعب الســـوري بعد ما شـــاهدوه في وســـائل الإعلام من تقتيل للمواطنين من طرف النظام

الســوري. ويضيف المحامي المكلَّف بملف هذا الشــاب، أن موكله لم يكن مدركًا لطبيعة الصراع هناك ولم يكن يمتلك معلومات كافية عن المجموعات المسلحة هناك، وإنما كان مدفوعًا بعواطف دفعته للتفكير في السفر لسوريا. وقد كان م.ك. سافر ضمن مجموعة صغيرة من أبناء حيِّه عن طريق شبكة تهجير للمقاتلين تنشط في مدن شمال المغرب ويرأســها مواطن تركي الجنسية، وبعد الوصول إلى الحدود التركية-السورية تم تقسيمهم وإرسالهم لمجموعات مختلفة فتم إرساله هو إلى تنظيم داعش، في حين أُرســل صديقه إلى جبهة النصرة وشــخص آخر إلى تنظيم أحرار الشام. وقد أخبرني المحامــي أن موكلــه أحسَّ بأنه قد تم النصب عليهــم في تلك اللحظة ومن ثمة قرر الرجوع بعد شهر قضاه هناك في سوريا[1].

**التأطير والتعبئة الأيديولوجية**

تجدر الإشــارة إلى أن الملتحقين بجبهات القتال في ســوريا ليســوا كلهم من أصحاب الســوابق ضمن تيار الســلفية الجهادية كما أن أغلبهم لم يكونوا من معتقلي قانون الإرهاب بالمغرب. فأغلب الملتحقين بالجهاد في سوريا ليسوا جهاديين بالمعنى الحرفي للكلمة، وهي نسبة تناهز حوالي 88 في المئة من الأشخاص الذين لا يمتلكون ســوابق قضائية ولم يســبق وأن تم اعتقالهم بسبب أفكارهم الجهادية[2]. وكما سبقت الإشارة إليه، فإن العنصر الحاسم في الالتحاق بسوريا ليس هو الاقتناع بالأيديولوجية الجهادية وإنما مرتبط بالبعد التضامني مع الشعب السوري. إن التحول نحو الجهادية يحصــل لاحقًا داخل معســكرات التدريب مع عملية التلقيــن المنظمة للأيديولوجيا الجهادية.

في معســكرات التدريب تقع صيرورتان متوازيتان، الأولى: تخص عملية التعبئة الأيديولوجية، وهي صيرورة تعليمية ومعرفية تهدف إلى ترسيخ الأيديولوجية الجهادية في وجدان وعقول الملتحقين بالمعســكرات تهم بالدرجة الأولى تحويلهم من مرتبة التعاطــف إلــى مرتبة الولاء الأيديولوجي. يخضــع الملتحقون إلى دروس مكثفة في

(1) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع. ش. مدينة سلا، أغسطس/ آب 2013.

(2) " Des jihadistes Marocains en syrie veulent rentrer au pays ", h24info, 23 Mai 2014. (Accessed 15 February 2019) https://www.h24info.ma/actu/des-jihadistes-marocains-en-syrie-veulent-rentrer-au-pays/

النظريــة الجهاديــة مثل الولاء والبراء والحاكمية... بالإضافة إلى المفاهيم الأساســية في العقيدة الإســلامية التوحيد، والفرائض الإسلامية، وغيرها وأيضًا دروس في اللغة العربية الفصحى إذا لم يكن يتقنها. يختلف حجم وكثافة الدروس من شخص لآخر، وهذا الأمر راجع أساسًا إلى تقييم المجموعة لحجم معرفته الدينية وولائه لأيديولوجية التنظيم[1]. يشــرف على العملية مدرســون يطلق عليهم في معســكرات التدريب لدى داعش: الشــرعيون. وهم أشــخاص مؤهَّلون من الناحية النظريــة للإفتاء والتدريس. وهؤلاء الشرعيون ينحدرون من دول مختلفة، بما فيها المغرب.

يعتمد منظِّرو تنظيم داعش على اســتدعاء مجموعة من النصوص الدينية ســواء تعلق الأمر بأحاديث نبوية أو مقولات في التراث الإســلامي أبرزها مقولة لابن تيمية يربط بها حماية العقيدة الدينية بالســيف، وهي عبارة موجودة في مجموع فتاوى ابن تيمية يقول فيها: إن الله "أنزل الكتاب والميزان وأنه أنزل الحديد لأجل القيام بالقسط؛ وليعلم الله من ينصره ورســله ولهذا كان قِوَام الدين بكتاب يهدي وســيف ينصر"[2]، وهي النصوص التأسيسية التي يعتمد عليها التنظيم.

يعتمــد تنظيم داعش علــى مجموعة من الكتب المعتمدة لتأصيل اســتراتيجيته العســكرية والفقهية. وتبرز في هذا الســياق ثلاثة كتب رئيسة تُعتمد كإنجيل نصوص تأسيســية: الكتاب الأول موسوم بـ"مسائل في فقه الجهاد" لأبي عبد الله المهاجر[3]، وفيه يقرر أبو عبد الله المهاجر أن البلد الذي يُحكم فيه بالقانون بلدُ كفر وتجب الهجرة منه، وأن الإجماع منعقدٌ على إباحة دم الكافر إباحةً مطلقة؛ ما لم يكن له أمانٌ شرعيٌّ، وأن "مناصرة المشركين ومظاهرتهم على المسلمين كفرٌ أكبر" مطلقًا، وأن الإسلام لا يفرِّق بين مدني وعســكري، وأن "ما في القتل بقطع الرأس من الغلظة والشــدة أمرٌ مقصود، بل محبوب لله ورســوله"[4]. ويُعتبر أبو عبد الله المهاجر بمنزلة "المرجعية

(1) Hassan Hassan, "The secret world of Isis training camps – ruled by sacred texts and the sword ", The Guardian, 25 January 2015. (accessed 15 February 2019) https://www.theguardian.com/world/2015/jan/25/inside-isis-training-camps

(2) تقي الدين ابن تيمية، مجموع فتاوى ابن تيمية، (مجمع الملك فهد، المجلد: 10، 1995م( ص: 11.

(3) أبو عبد الله المهاجر، مسائل من فقه الجهاد، د.ن. 2004.

(4) معتز الخطيب، "تنظيم الدولة الإسلامية: البنية الفكرية وتعقيدات الواقع"، مركز الجزيرة للدراسات، نوفمبر/ تشرين الثاني 2014، (تاريخ الدخول: 15 فبراير/ شباط 2019): http: / /studies.aljazeera.net /ar /files /isil /2014/ 11/ 20141123555233126555.html

الفقهية" لأبي مصعب الزرقاوي، مؤسس تنظيم "الدولة الإسلامية"، والأب الروحي له[1]، واسمه الحقيقي عبد الرحمن العلي، مصري الجنسية، تلقى العلوم الشرعية في باكستان، ووصل إلى الدراسات العليا، وشارك في القتال الأفغاني الأول. وتنتشر في أوساط الجهاديين تسمية أخرى للكتاب وهي "فقه الدماء" لما يشتمله الكتاب من أحكام تتعلق بمسائل فقهية تتعلق باستحلال الدماء وتبرير عمليات قطع الرؤوس والتفجيرات الانتحارية وغيرها. والكتاب من أَلِفه إلى يائه يدور حول هذه المسائل؛ حيث يعتبر أن غير المسلمين بمنزلة محاربين، ولا يقيم فرقًا بين المحاربين وغير المحاربين، وبالتالي يجيز قتل الأطفال والنساء وكبار السن والمعاقين وغيرهم من غير المحاربين.

الكتاب الثاني موسوم بميراث الأنبياء[2]، لكاتب كويتي اسمه أبو عمر الكويتي، وهو كتاب تكفيري بامتياز يركز على القضايا العقدية المرتبطة بمسائل التوحيد والجهاد. وبخلاف الكتاب السابق الذي يركز على قضايا فقهية واستنباط أحكام فقهية تفصيلية من قضايا واقعية ينحو كتاب ميراث الأنبياء منحى تعليميًّا بسيطًا يرتكز على تبسيط قواعد التكفير للعموم. ومن خلال أسلوب الكتابة البسيط فإن جمهور القرَّاء يمكنه فهم مضامين الكتاب، من خلال اعتماد منهجية سؤال/ جواب والاعتماد على طريقة تفنيد أطروحات ما يعتبرهم خصوم التوحيد الخالص.

الكتاب الثالث متقدم من ناحية عمقه الفكري حيث يركز على قضايا ذات طبيعة استراتيجية ويركز على إدارة التوحش[3]، وهي المرحلة الانتقالية بين مرحلتين، مرحلة حكم "الطواغيت" ومرحلة تأسيس "الدولة الإسلامية". تتميز هذه المرحلة الانتقالية حسب مؤلِّف الكتاب، أبو بكر الناجي، بكونها المرحلة التي تنهار فيها الدول ولا يتم التمكن من السيطرة عليها من قِبَل قوى أخرى، وهنا تتقدم السلفية الجهادية بمشروعها

(1) محمد أبو رمان، "من أين جاء هذا "الفقه الدموي"؟" جريدة الغد، 2 أكتوبر/ تشرين الأول 2014، (تاريخ الدخول: 15 فبراير/ شباط 2019): (https: / / alghad.com/ من-أين-جاء-هذا-الفقه-الدموي؟/ )

(2) للمزيد حول هذا الموضوع، انظر: أبو عمر الكويتي، ميراث الأنبياء: سلسلة من الرسائل في بيان توحيد الله عز وجل، د.ن .د.ت.

(3) للمزيد حول هذا الموضوع، انظر: أبو بكر ناجي، إدارة التوحش: أخطر مرحلة ستمر بها الأمة، (مركز الدراسات والبحوث الإسلامية د.ت.).

لإدارة حاجيات الناس وحفظ الأمن والقضاء بين الناس وتأمين الحدود وغير ذلك[1].

يخضع الجهاديون في معسكرات التدريب إلى دروس من هذا النوع، وهذه العملية التحويلية تسعى إلى تغيير عميق في قناعات المتطوعين الأيديولوجية ولكنها ليست كافية بل تحتاج إلى تكوين عسكري لتصبح التجربة متكاملة. وهنا تظهر الصيرورة الثانية التي تهم التدريبات العسكرية بهدف خلق مقاتل قادر على تنفيذ الأعمال القتالية المختلفة التي تحتاجها هذه التنظيمات وفي مقدمتها حروب العصابات وصناعة المتفجرات وتنفيذ العمليات الانتحارية وغيرها. يتلقى الملتحقون دروسًا نظرية وتطبيقية في فنون القتال واستعمال الأسلحة بشكل متدرج حسب الأقدمية. وقد أدت إلى ظهور جيل جديد من الراديكاليين المنفصلين عن القيادات التقليدية الذين يفضلون ممارسة العنف ليس فقط داخل مجتمعاتهم وإنما في الخارج أيضًا[2].

ويظهر هذا التطرف الشديد من خلال تبني مواقف مؤيدة لأعمال العنف التي تنفذها داعش ضد أعدائها، مثل تبرير حرق الطيار الأردني حيًّا وتبرير قطع رؤوس الرهائن[3]. وهذا الجيل الجديد منفلت من التصنيفات التقليدية يُنظر إليه من طرف شيوخ التيار السلفي التقليدي وجزء من شيوخ التيار السلفي الجهادي بأنه يفسد مفهوم الجهاد[4]. ومن الصعب تحديد حجم هذا النوع من المتطرفين ضمن صفوف مغاربة سوريا.

## ثانيًا: ديناميكيات الجهاديين المغاربة في سوريا

بشكل عام، يمكن ملاحظة أن أصول أغلب المتطوعين المغاربة بسوريا تنحدر من مختلف مناطق المملكة إلا أن تركيز العدسة نحو مستوى أكثر دقة يشير إلى أن مناطق بعينها تصدِّر جهاديين أكثر من مناطق أخرى. وهنا تبرز المناطق الشمالية

(1) ()الخطيب، "تنظيم الدولة الإسلامية".

(2) ملكا، ولورنس، الجيل التالي من السلفية الجهادية.

(3) "هل تخطط "داعش" لاستنساخ حرق الكساسبة حيًّا في المغرب؟" موقع هسبريس، 28 أبريل/ نيسان 2015، (تاريخ الدخول: 15 فبراير/ شباط2019): http://www.hespress.com/orbites/262277.html

(4) "أمير الجماعة الإسلامية بالمغرب يتبرأ من داعش"، موقع عربي 21، 29 أغسطس/ آب 2014، (تاريخ الدخول: 15 فبراير/ شباط 2019): http://bit.ly/1m3OHpQ

والغربية للمملكة، خصوصًا مدينة سبتة ومليلية وطنجة والمضيق الفنيدق وتطوان وسلا والبيضاء وفاس. تشير المعطيات التي توفرها الإدارة العامة للأمن الوطني سنة 2014 إلى أنه من أصل 1200 جهادي مغربي موجودين في سـوريا فإن مدينة طنجة جاءت على رأس المدن المغربية التي تصدِّر الجهاديين بحوالي 16 في المئة، متبوعة بمدينة فاس بحوالي 15 في المئة، ثم الدار البيضاء 14 في المئة ورابعًا تطوان 13 في المئة، وسـلا بـ9 في المئة، أما باقي المدن الأخـرى فتصدِّر حوالي ثلث المقاتلين 32 في المئة[1].

انطلاقًا من هذه المعطيات، يمكن تسجيل ملاحظتين: الأولى سبق ذكرها أعلاه وسـيتم التفصيل فيها أسـفله، ويتعلق الأمر بهيمنة مدن الشـمال على مستوى تصدير المتطوعين نحو سـوريا. فمدينتا طنجة وتطوان اللتان تضم كلتاهما سـاكنة لا تتجاوز 1.5 مليون نسمة، أسهمت بحوالي 30 في المئة من المقاتلين المغاربة المتوجهين نحو سـوريا، وهي تقريبا نفس النسـبة التي أسهمت بها كل من مدينة الدار البيضاء وفاس مجتمعتين والتي تضم ثلاثة أضعاف السـاكنة مقارنة مع طنجة وتطوان[2]. الملاحظة الثانية هي أن هناك اختلافًا على مسـتوى نسـبة المقاتلين بالنسـبة للساكنة العامة في المناطق التي ينحدرون منها. فإذا اعتمدنا فقط على ما توفره المعطيات الرسمية، فإن مدينة تطوان تشكِّل النسبة الأعلى بالنسبة لعدد المغاربة الموجودين في سوريا مقارنة مع عدد سـاكنة المدن التي ينحدرون منها. فمن أصل حوالي 550 ألف نسـمة التحق أكثر من 150 تطوانيًّا بالجماعات المسـلحة بسـوريا، وهي نسبة تمثل حوالي 28 في المئـة ألف نسـمة، وهي الأعلى بالمغرب مقارنة مع مـدن أخرى. تليها مدينة طنجة بحوالـي 18 فـي المئة ألف، ثم فاس بـ15 مقاتلًا في المئة ألف. في حين لا يتجاوز العدد 5 في المئة ألف بالنسبة لمدينة الدار البيضاء. أما نسبة المقاتلين بالنسبة لمجموع الساكنة في المغرب فلا يتجاوز 3.5 في المئة ألف[3].

(1) "Un tercio de los yihadistas marroquíes procede del entorno de Ceuta", El Mundo, 01 December 2014 (Accessed 15 February 2019) http://www.elmundo.es/espana/2014/12/01/547b9c94ca4741463f8b4585.html

(2) المرجع السابق.

(3) تم حساب هذه النسبة انطلاقًا من طرح عدد المقاتلين المنحدرين من كل مدينة على مجموع الساكنة في كل مدينة. بالنسبة لعدد المقاتلين والمدن التي ينحدرون منها فقد تم الاعتماد على المعطيات التي يوفرها تقرير أنجزته جريدة إلموندو سنة 2014، انظر الرابط أعلاه. أما بالنسبة للساكنة، فقد

تجدر الإشـــارة إلى أن هناك تقديرات غير رسمية تشير إلى أرقام أكبر بكثير من تلك التي توفرها الســـلطات المغربية، بحيث يشـــير تقرير صحفي، نُشر في ديسمبر/ كانون الأول 2014، إلى أن مدينة الفنيدق وحدها صدَّرت حوالي 200 جهادي نحو سوريا مع نهاية شهر مارس/آذار 2014[1]. والفنيدق مدينة صغيرة يقارب عدد سكانها 70 ألف نسمة، وهو ما يعني حوالي 2.8 في الألف. وبما أنه من الصعب تأكيد هذه المعطيات من مصادر مفتوحة، فإن هذا الرقم يبقى تقديريًّا واحتماليًّا إلى حدٍّ بعيد.

**رسم بياني يوضح عدد المقاتلين المغاربة حسب المدن**

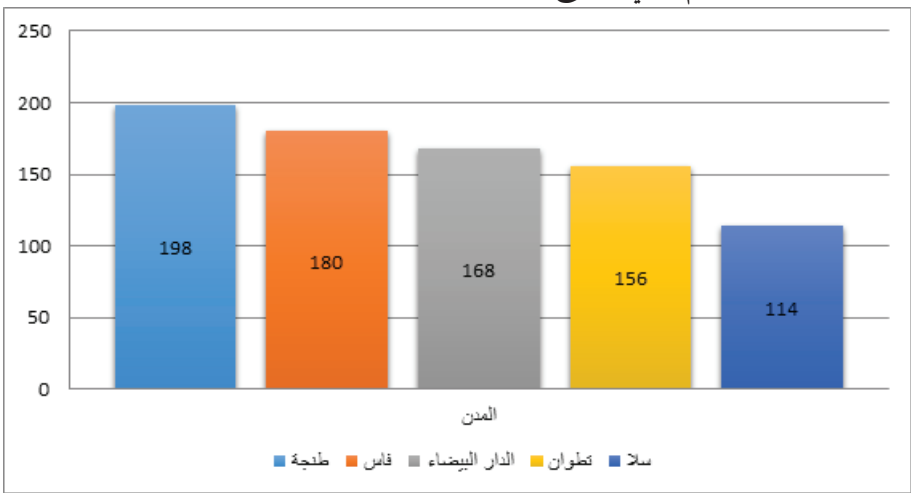


**المصدر: تركيب الباحث.**

تم الاعتماد على الإحصاء العام للسكان سنة 2014، (تاريخ الدخول: 15 فبراير/ شباط 2019): (http: / /rgphentableaux.hcp.ma)

(1) "الـFBI يتعقب "داعش" في شمال المغرب"، جريدة أخبار اليوم، 15 ديسمبر/ كانون الأول 2014، (تاريخ الدخول: 15 فبراير/ شباط 2019): http: / /m.alyaoum24.com /241315.html

رسم بياني يوضح عدد المقاتلين/ الساكنة مائة ألف

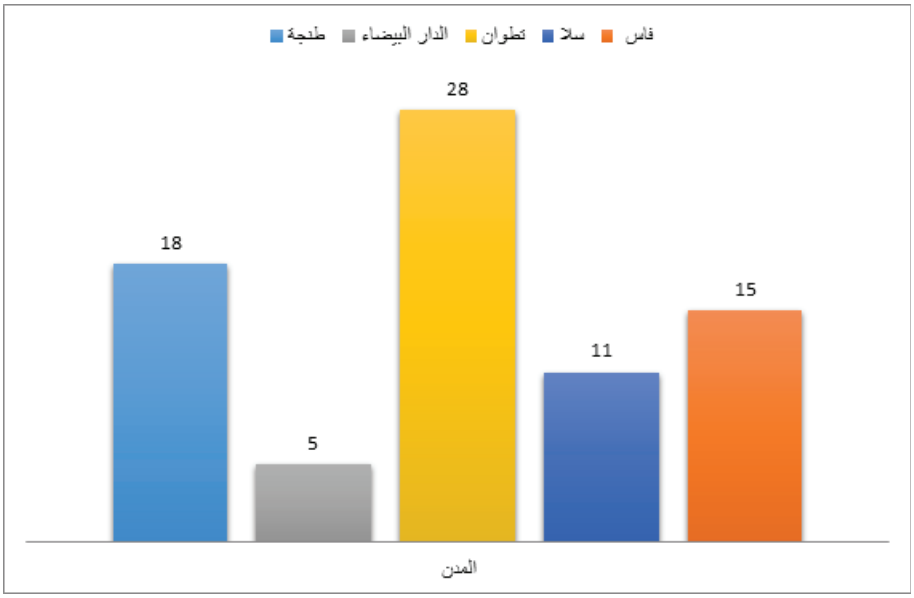


المصدر: تركيب الباحث.

رسم بياني يوضح نسبة المقاتلين على مجموع الساكنة

| المدينة | عدد الساكنة (2014) | عدد المقاتلين | النسبة المئوية (من مجموع المقاتلين) | عدد المقاتلين/ الساكنة (مئة ألف) |
|---|---|---|---|---|
| طنجة | 1.065.601 | 198 | 516, | 18.5 |
| فاس | 1.150.131 | 180 | 15 | 15.6 |
| الدار البيضاء | 3.359.818 | 168 | 14 | 5 |
| تطوان | 550.374 | 156 | 13 | 28 |
| سلا | 982.163 | 114 | 59, | 11.5 |
| باقي المدن | 26740155 | 384 | 32 | 1.43 |
| المجموع | 33848242 | 1200 | 100 | 3.5 |

المصدر: تركيب الباحث بناء على مصادر مفتوحة

إذن، ما الذي يفسر تميز مدن الشمال عن باقي المناطق وقدرتها على تصدير عدد كبير من المقاتلين نحو سوريا؟

لفهم هذه الظاهرة وانتشارها في هذه المناطق، يمكن الإشارة إلى مجموعة من العوامل ذات الطبيعة البنيوية والظرفية:

تجدر الإشارة أولًا إلى صيرورة التمدن السريعة التي عرفتها المنطقة خلال العقود الماضية، ففي سنة 2004 كان عدد الساكنة في مدينة طنجة حوالي 750 ألفًا، وبعد عقد من الزمن أصبح العدد يتجاوز مليون نسمة. أما مدينة تطوان فكان العدد حوالي 318 ألف سنة 2004 وأصبح أكثر من 550 ألف سنة 2014[1]. وهذا التطور السريع في البناء العمراني لم يواكبه تطور على مستوى البنيات الاقتصادية لامتصاص الطلب المتزايد على سوق الشغل، وهو ما أدى الى ارتفاع نسبة البطالة في صفوف الشباب، وهي الأكبر مقارنة مع المناطق الأخرى من المملكة.

وبما أن البطالة، وبالخصوص بطالة الشباب، منتشرة أيضًا في هوامش مدينة الدار البيضاء، فإن مدن الشمال تعاني أيضًا من مشكلة الاقتصاد غير المهيكل الذي يتغذى بزراعة المخدرات. فمن جهة، أسهم غسيل أموال المخدرات واستثمارها في قطاع العقار في تضخم الطلب على العقارات والتي أدت بدورها إلى ارتفاع في مستوى المعيشة في هذه المناطق[2]. فالفقر وغياب البدائل الاقتصادية دفع الشباب نحو الاشتغال في القطاع غير-المهيكل لاسيما في أنشطة التهريب من إسبانيا. فقد لاحظنا أن عددًا مهمًّا من هؤلاء الملتحقين بجبهات القتال في سوريا هم من الأشخاص الذين كانوا يشتغلون في قطاع المواد المهرَّبة ومن البائعين المتجولين والبائعين على الأرض الفرَّاشَة.

يمثِّل اقتصاد المواد المهربة أحد الأنشطة الاقتصادية الأساسية في مدن الشمال؛ فبسبب وجودها على تخوم مدينتي، سبتة ومليلية، اللتين تحتلهما إسبانيا فإنهما شكَّلتا لوقت طويل مصدرًا للمواد المهربة نحو المغرب ويشتغل جزء كبير من الساكنة على هذا النوع من الاقتصاد. إن هذا النوع من الأنشطة الاقتصادية المعتمد على التهريب يكون -بالإضافة إلى هشاشته- مجالًا لاحتكاك مستمر مع أجهزة الدولة القمعية

(1) "الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014، النتائج الرئيسية"، المندوبية السامية للتخطيط، الرباط، 13 أكتوبر/ تشرين الأول 2015، (تاريخ الدخول: 15 فبراير/ شباط 2019): http: / /rgphentableaux. hcp.ma

(2) Tom Blickman, 'Morocco and Cannabis: Reduction, containment or acceptance', Transnational Institute, Drug Policy Briefing, March 2017, p.14.

وخصوصًـــا القايد والشـــيخ والمخازنية، وغالبًا ما تكون العلاقـــة متوترة بين الطرفين بســـبب غياب إطار قانوني ومؤسســـاتي يضبط العلاقة بين الطرفين، وبســـبب القمع المتقطع لهذه الأنشـــطة يكون المشـــتغل في هذا النوع من الأنشـــطة في حالة مستمرة من عدم الاستقرار وفي علاقة متوترة مع أجهزة الدولة التي يحس بأنها تقمعه وتحد من نشاطه الاقتصادي ولا تقدم له شيئًا بالمقابل.

ومن ثمة، فليس مفاجئًا أن يكون محمد البوعزيزي، مفجِّر الثورة التونســـية، من الأشـــخاص الذين يشـــتغلون في هذا النوع من الأنشطة الاقتصادية، كما أنه ليس من المفاجئ أن ســـبب إحراقه لجســـده يرجع إلى توتر وقع بينه وبين جهاز الشـــرطة بعد مصادرة سلعه بشكل تعسفي[1].

هناك عنصر آخر مرتبط بالعناصر الســـابقة، هو قرب مناطق الشـــمال من أوروبا، فوجود مدينتي سبتة ومليلية بالقرب من تطوان والفنيدق وطنجة يمثل فرصة للتأطير. فغالبًا ما يكون هؤلاء الجهاديون في تواصل مســـتمر مع المهربين النشـــطين في هاتين المدينتين. يقطن حوالي 80 ألف نسمة في مدينة سبتة ونفس العدد في مليلية، كلتاهما تضمان جالية مســـلمة مهمة تكاد تصل إلى النصف تقريبًا، ولكنها مهمشـــة مقارنة مع الســـاكنة المسيحية، وهو ما خلق حالة من الإحساس بالاغتراب والإقصاء الاجتماعي جعلهما ملاذًا آمنًا لكل الأنشطة غير الشرعية مثل تجارة المخدرات والممنوعات والتي قاومت محاولات أجهزة الشرطة الإسبانية التحكم في هذا النوع من التجارة[2]، وهذا

(1) يمثل نموذج عبد العزيز المحدالي (الملقب بأبو أسامة المغربي) نموذجًا مثاليًّا في هذا الصدد؛ فقد وُلِد سنة 1986 في مدينة الفنيدق، وبالضبط بحي راس لوطا، وكان يشتغل بائعًا متجولًا في نفس المدينة، وكان دائم الصراع مع السلطات المحلية والشرطة بسبب نشاطه الاقتصادي الذي تنظر له السلطات بأنه غير قانوني، كما أنه كان نشيطًا في حركة 20 فبراير/ شباط وأيضًا في اللجنة المشتركة للدفاع عن المعتقلين الإسلاميين، ولكنه أُحبط كغيره من الشباب من مسار العملية السياسية في البلد بحيث لم تكن ترقى في نظره إلى المطلوب. وهكذا، نتيجة عوامل التهميش والهشاشة والإحباط، قرر المحدالي السفر إلى سوريا، وانضم إلى جبهة النصرة ثم تنظيم الدولة الإسلامية. وقد نجح المحدالي في استقطاب العديد من أبناء مدينته نحو سوريا وكان أيضًا نموذجًا ورمزًا للعديد من أبناء مدينته بسبب الشهرة التي راكمها أثناء وجوده في سوريا والتي لم يكن ممكنًا له الحصول عليها لو بقي في بلده الأصلي. وقد وصلت شهرة أبو أسامة المغربي لدرجة أن أبو عمر الشيشاني، الرجل الثالث في تنظيم الدولة الإسلامية، ألقى كلمة رثاء في حقه. انظر هذا الشريط على موقع اليوتيوب، (تاريخ الدخول: 10 يناير/ كانون الثاني 2018): (https: / /www.youtube.com /watch?v=igj1XDYZv9Q).

(2) José María Irujo, "The jihadist fighters sent from Ceuta", El Pais, 27 June 2012. (Accessed

ينطبق بشكل خاص على حي البرنسيبي في مدينة سبتة الذي يضم عشرات الآلاف من المواطنين أغلبهم من المسلمين[1]. أسهمت هذه الوضعية في تسهيل التواصل والتنسيق بين الجهاديين، وبشكل أكثر أهمية ساعدت على تكوين خلايا محلية خارج سيطرة كل من السلطات المغربية والإسبانية على حدٍّ سواء. وكنتيجة لذلك، أنتجت هاتان المدينتان وحدهما حوالي 70 في المئة من مجموع الجهاديين الإسبان[2].

وبسبب النشاط الاقتصادي المعتمد على التهريب يقوم أغلب الساكنة بالحصول على جوازات سفر خصوصًا أن ساكنة مدينة تطوان والفنيدق لديهم امتياز الولوج إلى مدينة سبتة بدون الحصول على تأشيرة فيزا كما هو الأمر بالنسبة لباقي مناطق المغرب. ومن ثمة يحرص المواطنون المنحدرون من هذه المدن على الحصول على جوازات سفر أكثر من مناطق أخرى من المغرب.

كنتيجة لذلك، يصبح اقتصاد التهريب والاقتصاد غير المهيكل نشاطًا مهمًّا للشباب في هذه المناطق. ومن ثمة يصبح السفر إلى سوريا بطرق غير رسمية هو فقط امتداد لممارسات غير قانونية تُجرى على نطاق واسع باعتبار أن هؤلاء الشباب متعودون على الاشتغال خارج الحدود القانونية ولديهم خبرة في التعامل مع شبكات التهريب المنتشرة في تلك المناطق.

بالإضافة إلى ما سبق، هناك عنصر آخر يرجع إلى كون هذه المناطق السابق ذكرها تتميز بنشاط واسع للتيارات السلفية بشكل بارز منذ فترة طويلة. فمنذ نهاية التسعينات، كان الشيخ عمر الحدوشي نشيطًا في مدينة تطوان، والشيخ محمد الفيزازي في مدينة طنجة، وهو ما شكَّل أرضية خصبة لهذا التيار حتى بعد دخول الشيوخ للسجن وانعزالهم عن أتباعهم. فقد كان هناك نوع من الاستقلالية بين الشيوخ والأتباع، بحيث يرسخ الشيوخ الأفكار من دون أن يكون هناك بالضرورة إطار مؤسساتي صارم

15 February 2019) http://elpais.com/elpais/2012/06/27/inenglish/1340808992_944880.html

(1) Alex Tieleman, "In tough El Príncipe, joblessness has youths vulnerable to radicalization", Al Jazeera.com , June 30, 2015. (Accessed 15 February 2019) http://america.aljazeera.com/articles/2015/6/28/in-tough-el-principe-joblessness-leaves-youth-vulnerable-to-radicalization.html

(2) "El 70% de yihadistas detenidos en España son de Ceuta y Melilla", Europa Press, 09 March 2015. (Accessed 15 February 2019) http://www.europapress.es/nacional/noticia-70-yihadistas-detenidos-espana-dos-ultimos-anos-vive-ceuta-melilla-20150309152755.html

يجمع بينهم كما هي الحال بالنسبة للتنظيمات الإسلامية وهو ما يجعل الفكر الجهادي يستمر في غياب الشيوخ عن الساحة.

## ثالثًا: الطريق إلى داعش

تختلف ولاءات الجهاديين المغاربة وتتغير حسب المتغيرات الأيديولوجية والتكتيكية هناك في سوريا. يظهر هذا الاختلاف في طبيعة الولاءات الأيديولوجية والخيارات البراغماتية التي تحدد بشكل مهم الخيارات نحو الالتحاق بالجماعات المسلحة، كما سيتم تفصيله في الفصل الموالي المخصص للمجموعات التي يلتحق بها المقاتلون المغاربة في سوريا.

### جبهة النصرة 2012-2013

التحق الفوج الأول من المغاربة بالثورة السورية في مرحلة مبكرة من سنة 2012، وكان أغلبهم في البداية من المنضوين تحت لواء القاعدة في العراق، وبعدها بدأت أفواج من الشباب تلتحق تدريجيًّا من داخل وخارج المملكة. قاتَل هؤلاء في البداية إلى جانب "جبهة النصرة لأهل الشام"، بقيادة أبو محمد الجولاني، التي تأسست في أواخر سنة 2011، وتطورت قدراتها العسكرية والمالية بشكل سريع بوأتها شهرة في صفوف المجموعات المسلحة في سوريا. ودخلت جبهة النصرة في تحالفات مع عدد من الفصائل المعارضة ونفذت عمليات نوعية أبرزها تفجير مبنى قيادة الأركان في العاصمة دمشق، في أكتوبر/ تشرين الأول 2012، ونسف مبنى نادي الضباط في حلب، وهو ما رفع رصيدها النضالي في صفوف المعارضين السوريين، وحفز الكثير من المقاتلين للالتحاق بها.

تعتبر جبهة النصرة التنظيم المحلي لتنظيم القاعدة بقيادة أيمن الظواهري، وبقيت تخفي ولاءها للقاعدة إلى حدود أبريل/ نيسان 2013، والذي تزامن مع تأسيس تنظيم داعش؛ حيث سارعت جبهة النصرة لإعلان مبايعتها لزعيم تنظيم القاعدة، أيمن الظواهري، في تسجيل بُثَّ على الإنترنت خلال شهر أبريل/ نيسان 2013[1]، وهو

(1) "جبهة النصرة في سوريا تبايع زعيم تنظيم القاعدة أيمن الظواهري"، 10 France 24، أبريل/ نيسان 2013، (تاريخ الدخول: 15 فبراير/ شباط2019): https: / /www.france24.com /ar/ 20130410- جبهة-النصرة-القاعدة-أيمن-الظواهري-سوريا-العراق-ولاء-تسجيل

مـا أثار جـدلًا داخليًّا وخارجيًّا؛ حيث انتقدها الظواهري بشـكل ضمني؛ إذ لم يكن يرغـب فـي ظهور علاقـة الطرفين إلى العلن، وما إن أعلنت جبهـة النصرة ارتباطها بالقاعـدة حتى سـارعت الولايات المتحـدة وعدد من الدول إلـى تصنيفها جماعة إرهابية، وتلقت انتقادات لاذعة من طرف مجموعات المعارضة السـورية باعتبار أن هذا الأمر سيُضعف موقع المعارضة، وانتقد الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين إعلان جبهة النصرة البيعة لزعيم تنظيم القاعدة، أيمن الظواهري، وحذَّر من مخاطر هذه البيعة الداخلية والخارجية على الثورة السورية، كما دعاها للعودة إلى صفوف الجيش الحر حفاظا على وحدة الثورة[1].

لقـد قامـت جبهة النصرة بإعـلان ولائها للقاعدة للتنصل مـن إعلان أبو بكر البغدادي أن الجبهة هي امتداد له، فبدل تقديم البيعة للأمير الإقليمي فضَّلت تقديمها لأمير التنظيم المركزي. فالبغدادي ينظر للجولاني على أنه جندي عنده في حين ينظر الجولاني للبغدادي باعتباره يريد الاستيلاء على المكتسبات التي حققتها جبهة النصرة، ويعتبر أنه يمتلك تفويضًا من القاعدة الأم لتمثيلها في سوريا. تعكس حالة الصراع هذه حدة التنافس على الساحة السورية بين فصيلين ينتميان لنفس المرجعية الأيديولوجية، والذي سيتطور إلى مواجهات مسلحة قضى فيها المئات من الطرفين.

لم تقف خطوط الاختلاف والتباين عند حدود المشهد السوري؛ إذ بدأت عرى التيارات والتنظيمات التي تنتمي إلى التيار السلفي الجهادي تتفسَّخ وتنقسم ما بين مؤيد للظواهري ومعه النصرة أو موالٍ للبغدادي وتنظيم الدولة، وظهر ذلك الاستقطاب جليًّا في انقسام أبناء هذا التيار في كلٍّ من الأردن والمغرب العربي[2].

**حركة شام الإسلام**

سيحصل تغير ثان منذ صيف 2013، مع مأسسة العمل المسلح لمغاربة سوريا، والذي اتخذ شكله التنظيمي في "حركة شام الإسلام" بقيادة إبراهيم بن شقرون -معتقل

(1) "أيمن الظواهري، شهادة لحقن دماء المجاهدين في الشام"، مؤسسة السحاب للإنتاج الاعلامي، أبريل/ نيسان 2013، (تاريخ الدخول: 15 فبراير/ شباط2019): https: / /archive.org /details/ shahada-sham

(2) محمد أبو رمان، "قراءة في أبعاد الخلاف بين الظواهري والبغدادي"، موقع الجزيرة.نت، 22 مايو/ أيار 2014، (تاريخ الدخول: 15 فبراير/ شباط2019): http: / /bit.ly /1NBnXr1

سابق في سجن غوانتانامو- التي تعتبر الوعاء الأكبر للمتطوعين المغاربة في سوريا، خصوصًا من المعتقلين السلفيين السابقين الذين كانت تربط بينهم علاقات صداقة في السجون المغربية. تعززت حركة شام الإسلام بفضل موجة ثانية من المهاجرين إلى الساحة السورية، والتي تزامنت مع فتوى "علماء الأمة الإسلامية" بالقاهرة، منتصف يونيو/ حزيران 2013، والتي دعت إلى وجوب "النفرة والجهاد لنصرة إخواننا في سوريا بالنفس والمال والسلاح وكل أنواع الجهاد والنصرة"[1]، إضافة إلى ما وصفه بعض العائدين من سوريا بـ: "ذهبنا لمساعدة الشعب السوري بعدما رأينا ملك البلاد والحكومة المغربية وعلماء الأمة الإسلامية ومنهم مغاربة يدعمون القضية السورية"[2].

ضمت حركة شام الإسلام بين 500 - 700 مقاتل وكانت في تلك الفترة تعتبر الوعاء الأول للمقاتلين المغاربة في سوريا. ورغم ذلك فقد ضمت الحركة بعض الأشخاص من غير المغاربة، مثل مسؤولها الشرعي الذي كان سعوديًا ثم انضم لاحقًا إلى تنظيم الدولة داعش وأيضًا قائدها العسكري الذي كان مصريًا.

فكريًا، تنتمي المجموعة إلى تيار السلفية الجهادية، ولكنها تدَّعي في الوقت نفسه الاستقلالية التنظيمية عن القاعدة رغم أنها مرتبطة فكريًا معها، وقد صنَّفت الخارجية الأميركية حركة شام الإسلام كحركة إرهابية[3]. وقد وضعت حركة شام الإسلام ميثاقًا اعتبرت فيه أن الجهاد ليس موجهًا ضد من أسماهم بـ"الغزاة" فقط، بل يشمل دائرة أوسع وهي دائرة الردة، واعتبرت أيضًا في هذا الميثاق، أن كل مبادئ المذاهب الفكرية، من شيوعية واشتراكية وقومية وعلمانية وليبرالية، وغير ذلك من أوجه الانتماء الفكري والعقدي لغير ملَّة الإسلام وهويته، دعوات "كفر وضلال"[4].

---

(1) "البيان الختامي لمؤتمر العلماء لنصرة سوريا"، صادر بالقاهرة يوم الخميس 13 يونيو/ حزيران 2013، (تاريخ الدخول: 15 فبراير/ شباط 2019): https: / /ar.islamway.net /lesson /138655/ البيان-الختامي-لمؤتمر-العلماء-لنصرة-سوريا

(2) "ذهبنا لمساعدة الشعب السوري بعدما رأينا ملك البلاد والحكومة المغربية وعلماء الأمة الإسلامية ومنهم مغاربة يدعمون القضية السورية"، بيان صادر عن المعتقلين العائدين من سوريا ومنشور بموقع اللجنة المشتركة للمعتقلين الإسلاميين، 2 مارس/ آذار 2014، (تاريخ الدخول: 15 فبراير/ شباط2019): http: / /www.ccddi.org /index /news1676.html

(3) Designations of Foreign Terrorist Fighters, U.S Department of State, September 24, 2014. (Accessed 15 February 2019) http://www.state.gov/r/pa/prs/ps/2014/09/232067.htm

(4) صهيب عنجريني، "شام الإسلام" التجمع الأكبر لـ"مجاهدي المغرب"، جريدة الأخبار، 22 مارس/

كما عملت على تأسيس معهد تكوين ديني يوازي العمل الإغاثي والعسكري، الغرض منه تدريس العلوم الشرعية واللغة العربية والحساب والإنجليزية، تحت عنوان "جيل التمكين"، فضلًا عن توفير فريق طبي التحق من المغرب لمساندتها.

تتمركز الحركة في منطقة ريف اللاذقية وهي منطقة شمال غرب سوريا محاذية للحدود السورية-التركية قريبة من مدينة حلب، وتتميز بالهدوء النسبي مقارنة مع مناطق ساخنة أخرى كريف دمشق. وقد تفادت الحركة التورط في الاشتباكات الدائرة بين الفصائل الإسلامية، لاسيما تلك القائمة بين جبهة النصرة وداعش. وقد أصدرت بيانًا تتبنى فيه الحياد إزاء النزاع بين الفصائل وعدم الوقوف مع أي طرف[1]. ومع ذلك شارك بعض المغاربة في المواجهات بين الفصائل وشاركت في مواجهات ضد تنظيم داعش وانتقدته بشدة في أحد بياناتها بعد انضمامها لجبهة أنصار الدين التي تنشط في منطقة اللاذقية. كما أنها تفضل التركيز على العمل الإغاثي والتنموي، إضافة إلى المشاركة في اشتباكات محدودة مع الجيش النظامي السوري بشكل فردي، أو بتنسيق مع فصائل إسلامية أخرى، مثل محاولة تحرير سجن حلب في شهر سبتمبر/ أيلول 2013 إلى جانب جبهة النصرة التي أحبطها الجيش السوري.

في شهري مارس/ آذار وأبريل/ نيسان 2014، دخلت حركة شام الإسلام في معارك مع النظام السوري في ريف اللاذقية، وقد أدت المواجهات إلى مقتل عشرات المغاربة بمن فيهم إبراهيم بن شقرون نفسه. ونتيجة مقتل ابن شقرون عاش تنظيم حركة شام الإسلام فراغًا تنظيميًّا، رغم أن مجلس شورى الحركة انتخب محمد المهدي، وهو جندي سابق في الجيش المغربي وكان عضوًا في خلية أنصار المهدي؛ خلفًا لابن شقرون، إلا أنه لم يستطع تعويض كاريزمية مؤسس الحركة. حاولت الحركة تخفيف الخسائر من خلال انخراطها في تحالف مع ثلاث فصائل أخرى في إطار جبهة أنصار الدين، إلا أنها بقيت محدودة الأثر وانشقت لجنتها الشرعية بالإضافة إلى عدد من جنودها والتحقوا بتنظيمات جهادية أخرى، لاسيما تنظيم الدولة الذي أصبح يستقطب المقاتلين المغاربة أكثر فأكثر.

---

(1) "كلمة للمسؤول الشرعي لحركة شام الإسلام حول الأحداث الأخيرة في الشام"، موقع اليوتيوب، 9 يناير/ كانون الثاني 2014، (تاريخ الدخول: 10 مارس/ آذار 2015): https: / /www.youtube. com /watch?v=NFVVqpYU3T8

آذار 2014، (تاريخ الدخول: 15 فبراير/ شباط 2019): https: / /al-akhbar.com /Syria /28919

**تنظيم داعش**

منـذ منتصف 2014، أصبح تنظيم الدولة الإسـلامية داعش الوعاء الأساسـي للمقاتلين المغاربة في سـوريا. وهذا راجع -كما سـبقت الإشارة- إلى ضعف حركة شام الإسلام بعد وفاة زعيمها، إبراهيم بن شقرون، وأيضًا الانقسام الذي وقع بين جبهة النصرة وتنظيم الدولة. فقد انشق قسم كبير من المغاربة الذين كانوا ضمن جبهة النصرة وانضموا إلى داعش في خضم الجدل المحتدم بين فصائل المعارضة حول مشروعية قيادة العمل العسكري في سوريا. وقد تلقى تنظيم داعش دفعة جديدة مع إعلانه تأسيس دولة الخلافة، في يونيو/ حزيران 2014، بالإضافة إلى انطلاق حملات قوات التحالف التي تقودها الولايات المتحدة ضده في سبتمبر/ أيلول من ذلك العام. ونتيجة لذلك، انشق العديد من المقاتلين المغاربة عن جبهة النصرة وحركة شام الإسلام وجماعات أخـرى وانضموا لداعش. وهناك اتجاه متزايد في أوسـاط الجهاديين المغربة لمبايعة زعيمه، البغدادي، بمن في ذلك الجهاديون السلفيون في السجون بالمغرب.

**لماذا يلتحق المغاربة بداعش؟**

هناك ثلاثة أسـباب تفسـر هذا الدعم، أولًا: الأيديولوجيـة المتطرفة والجذابة العابـرة للحدود لداعش، عكس جبهة النصرة التي تحولت إلى تنظيم سـوري يقاتل في إطار الحدود الجغرافية-القومية ويستعمل أساليب واقعية وبراغماتية، بما في ذلك تحالفات مع المنظمات من خارج المدرسة الجهادية. ثانيًا، يوفر داعش رواتب حوالي 400 دولار في الشـهر وغيرها من الحوافز، مثل المنازل والسـيارات، ويرتب الزواج للراغبين، وأحيانًا عن طريق سـبي النسـاء، وكلها عناصر تسـاعد على فهم انجذاب الشـباب للانضمام إلى صفوفها. وهكذا، فقد أصبح للكثير من الشـباب اليائس الذي كان يحلم بالهجرة إلى أوروبا، فرصة للوصول إلى "الفردوس الأرضي" في سـوريا التي أصبحت توفر فرصًا مهمة للمحرومين. وأخيرًا، فإن الإنجازات العسكرية لداعش -ولاسـيما الاسـتيلاء في صيف 2014 على مدينة الموصل ومسـاحات واسعة من الأراضـي فـي العراق- أغرى الكثير من المقاتلين المغاربة فضلًا عن مقاتلين أجانب آخرين للانضمام إلى المجموعة بشكل واسع.

ومـع ذلك، فـإن معظم المغاربة المقاتلين مع داعش هـم من صنف المقاتلين المشاة ويشتغلون إما كانتحاريين أو كانغماسيين، أي "انغماس" المقاتل ضمن العدو

عبر حمل حزام ناسف وأسلحة وتنفيذ عملية نوعية. وتختلف ظاهرة الانغماسية عن ظاهرة الانتحاريين في مسألة دقيقة، هي أن الانغماسي ليس بالضرورة شخصًا ينفذ عملية انتحارية ولكنه يمكن أن ينفذها إما عن طريق تفجير الحزام الناسف الذي يلبسه أو يمكنه تنفيذ العمليات التفجيرية عن بعد والرجوع سالمًا لتنفيذ عمليات أخرى.

في حين انتقل عدد قليل منهم إلى صفوف المستوى الثاني[1]. ووفقًا لمسؤولين مغاربة، يوجد هناك على الأقل ثلاثة مغاربة آخرون يشغلون مناصب رفيعة في داعش[2]، بمن في ذلك منصب قاض شرعي في مدينة الموصل، مسؤول في وزارة الاتصالات، ومحافظ جبل التركمان. أبعد من ذلك، لا توجد معلومات دقيقة حول المغاربة الذين تمكنوا من الوصول إلى مستويات عليا في داعش.

## رابعًا: الدوافع والعوامل

لفهم الأسباب التي دفعت هذا العدد الكبير من المغاربة للهجرة نحو ساحات القتال في سوريا، من المهم الإشارة إلى العوامل المختلفة التي تفسر هذا التدفق. وهنا نشير إلى خمسة عوامل مترابطة ذات طبيعة سياسية ولوجيستيكية وسوسيولوجية وأيديولوجية ونفسية.

### بيئة سياسية مشجعة

في حدود سنة 2013، عملت السلطات في المغرب على غضِّ الطرف عن المغاربة المتوجهين نحو سوريا، وكان هناك نوع من التشجيع الضمني وهو عامل دافع مهم سهَّل بشكل كبير سفر الجهاديين. وتعزى هذه السياسة بشكل واضح إلى رغبة السلطات في التخلص منهم، والعمل على تنفيس المشهد السلفي الجهادي المحلي،

(1) على سبيل المثال: عبد العزيز المحدالي (أبو أسامة المغربي) الذي كان قد غادر المغرب في عام 2012 وانضم في البداية إلى جبهة النصرة، أصبح لاحقًا قائدًا عسكريًّا ميدانيًّا في حلب ومحيطها بعد انشقاقه من جبهة النصرة والتحاقه بداعش بحلول منتصف عام 2013. ولسخرية الأقدار أنه قُتل، إلى جانب 20 مقاتلًا، خلال اشتباكات بين داعش وجبهة النصرة شهر مارس/ آذار 2014.

(2) "مداخلة وزير الداخلية حول التهديدات الإرهابية على المغرب"، موقع اليوتيوب، 15 يوليو/ تموز 2014، (تاريخ الدخول: 10 مارس/ آذار 2015): (https://www.youtube.com/watch?v=Zd1Q6xyC46U)

بالإضافة إلى احتوائه داخل وخارج نظام السجون.

بالإضافة إلى ذلك، كان لانخراط المغرب في مجموعة أصدقاء الشعب السوري واستضافته للاجتماع الرابع لهذه المجموعة في مراكش، شهر ديسمبر/ كانون الأول 2012، دور غير مباشر في تنشيط التيار الجهادي. فخلال هذا اللقاء حدث الاعتراف بالائتلاف الوطني السوري كممثل شرعي للشعب السوري. وقد جرى تفسير هذا الموقف داخل الأوساط الجهادية على أنه تأييد رسمي للمعارضة السورية لنظام الأسد، وبالتالي إضفاء الشرعية ضمنًا على الكفاح المسلح ضد النظام السوري.

فخلافًا لبلدان أخرى في المنطقة، مثل تونس وليبيا ومصر، لم تؤد أحداث الاحتجاجات السياسية 2011 في المغرب الى حدوث فراغ أمني من شأنه أن يضعف الحكومة المركزية أو يؤدي إلى بروز مناطق دون سيطرة الدولة، مثل الجنوب التونسي ومنطقة سيناء ومناطق واسعة من ليبيا، والتي شكَّلت ملاذًا آمنًا للتنظيمات الجهادية. وبدلًا من ذلك، حافظ المغرب على نظام فعال لإدارة الحدود وعمل تحديث قطاع الأمن ليكون أكثر فعالية في الكشف عن الخلايا الإرهابية.

ومع ذلك، فقد نجح المئات من الجهاديين في الوصول إلى سوريا سنة 2013 دون عائق تقريبًا. في تلك السنة، جرى تفكيك خمس خلايا فقط تصدِّر الجهاديين إلى سوريا، في حين ارتفع العدد لاحقًا إلى 27 خلية على الأقل خلال فترة سنة 2014 وإلى حدود ما قبل مايو/ أيار 2015[1].

بالإضافة إلى ذلك، أصدرت السلطات جوازات سفر لجهاديين معروفين، وسمحت لهم بمغادرة البلاد[2]. هذا التراخي في مواقف السلطات يقف في تعارض بارز مع ردود الفعل الحازمة خلال الغزو الأميركي للعراق سنة 2003، فقد كانت

(1) "Maroc: 27 cellules jihadistes démantelées depuis 2013 selon le ministre de l'Intérieur Mohamed Hassad ", HuffPost Maroc avec MAP, 20 Juin 2015 . (Accessed 15 February 2019) : http://www.huffpostmaghreb.com/2015/06/20/maroc-27-cellules-jihadistes-demantelees-mohamed-hassad_n_7627608.html

(2) يمكن في هذا الصدد تقديم نموذجين فقط، وهما: حالة أنس الحلوي، الناطق الرسمي السابق باسم اللجنة المشتركة للمعتقلين الإسلاميين، وفتيحة الحسني، أرملة زعيم تنظيم القاعدة، الكريم المجاطي (قُتل في المملكة العربية السعودية في أبريل/ نيسان 2005) على الرغم من سجلاتهما الأمنية والمراقبة الدقيقة لهما على مدار الساعة من قبل الأجهزة الأمنية، سافر هؤلاء دون صعوبات عبر مطار محمد الخامس بالدار البيضاء إلى إسطنبول ثم من هناك إلى الداخل السوري.

هناك ظاهرة مماثلة تتمثل في سفر مغاربة للقتال إلى جانب التنظيمات الجهادية ولكن كانت المواقف الرسمية معارضة فتم إلقاء القبض على العديد من هؤلاء الجهاديين وإيداعهم السجون. فبين عامي 2003 و2007، شدَّدت السلطات المغربية الخناق على أولئك الذين كانوا يقصدون السفر إلى العراق لمحاربة قوات الاحتلال الأميركية أو الانضمام إلى تنظيم القاعدة، ونجحت في تفكيك أكثر من 30 خلية تنشط في تجنيد الشباب المغاربة إلى العراق.

**تسهيلات "لوجيستيكية"**

عامل الجذب الثاني هو لوجيستي. يبدو في الحقيقة أن السفر إلى سوريا يتميز بالسهولة والكلفة القليلة؛ فمن الناحية اللوجيستية، يتطلب السفر إلى تركيا توافر ثلاثة أشياء: 1 جواز سفر صالح، و2 تذكرة ذهاب وأحيانًا إياب إلى تركيا، و3 بعض النقود من الأورو لتغطية مصاريف الرحلة مثل الأكل والإقامة وأجرة الوسيط التركي المكلف بإيصالهم للحدود مع سوريا[1].

بشكل عام، كانت هناك طريق "آمنة وسهلة" كان يسلكها جُلُّ من التحقوا بسوريا سنة 2013. يتعلق الأمر برحلة من الدار البيضاء نحو إسطنبول، ويتطلب الأمر اقتناء تذكرة سفر ذهاب -دون إياب- نحو إسطنبول، ثم بعد ذلك يتم الاتصال بوسيط تركي محلي يقوم بعملية نقل المتطوعين للحدود التركية-السورية[2]. هناك مساران، إما عبر حافلة أو عن طريق الطائرة إلى مدن الجنوب التركي المحاذية للحدود التركية-السورية، وهي مدينة أنطاكيا أو غازي عنتاب أو جرابلس أو كيليس، وبعدها يقوم دليل بإدخال المتطوعين إلى الداخل السوري مقابل تعويض مادي يتراوح بين 30 و50 دولارًا[3].

(1) يحكي أحد المقاتلين المغاربة في سوريا أن الرحلة كَلَّفَته حوالي 600 يورو، جمعها من مصاريف منحة دراسية إضافة إلى أعمال تجارية بسيطة. للمزيد من التفاصيل، انظر:
"أبو أنس": مُقاتلون مغاربة بسُوريا يرفضون العودة خشية السجن، موقع هسبريس، 15 يناير/ كانون الثاني 2014، (تاريخ الدخول: 15 فبراير/ شباط2019): (https: / /www.hespress.com / interviews /110221.html)

(2) Ceylan Yeginsusept, "ISIS Draws a Steady Stream of Recruits From Turkey", New York Times. 15, September 2014

(3) مقابلات هاتفية مع عائدين، 3 يونيو/ حزيران 2015.

**التعبئة الأيديولوجية**

رغم أن كل هذه العوامل التي سبق ذكرها كانت موجودة في السابق، فإن الصراع في سوريا أعطى زخمًا جديدًا للأيديولوجية الجهادية. عمل الجهاديون على بناء سردية تعتمد على حجج دينية وغير دينية تتمحور حول ثلاثة قضايا أساسية: مواجهة نظام بشار الأسد، وحماية الطائفة السنية في سوريا، وبناء الدولة الإسلامية.

في الحقيقة، تشكل سوريا مكانًا يداعب خيال الجهاديين بالنظر إلى ارتباطه بعدد من المعتقدات المهدوية التي يعتقد الجهاديون أن وقتها قد حان. فأرض الشام، التي تضم -بالإضافة إلى سوريا- كلًّا من الأردن وفلسطين، تعتبر المكان الذي يعتقد السلفيون أنه سيشهد معركة فاصلة بين المسلمين وغير المسلمين في معركة هرمجدون[1] نهاية الزمان التي تقع قرب قرية دابق، لدرجة أن اسم هذه القرية قد دخل إلى صلب الاستراتيجية الإعلامية لتنظيم داعش، من خلال إطلاقه على مجلته الناطقة بالإنجليزية. وقد روَّج أبو مصعب الزرقاوي لهذه المقولة في أحد خطاباته السابقة قبل أن تدخل اليوم في صلب العقيدة الجهادية لداعش؛ إذ قال في أحد خطاباته: "وها هي الشرارة قد انقدحت في العراق، وسيتعاظم أوارها بإذن الله حتى تحرق جيوش الصليب في دابق".

بالإضافة إلى ذلك، نجحت شبكات التجنيد في تعبئة الشباب انطلاقًا من التركيز على جرائم نظام الأسد ضد شعبه مقابل فشل الأنظمة العربية والغربية لإسقاط النظام. وقد نجحت الاستراتيجية الإعلامية للتنظيمات في استقطاب الشباب الساخطين على هذا الوضع، والكثير منهم -كما سبقت الإشارة- تأثر كثيرًا من صور الاعتداء الوحشي على المدنيين في سوريا من خلال وسائل التواصل الاجتماعي والقنوات الفضائية.

تجدر الإشارة إلى أن عملية التعبئة الأيديولوجية لسوريا تسارعت عقب مؤتمر "علماء السُّنَّة" في القاهرة، منتصف شهر يونيو/ حزيران 2013، والذي أصدر في بيانه الختامي فتوى دعا فيها المسلمين في جميع أنحاء العالم للنفير العام ودعم الشعب السوري "بكل الوسائل" المتاحة. وقد عززت هذه الفتوى من حجج السلفيين للسفر إلى سوريا، كما أنها منحت ظاهرة المقاتلين الأجانب مزيدًا من الشرعية.

(1) "حرب آخر الزمان في قلب بلاد الشام لمحمد حسان"، موقع اليوتيوب، 1 فبراير/ شباط 2012، (تاريخ الدخول: 15 فبراير/ شباط 2019): https: / /www.youtube.com /watch?v=IhLCcEiQHcY

بغضِّ النظر عن البيئة السياسية وأيضًا الدوافع الأيديولوجية، هناك اعتباران آخران يمكن إضافتهما لتفسير تطرف الجيل الجديد من الجهاديين. وفي هذا السياق، يمكن اقتراح التهميش الاجتماعي والدوافع النفسية.

هناك ارتباط واضح بين تجنيد المقاتلين والتهميش الاجتماعي؛ فوفقًا لدراسة نُشرت في نوفمبر/ تشرين الثاني 2014 من قبل مرصد الشمال لحقوق الإنسان، وهي منظمة غير حكومية مغربية تنشط في مدن الشمال، فإن ثلثي المقاتلين المغاربة المنحدرين من المدن الشمالية من المملكة تقل أعمارهم عن 25 عامًا، كما أن ثلاثة أرباع هؤلاء الأشخاص ينتمون إلى الطبقات المحرومة التي تعيش في الأحياء الفقيرة في المدن الكبيرة ومتوسطة الحجم مثل الدار البيضاء وسلا وطنجة تطوان، وأقل من الربع يمكن تصنيفهم على أنهم ينتمون إلى فئة الطبقة الوسطى[1].

بالإضافة إلى ذلك، لا ينبغي إغفال العامل النفسي في التحليل؛ بحيث عندما يقوم الجهادي "المحتمل" بمقارنة ما يعيشه في بلده مع المعاناة التي يعيشها الشعب السوري فإن الفرق يظهر له بشكل كبير، ومن ثمة تبرز مشاعر الغيرية altruism، وهي حالة تحفيزية بهدف تحسين وضعية الآخر[2] يلغي فيها الفرد وضعه الخاص ويتماهى مع الآخر. فيصبح الانتصار للمظلوم الموجود في سوريا نوعًا من التعويض النفسي عن عدم القدرة على تغيير الأوضاع في المكان الذي يعيش فيه ويتحول إلى جهادي بفضل التماهي مع الخطاب الجهادي العالمي الذي يوفر له الإجابات التي كان يبحث عليها نتيجة الوضعية التي يعيش فيها.

وتقوم وسائل الإعلام والإنترنت بتعزيز حالة التعاطف مع الشعب السوري. من الأكيد أن كل الجهاديين الذين تواصلنا معهم كانوا متابعين بشكل مستمر لأحداث العنف الحاصلة هناك عن طريق وسائل الإعلام والإنترنت؛ فقد عملت قنوات فضائية عربية على ضخِّ إعلامي ضخم وقامت بالتعبئة بشكل غير مباشر للثورة السورية، وكانت

(1) Enquête: pourquoi les Marocains partent faire le jihad en Syrie", TelQuel, 26 novembre" enquete-les-jihadistes-marocains-en- /26 /11 /2014, )http: / /telquel.ma /2014 )quete-gloire-en-irak-en-syrie_1424117

(2) "Altruism", International Encyclopedia of the Social Sciences, 2nd edition, Volume 1, (Macmillan Reference USA 2008), p88.

تنقل على مدار الساعة أحداث العنف الواقعة في سوريا. ولاسيما خلال صيف 2013 حيث نقلت القنوات الفضائية صورًا لمئات الأطفال الذين قُتلوا بسبب الغازات السامة التي تعرضوا لها، وبغضِّ النظر عن الجهة التي قتلت هؤلاء الأطفال، إلا أن الصور في حدِّ ذاتها كانت مؤثرة وحركت مشاعر الملايين من المواطنين عبر العالم تأثرًا بها. إن صور القتل المستمر المنتشرة في وسائل الإعلام هي في حد ذاتها عنصر حافز للعديد من الشباب للتفكير بالهجرة لسوريا لفعل شيء ما لوقف المجازر. وقد أخبرني أحد الجهاديين في مقابلة أجريتها معه صيف 2013 بأنه كان يفكر دائمًا في الهجرة لسوريا، وكان في مواجهة مع زوجته التي رفضت هذا القرار وضغطت عليه كيلا يسافر، وقد رضح لقرارها وأيضًا كان خائفًا من أن يتم اعتقاله في المطار بسبب أنه كان معتقلًا سلفيًّا سابقًا. وقد أخبرني كذلك بأنه خلال صيف 2013 حصل تغير في موقف زوجته التي كانت معارضة في البداية لسفره قبل أن تغيره بعد مشاهدتها لصور البراميل المتفجرة وصور الأطفال المقتولين، أخبرته بأنها لا تعارض سفره لسوريا. ورغم ذلك لم يسافر خوفًا من الاعتقال مع أنه في العمق كان مؤمنًا بالجهاد في سوريا[1].

إن حالة الاستعداد النفسي التي سبقت الإشارة إليها تحتاج إلى تأطير يعمِّق هذه المشاعر ويعطيها بُعدًا معرفيًّا أعمق، قبل أن تتحول إلى سلوك. ومن ثمة، فإنه يمكن القول في هذه الحالة: إن هناك الملايين من الزبائن "المحتملين" للأيديولوجيا الجهادية، وهم الملايين من الأشخاص الذين يتابعون على مدار الساعة أحداث العنف الجارية في العالم العربي والإسلامي.

يبقى المعطى النفسي والحافز السيكولوجي شرطًا مهمًّا ولكنه غير كاف للتحول نحو الجهادية؛ فهذه العملية التحول نحو الجهادية تحتاج إلى أيديولوجية وشبكة تنظيم للتأطير. وهذا ما يفسر إلى حدٍّ بعيد ظاهرة استقطاب الشباب المغربي نحو جبهات القتال في سوريا وغيرها.

تتضمن المرحلة الثانية عملية انتقاء المرشحين ضمن هؤلاء "الملايين من الزبائن المفترضين". فبعد سلسلة لقاءات غير رسمية بين الزبون المفترض الغاضب من الوضع يجري تعميق مشاعر الغضب تجاه الواقع ويتم إلقاء اللوم على الأنظمة العربية

(1) مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع.ش. مدينة سلا، 25 أغسطس/ آب 2014.

والدول الغربية التي لم تتدخل لإنقاذ الشعب السوري من عمليات القتل المنهجية التي يمارسها النظام السوري ضد شعبه. ويخضع لما يمكن تسميته بامتحان الانتقاء، أبرز العناصر المستعدة للتضحية في سبيل القضية. إذا ظهر أن المترشح لديه رغبة عالية في التضحية فإنه ينتقل للمرحلة الثالثة وهي عملية إعداد الجهادي المحتمل للانتقال للقتال في سوريا. فبعد عملية الاقتناع بأهمية السفر لسوريا يبدأ البحث عن شبكة لتسهيل انتقالهم هناك. في هذه المرحلة يكون المرشح إما على تواصل مستمر مع أحد الجهاديين هناك في سوريا أو مع شبكة تسفير موجودة في عين المكان.

## خامسًا: سياسات الدولة

اتسم سلوك الدولة بالمغرب إزاء ملف المقاتلين في سوريا بنوع من الازدواجية؛ ففي مرحلة تم غض الطرف عنهم عند خروجهم من المغرب، في حين تم تشديد المراقبة على العائدين حيث يتم إيداعهم السجن مباشرة بعد ولوجهم أرضية المطار، لهذا يرفض العديد منهم الرجوع خشية الاعتقال.

ومنذ صعود داعش، بدأت السلطات المغربية تشعر بقلق متزايد من عودة المقاتلين المغاربة الموجودين في سوريا؛ مما أدى بها إلى تغيير استراتيجيتها السابقة التي كانت متسامحة مع سفر هؤلاء لسوريا. وبدأت في سلوك تدابير وقائية شملت تعديل الإطار القانوني لاسيما قانون مكافحة الإرهاب للعام 2003 وتضمينه أحكامًا تعاقب المغاربة المشاركين في جبهات القتال خارج البلد. بالإضافة إلى ذلك، عملت السلطات على تشديد الرقابة على المواقع الاستراتيجية مثل المطارات وعلى طول الحدود الشرقية والجنوبية الشرقية مع الجزائر وموريتانيا.

### المقاربة الأمنية

نهجت السلطات المغربية على نحو متزايد نهج "عدم التسامح" مع داعش والمقاتلين المغاربة في سوريا؛ فقد انضمت القوات المسلحة الملكية إلى قوات التحالف التي تقودها الولايات المتحدة ضد داعش في العراق وسوريا في سبتمبر/ أيلول 2014. وكانت الأجهزة الأمنية مصدرًا لمعلومات استخبارية قيمة عن الشبكات الجهادية العابرة للحدود الوطنية لعدة دول غربية، وخصوصًا إسبانيا وفيما بعد فرنسا. وقد اعترفت كل منهما بالجهود المغربية في مجال التعاون لمكافحة الارهاب.

بالإضافة إلى ذلك، تم استهداف شبكات وخلايا لتجنيد المقاتلين الأجانب خوفًا من أن هذه البنى التنظيمية قد تسهِّل هجمات ضد المملكة في المستقبل. وقد منعت هذه المقاربة أكثر من 500 مسافر محتمل من الوصول إلى سوريا[1]. وفي الوقت نفسه، هناك مخاوف من أن العائدين يمكنهم تنفيذ هجمات ضد المملكة. وقد اعتقلت السلطات العشرات من الأشخاص كذلك مجموعات من الأشخاص الذين بايعوا أبو بكر البغدادي والعديد منهم كان يرغب في السفر إلى العراق أو ارتكاب أعمال تخريبية في البلد.

كما تم تعزيز الوقاية من خلال آلية أمنية جديدة تسمى "حذر"، والتي تتضمن نشر عناصر مسلحة من القوات المسلحة الملكية والدرك الملكي والشرطة في المواقع الاستراتيجية الرئيسة مثل المطارات ومحطات القطار ومباني الإدارات والوزارات، والمناطق السياحية، ...إلخ. وعلاوة على ذلك، قام الجيش المغربي لأول مرة بنشر أسلحة ثقيلة بالقرب من المناطق الحساسة على طول الحدود الجزائرية وقرب المطارات خوفًا من هجوم ارهابي محتمل[2].

**تشديد الإطار القانوني**

الركيزة الثانية لاستجابة السلطات لتهديدات داعش هي مجموعة من القوانين لمكافحة الإرهاب؛ ففي سبتمبر/ أيلول 2014، اعتمد البرلمان نسخة جديدة من قانون مكافحة الإرهاب لعام 2003. والمقترحة من قبل وزارة العدل والحريات. والتعديلات المنصوص عليها تتضمن عقوبات أكثر قوة من السابق وتتضمن عقوبات سجنية تتراوح بين 5-15 سنوات وغرامات مالية تصل إلى 500 ألف درهم مغربي حوالي 45000 أورو لأي مغربي انضم أو يحاول الانضمام إلى أي نوع من التنظيمات المسلحة غير الحكومية، سواء داخل أو خارج المغرب.

مع ذلك، فإن المقاربة الأمنية التي يسلكها المغرب تميل إلى المبالغة وتسييس التهديدات الإرهابية؛ بحيث يتم فرض قيود على الأصوات التي تنتقد النظام، بما في

(1) Statement by Director General Mr. Yassine Mansouri.

(2) ""حذر".. خطة الجيش والأمن والدرك لمواجهة التهديدات الأمنية"، جريدة الأحداث المغربية، 26 أكتوبر/ تشرين الأول 2014، (تاريخ الدخول: 15 فبراير/ شباط 2019): http: //ahdath. info /29286

ذلك المنظمات الحقوقية غير الحكومية مثل الجمعية المغربية لحقوق الإنسان. فقد حظرت وزارة الداخلية العديد من الأنشطة لعدد من جمعيات حقوق الإنسان منذ سنة 2014 بحجة أن انتقاد هذه المنظمات للتجاوزات التي تقوم بها المؤسسات الأمنية يؤدي إلى تقويض مجهودات الدولة في "مكافحة الإرهاب"[1].

(1) مداخلة وزير الداخلية حول التهديدات الإرهابية على المغرب، موقع اليوتيوب، 15 يوليو/ تموز 2014، (تاريخ الدخول: 15 فبراير/ شباط 2019): (https://www.youtube.com/watch?v=Zd1Q6xyC46U)

# خاتمة

حـــاول هذا الكتاب الحفر في جينيالوجيا التيار الجهادي بالمغرب عبر توصيف وتحليل مســـار هذا التيـــار والتوقف عند أهم المحطات المفصليـــة لتطور هذا التيار وتذبذبه بين المحلية والعالمية، ورصد تأثير عولمة الجهاد على هذا التيار في المغرب. فقد نشـــأت المجموعات التي تؤمن بالعنـــف الديني في المغرب في البداية باعتبارها حركات مستوردة. وما نقصده هنا أنها لم تولد نتيجة ظروف موضوعية داخلية صرفة، ولكنها تأثرت كثيرًا بالعوامل الخارجية بالأساس، لاسيما "محنة" الإخوان المسلمين في الســـتينات، ثم لاحقًا في الثمانينات والتســـعينات مع الجهاد الأفغاني. فالتيارات الإســـلامية في المغرب عمومًا، لم تعانِ من نفس حدة القمع الذي عاشـــته التيارات الإسلامية في دول عربية أخرى مثل مصر وتونس والجزائر، إلا أن الإسلاميين المغاربة عاشـــوا "نفسية المحنة"، أي الإحساس بالاغتراب عن المجتمع والمفاصلة عنه. كما وفر الجهاد الأفغاني الفرصة "التاريخية" التي ســـنحت لـــولادة الجهادية العالمية؛ إذ وفرت أرضية مناسبة لبروز جيل جديد من المتطوعين المتحمس الذين يمزجون بين الأعمال الإغاثية-الإنسانية والأنشطة القتالية، جنبًا إلى جنب مجموعات مسلحة محلية مثل جماعة الجهاد والجماعة الإسلامية المصريتين.

وقد أدت سياسة الانفتاح السياسي المحدودة التي سلكها الملك الحسن الثاني في التســـعينات، بشكل غير مباشر وغير مقصود، إلى صعود التيار السلفي إلى واجهة الأحداث. فبعد حالة الانقسام التي عرفها التيار السلفي في السعودية بعد حرب الخليج الثانية، ونتيجة تراجع إشعاع المؤسسات الدينية التقليدية مثل الزوايا الصوفية وعجزها عن أداء الأدوار التقليدية التي كانت تؤديها في التنشئة الدينية، بالإضافة إلى مناخ يتميز بالعداء ضد السياسات الأميركية بالمنطقة العربية برزت التيارات السلفية الجهادية في المغرب كحركة منشـــقة ومنفصلة عن التيار الســـلفي التقليدي، تؤمن بالعنف المسلح من منطلق عقائدي وتشكِّك في شرعية النظام السياسي القائم.

مع ذلك، بقيت الســـلفية الجهادية في المغرب خلال بداية القرن الماضي حركة

هامشـــية، غضَّت الســـلطات الأمنية الطرف عنها لأنها لم تكن تشـــكِّل خطرًا أمنيًّا في تلك الفترة. ستتغير هذه المعادلة بعد تفجيرات 11سبتمبر/ أيلول 2001 في الولايات المتحدة الأميركية؛ فقد كانت لها نتائج مباشـــرة على التيار الجهادي بالمغرب، فهي بمنزلة شـــهادة الولادة لهذا التيار. فخلال تلك الفترة، ارتفعت أســـهم شـــيوخ التيار الجهـــادي المغاربة وبدؤوا في التعبير بشـــكل صريح عن أفكارهـــم المؤيدة للقاعدة ولأســـامة بن لادن. وقد أثَّرت تلك الأحداث في طبيعة الخطاب الجهادي بالمغرب، فقد زودته بذخيرة للفعل تسمح له بتأطير الجهاديين المحليين في تلك الفترة.

وتبقى تفجيرات الدار البيضاء، سنة 2003، بمنزلة أهم معلم في مسار الجهادية فـــي المغرب ونقطة تحول أساســـية، فقد أثارت تلك التفجيـــرات الانتباه إلى ظاهرة تشكلت على الهوامش ولم يتم الانتباه إليها بشكل كاف. ففي هوامش المدن الكبرى بدأت تنمو تيارات إســـلامية راديكالية تشـــترك في خصامها مع الواقع القائم وتســـعى لتغييره بالعنف. الاختلاف كان بينها حول استراتيجيات العمل والتنفيذ. ومن هنا، فإن تفجيرات الدار البيضاء سنة 2003 كانت محصلة لما سميناه في هذا الكتاب بـ"تطرف الهوامش" أي البيئة السياســـية والفكرية التي نشـــأت في ضواحي المدن الكبرى نتيجة التهميش الاقتصادي والسياسي. فقد سبقت التفجيرات سلسلة من الأحداث والوقائع التـــي خلقت مناخًا مناســـبًا لتنامي التيار الجهادي بالمغرب، لاســـيما بروز جماعات الهجرة والتكفير والصراط المستقيم في ضواحي المدن الكبرى وتشكلت في ميليشيات تقوم بأنشـــطة التعزير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وتؤمن في الوقت نفســـه بالمقولات الأساسية للتيار الجهادي العالمي، مع تكييفها محليًّا لاسيما مقولات الولاء والبراء والحاكمية والتكفير والجهاد. ولعبت مجموعة من الدعاة والشيوخ، المعروفين إعلاميًّا بشـــيوخ الســـلفية الجهادية دورًا في الترويج لهذه المفاهيم وتأطير الشباب في حلقات البيوت والمســـاجد وحقنهم بهذا الفكر. وقد اكتســـبوا شهرة بفضل مواقفهم المساندة للجهاد العالمي و/أو دعمهم الصريح أو الضمني لأفكار القاعدة وطالبان.

ســـاعد المناخ الدولي المناهض للهيمنة الأميركية وسياســـاتها على توفير صدى اجتماعي لأنشـــطة التيار الجهادي وحصوله على مشـــروعية عملانية من خلال أنشطة التعزيـــر والأمر بالمعروف. إن تحليـــل الخلفيات الاجتماعية لانتحاريي 16 مايو/ أيار 2003 يظهر الترابط بين التهميش والتطرف. فقد اجتمعت مجموعة من العناصر تساعد علـــى فهـــم لماذا ينحدر منفذو التفجيرات من تلـــك المنطقة. فبالإضافة إلى الإقصاء

الاقتصـــادي والاجتماعي لهـــؤلاء الانتحاريين، فكلهم تقريبًا ينتمـــون لنفس المناطق المهمشة في مدينة البيضاء وكانوا دون سن الثلاثين أثناء تنفيذ العمليات، فإنهم أيضا تعبير عن حالة الاختناق السياسي التي عرفها البلد، بالرغم من الإصلاحات الشكلية. ومن هنا، فإنه يمكن اعتبار تفجيرات الدار البيضاء تعبيرًا عن تحولات عميقة مسَّـــت المجتمـــع المغربي، وتعبيًـــرا "انفجاريًّا" عن حالة الاحتجاج على الإقصاء الاجتماعي واليأس التي أصابت فئة من الشـــباب. لم يكن الفقر يشكِّل العامل الوحيد الذي حفز هؤلاء الانتحاريين، بقدر ما كان عامل الإحســـاس بالتهميش والاغتراب عن المجتمع هو التعبير الأدق عن حوافز الانتحاريين للقيام بتلك الأعمال. وكانت التفجيرات بمنزلة اللحظة الأكثر "عنفًا" ضمن سلســـلة من الأحداث الصغيرة التي لم تثر اهتمام الرأي العام، رغم أن مســـارها التصاعدي كان ينبئ بتغيرات في اتجاه الراديكالية والتطرف. ومـــن هنا، لا ينبغي إغفال الأبعاد الاقتصادية والسياســـية عن تحليل ظاهرة التطرف، ويمكن أن تنســـحب هذه الملاحظة أيضًا على الدول العربية التي تعاني من مشـــاكل مشابهة.

والحقيقة أن الســـلطات لم تنتبه إلى هذه التحولات العميقة التي عاشـــها التيار الجهادي إلا بعد وقوع تفجيرات 16 مايو/ أيار 2003 بالدار البيضاء، حيث شـــدَّدت السلطات قبضتها الأمنية على الجماعات الإسلامية المعتدلة والمتشددة، وعملت على إطلاق مشاريع للتنمية الاقتصادية في المناطق المهمشة وانتبهت إلى الفراغ الذي حصل على مســـتوى قنوات التأطير الديني وعملت على إعادة صياغة سياســـتها الدينية عبر توسيع دائرة نفوذها في هذا المجال عبر تبني سياسة دينية جديدة أطلق عليه "مشروع إعادة هيكلة الحقل الديني" يهدف إلى مأسسة هذا المجال وضمه لمجال نفوذ الدولة وسيطرتها وكذا احتكار الرمزية الدينية في يد الملك باعتباره أميرًا للمؤمنين.

ونتيجـــة الضغوط الأمنية على التيار الجهـــادي داخليًّا، التحق عدد من المغاربة نحو بؤر التوتر في الخارج. بشكل أقل في الجزائر وبعض الدول الإفريقية مثل مالي، ولكن الغزو الأميركي للعراق ســـنة 2003 كان له تأثير لافت على التيارات الســـلفية الجهاديـــة بالمغرب بحيث زودها ببنية فرص للتعبئـــة للفكرة الجهادية وأعطاها دفعة جديدة. لقد كان غزو العراق نقطة تحول في الجهادية العالمية وأســـهم بشـــكل رئيس في تعبئة الجهاديين للقتال ضمن الجماعات الإســـلامية المسلحة هناك وشكَّل الملاذ الآمن الذي استقطب جيلًا جديدًا من الجهاديين.

ستحصل النقلة النوعية الثالثة للجهادية ابتداء من سنة 2011 مع عسكرة "الربيع العربي" وما ارتبط به من عنف الثورة السورية والليبية، حيث أدت هذه الأحداث إلى ولادة الجيل الثالث من الجهادية العالمية والتي شكلت الساحة السورية بؤرة الجذب الرئيسة له. وقد حاولنا تسليط الضوء على مختلف الجوانب التي ترتبط بموضوع المقاتلين المغاربة في سوريا والعراق، سواء من خلال عرض أدوات الاستقطاب والدوافع والأسباب التي تفسر تنامي الظاهرة، ثم أيضًا تحليل ووصف المجموعات المسلحة التي كان المغاربة أعضاء فيها، ثم أخيرًا مقاربة الدولة لمسألة المقاتلين المغاربة في الخارج. لقد وسَّعت السلفية الجهادية من رقعة اشتغالها واكتسبت مع الثورة السورية أرضًا خصبة للتعبئة والتدريب وملاذًا آمنًا لمئات المقاتلين من جنسيات مختلفة، ضمنهم مئات المغاربة.

وهذا ما يدفعنا إلى الوصول إلى نتيجة أساسية أخرى، هي أن الظاهرة الجهادية في المغرب لم تكن بمعزل عن الديناميات الجيو-استراتيجية التي يعيشها العالم العربي. فجذور الجهادية العالمية تنبع من المظالم البنيوية المتجذرة في البيئة السياسية والاجتماعية منذ عقود من الزمن، وهي تتغذى من مظالم حقيقية ومتخيلة، تتكون من ضلعين: أولًا: الهيمنة الغربية على العالم الإسلامي. وثانيًا: نتيجة فشل بناء نموذج للتداول السلمي على السلطة في العالم العربي.

بالرغم من أن التيار الجهادي في المغرب أثار الكثير من الاهتمام الإعلامي منذ 2003، إلا أنه يعيش حالة من الانكماش نسبيًّا في السنوات الأخيرة نتيجة الضربات الأمنية المتتالية وأيضًا نتيجة التحولات الفكرية التي عاشها عدد من رموزه وأعضائه بعد تجربة السجن. فقد نجحت السلطات الأمنية في تفكيك بنيات التيار الجهادي عبر توفيق المئات من المشتبه ارتباطهم بتنظيمات جهادية، وعملت على إحباط العديد من المحاولات التخريبية. كما تثمن المملكة دورها كنموذج للاعتدال الديني وتعمل على تسويقه في الخارج، لاسيما من خلال معهد محمد السادس لتكوين الأئمة والمرشدين.

برغم هذه المجهودات، تبقى بعض القضايا لم تحل بعد، لاسيما دور المقاتلين المغاربة الموجودين في بؤر التوتر بعد انتهاء الحرب في سوريا، وموضوع العائدين من بؤر التوتر وأيضًا مسألة حالات العود، أي رجوع عدد من الجهاديين للنشاط بعد قضائهم فترة السجن، ومدى توفر السلطات في المغرب على استراتيجية للتعامل مع الظاهرة تتفادى الوقوع في الأخطاء السابقة. صحيح أن السلطات المغربية تمتلك

تجربة في إدارة هذا النوع من الأزمات من خلال المقاربة الأمنية الاستباقية، إلا أن حجم الظاهرة وامتداداتها الإقليمية يبدو ذا نطاق أوسع هذه المرة وبالتالي يمكن التساؤل أيضًا عن صلاحية المقاربة المعتمدة حاليًّا لتدبير ملف تيار السلفية الجهادية.

لقد أبرزت المقاربة الحالية التي تعتمد على القمع أنها فعالة على المدى القريب، فمن خلال المقاربة الأمنية الاستباقية نجحت السلطات الأمنية في تفكيك عشرات الخلايا الإرهابية وإحباط عدد من الهجمات الإرهابية المحتملة، ولكن يبدو أنها لم تستطع تجفيف منابع التطرف، بحيث لا تزال الظروف الموضوعية التي أنتجت ظاهرة التطرف هي نفسها لاسيما التهميش الاقتصادي والاجتماعي وحالة الاختناق السياسي، كما أن اعتماد القمع وحده لم ينجح في إقناع العديد من الجهاديين بالتخلي عن أفكارهم. ومن هنا، فقبل معالجة العوامل العميقة التي تنتج التطرف، من المهم في البداية فهم عميق للظاهرة. فالفهم سابق على الفعل، وما لم يتم فهم الظاهرة الجهادية من خلال استعمال أدوات تحليلية ونظرية قوية فإن التصدي للظاهرة سيبقى يعتمد على نفس المقاربة السابقة التي أثبتت محدوديتها.

# ببليوغرافيا

**المراجع باللغة العربية**

**الكتب**


- أبو اللوز عبد الحكيم، الحركات السلفية في المغرب، 1971-2004، بحث أنثروبولوجي وسوسيولوجي، ط،1. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه، نوفمبر/ تشرين الثاني 2009.
- أبو المعالي محمد محمود، القاعدة وحلفاؤها في أزواد: النشأة وأسرار التوسع، مركز الجزيرة للدراسات، 2014.
- أبو رمان، محمد، وأبو هنية، حسن، الحل الإسلامي في الأردن: الإسلاميون والدولة ورهانات الديمقراطية والأمن، عمَّان، مركز الدراسات الاستراتيجية الجامعة الأردنية، ومؤسسة فريدريش إيبرت، 2012.
- أبو رمان، محمد، وأبو هنية، حسن، "السلفية الجهادية" في الأردن بعد مقتل الزرقاوي، عمان، مؤسسة فريدريش إيبرت، 2009.
- أبو رمان محمد، أنا سلفي: بحث في الهوية الواقعية والمتخيلة لدى السلفيين، عمان، مؤسسة فريدريش إيبرت، 2014.
- أنس عبد الله، ولادة الأفغان العرب: سيرة عبد الله أنس بين مسعود وعبد الله عزام، ط.1، بيروت، دار الساقي، 2002.
- روا أوليفيه، عولمة الإسلام، ترجمة: لارا معلوف، ط.1، بيروت، دار الساقي، 2003.
- بشارة عزمي، في الثورة والقابليَّة للثورة، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2011.
- بشير موسى نافع، الإسلاميون، ط.1، مركز الجزيرة للدراسات، الدار العربية للعلوم ناشرون ، 2010.
- بونعمان سلمان، أسئلة دولة الربيع العربي: نحو نموذج لاستعادة نهضة الأمة، ط.1 مركز نماء للبحوث والدراسات، 2013.
- التليدي بلال، ذاكرة الحركة الإسلامية: الجزء الرابع، الرباط، منشورات

التجديد، مطبعة طوب بريس، 2010.
- روا أوليفيه، الجهل المقدس: زمن دين بلا ثقافة. ط.1 بيروت، دار الساقي، 2012.
- رول ميير محرر السلفية العالمية: الحركات السلفية المعاصرة في عالم متغير، ترجمة محمد محمود التوبة، ط.1 بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2014.
- شحادة مروان، تحولات الخطاب السلفي: الحركات الجهادية–حالة دراسة 1990_2007 ط.1، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2010.
- عطوان عبد الباري، القاعدة التنظيم السري، ط.1 بيروت، دار الساقي، 2007.
- عطوان عبد الباري، ما بعد ابن لادن: القاعدة، الجيل التالي. ط.1، بيروت، دار الساقي، 2013.
- غيلنر أرنست، مجتمع مسلم، ترجمة أبو بكر أحمد باقادر، مراجعة رضوان السيد، بيروت، دار المدار الإسلامي، 2004.
- القديمي نواف، الإسلاميون وربيع الثورات: المُمارسة المُنتجة للأفكار، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012.
- بشير موسى نافع، عز الدين عبد المولى، الحواس تقية محررون، الظاهرة السلفية: التعددية التنظيمية والسياسات، مركز الجزيرة للدراسات، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2014.
- السلفيون في دول المغرب العربي، مركز المسبار للدراسات والبحوث، يناير/كانون الثاني 2011.
- رماح الصحائف: السلفية الألبانية وخصومها، الطبعة الثانية دبي، مركز المسبار للدراسات والبحوث، 2011.
- لاكروا ستيفان، زمن الصحوة الحركات الإسلامية المعاصرة في السعودية، الطبعة الأولى، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2012.
- مقتدر رشيد، الإدماج السياسي للقوى الإسلامية في المغرب، ط.1، مركز الجزيرة للدراسات، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2010.
- الدراسات والمقالات

- بوبكير أمل، "السلفية وسياسة التطرف في جزائر ما بعد الصراع"، معهد كارنيجي للسلام العالمي، أكتوبر/ تشرين الأول 2008.
- بوخرص أنوار، "العنف السياسي في شمال إفريقيا: مصاعب التحرر غير المكتمل"، بروكنجز الدوحة، يناير/ كانون الثاني 2011.
- بوشيخي محمد، "التعليم الديني في المغرب: من المفارقات إلى التوافقات"، مجلة "المستقبل العربي"، العدد 409، مارس/ آذار 2013.
- الخطيب معتز، "تنظيم الدولة الإسلامية: البنية الفكرية وتعقيدات الواقع"، مركز الجزيرة للدراسات، نوفمبر/ تشرين الثاني 2014.
- إسماعيل بلاوعلي، "الطريق إلى كابول"، مجلة زمان، العدد 5، نوفمبر/ تشرين الثاني 2014.
- كريم سناء، "الوسطاء الجدد في المغرب"، معهد كارنيجي للسلام العالمي، نوفمبر/ تشرين الثاني 2012.
- مصباح الحسن ومصباح محمد، "مسارات الربيع المغربي ومآلاته: حركة 20 فبراير والخصوصية المغربية في تدبير الاحتجاج السياسي"، مجلة سياسات العربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد السابع، مارس/ آذار 2014.
- ملكا حايم ولورنس ويليام، "الجيل التالي من السلفية الجهادية"، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، 2013.
- بيانات ومذكرات
- الفيزازي محمد، الأوَل والأوْلى أن تتعلمي قبل أن تتكلمي... الرد على المدعوة رشيدة محزوم جريدة الصحيفة، توحيد برس، 2009.
- الفيزازي محمد، الشيخ يردُّ جرائد التغريب مع فتوى مهمة خافية على عامة الأمة، توحيد بْرس. د.ت.د.ن
- الفيزازي محمد، مذكرات السجن، السجن المركزي بالقنيطرة، 17 مارس/ آذار 2005.
- الفيزازي محمد، العلمانية ذلك الشرك الأكبر، منبر التوحيد والجهاد، طنجة، 1998.
- الفيزازي محمد، الغرب عُصارة الجاهلية الحديثة!! أم تراني أهذي أيها

المهزومون في بلادي؟؟، توحيد بْرس. د.ت.د.ن
- الفيـــزازي محمـــد، عندما يقول المريب: خذوني، الـــرد على المدعو عزيز بوطيب من الأحداث المغربية، توحـيد بـرس، 2009.
- الميلـــودي زكريـــا، بيان: في الدعـــوة إلى نبذ العلمانية والحكم بالشـــريعة الإسلامية، منبر التوحيد والجهاد، د.ت.
- حسن الكتاني، الأجوبة الوفية عن الأسئلة الزكية في العذر بالجهل ومناقشة الحركة النجدية، د.ن. 2009.
- الميلودي زكريا، علمنة العمل الإســـلامي بين مناهج الدولة ومناهج أدعياء الدعوة، منبر التوحيد والجهاد د.ت.
- الميلـــودي زكريـــا، كفر المتحاكمين إلى شـــرائع المشـــركين، منبر التوحيد والجهاد. د.ت.
- الميلودي زكريا، مراتب الولاء والبراء، منبر التوحيد والجهاد، د.ت.

## المراجع باللغات الأجنبية

**Books:**


- Abitbol, Michel. Histoire du Maroc. Paris : Tempus Perrin, 2009.
- Al-Zayyat, Montasser. The Road to al-Qaeda: The Story of Bin Laden's Right-Hand Man. London: Pluto Press, 2004.
- Altheide, David. Terrorism and The Politics of Fear. New York: Rowman Altamira. 2017.
- Ashour, Omar, The De-Radicalization of Jihadists: Transforming Armed Islamist Movements. London and New York: Routledge, 2009.
- Cook, David, Understanding Jihad. USA: University of California Press, 2005.
- Cragin, Kim. Understanding Terrorist Motivations. USA : RAND, 2009.
- Darif, Mohamed, Monarchie Marocaine et Acteurs Religieux.

Casablanca : Afrique Orient, 2010.
- Dawson, Lorne. Comprehending Cults: The Sociology of New Religious Movements, Canada: Oxford University Press, 1998.
- Eickelman, Dale, and James Piscatori. Muslim Politics. USA: Princeton University Press, 2004.
- Eickelman, Dale, Knowledge and Power in Morocco: The Education of a Twentieth-Century Notable. USA: Princeton University Press. 1985.
- Gellner, Ernest, Muslim Society, London and New York: Cambridge University Press. 1981.
- Haddad, Yvonne, et al. The Contemporary Islamic Revival: A Critical Survey and Bibliography. Westport, Ct: Greenwood Press, 1991.
- Hamilton, Malcolm B. The Sociology of Religion: Theoretical and Comparative Perspectives. London and New York Routledge, 2001.
- Hamm, Mark S. The Spectacular Few: Prisoner Radicalization and The Evolving Terrorist Threat, New York and London: New York University Press, 2013.
- Harrigan, Jane and Hamed El-Said. Globalisation, Democratization and Radicalization in the Arab World. UK: Palgrave Macmillan, 2011.
- Hegghammer, Thomas. Jihad in Saudi Arabia: Violence and Pan-Islamism Since 1979. London and New York: Cambridge University Press, 2010.
- Kepel, Gilles. Jihad: The Trail of Political Islam. London: I.B. Tauris, 2004.
- Lapidus, Ira M. A History of Islamic Societies. UK: Cambridge University Press, 1988.
- Lauzière, Henri. The Making of Salafism: Islamic Reform in the Twentieth Century. Columbia University Press, 2016.
- Lewis, James. Violence and New Religious Movements, UK:

Oxford University Press, 2011.
- Macadam, Doug, and Diani Mario, Social Movements and Networks Relational Approaches to Collective Action, UK: Oxford University Press, 2009.
- Nasiri, Omar. Inside the Jihad: my life with Al Qaeda. New York: Basic Books, 2008.
- Pape, Robert Anthony. Dying to Win: The Strategic Logic of Suicide Terror. New York: Random House, 2005.
- Pargeter, Alison. The New Frontiers of Jihad: Radical Islam in Europe. London: I. B. Tauris, 2008.
- Ritzer, George. The Blackwell Encyclopedia of Sociology. UK: Blackwell Publishing, 2007
- Roy, Olivier. L'islam Mondialisé. Paris : Edition De Seuil. 2002.
- Stiglitz, Joseph and Linda Bilmes. The Three Trillion Dollar War: The True Cost of the Iraq Conflict. New York: W. W. Norton and Company, 2008.
- Tarrow, Sidney. Power in Movement: Social Movements, Collective Action and Politics. New York: Cambridge University Press, 1994.
- Tozy, Mohamed et al. L'islam Au Quotidien : Enquête sur les Valeurs et les Pratiques Religieuses au Maroc, Casablanca : Éditions Prologues. 2007.
- Vertigans, Stephen. Militant Islam: A Sociology of Characteristics, Causes, and Consequences, New York and London: Routledge, 2008.
- Weiss, Michael and Hassan Hassan. ISIS: Inside the Army of Terror, Regan Arts, 2015.
- Werenfels, Isabelle. Managing Instability in Algeria: Elites and Political Change since 1995. London and New York: Routledge, 2007.
- Wiktorowicz, Quintan. Islamic Activism: A Social Movement Theory Approach, United State: Indiana University Press, 2004.

- Wojcik, Daniel. The End of the World as We Know It: Faith, Fatalism, and Apocalypse in America. New York: New York Press, 1997.
- Wright, Lawrence. The Looming Tower: Al-Qaeda and the Road to 911/. Alfred a. Knopf Incorporated, 2006.


## Articles


- Abrahms, Max. "Why terrorism does not work." International Security 31, no. 2 2006: 4278-.
- Bale, Jeffrey M. "Islamism and totalitarianism." Totalitarian Movements and Political Religions 10, no. 2 2009: 7396-.
- Biggs, Michael. "The Rationality of Self-Inflicted Sufferings: Hunger Strikes by Irish Republicans, 1916—1923." Department of Sociology, University of Oxford 24 2007.
- Borum, Randy. "Radicalization into violent extremism II: A review of conceptual models and empirical research." Journal of Strategic Security 4, no. 4 2011: 3762-.
- Brachman, Jarret M., and William F. McCants. "Stealing al Qaeda's playbook." Studies in Conflict & Terrorism 29, no. 4 2006: 309321-.
- Calvert, John. "Sayyid Qutb in America." ISIM Newsletter 7 2001: 1.
- El-Katiri, Mohammed. "The institutionalisation of religious affairs: religious reform in Morocco." The Journal of North African Studies 18, no. 1 2013: 5369-.
- Errihani, Mohammed. "Managing religious discourse in the mosque: the end of extremist rhetoric during the Friday sermon." The Journal of North African Studies 16, no. 3 2011: 381394-.
- Hamilt, Nathan Brant, and David H. Gray. "Decentralized Terrorism: Ramifications for a Centralized International System." Global Security Studies 3, no. 2 2012.
- Hegghammer, Thomas. "Abdallah Azzam, l'imam du jihad."

In Al-Qaida dans le texte, vol. 1, pp. 113137-. Presses Universitaires de France, 2005.
- Hill, Jonathan NC. “Islamism and democracy in the modern Maghreb.” Third World Quarterly 32, no. 6 2011: 10891105-
- Hoffman, Bruce. “Al Qaeda’s Uncertain Future.” Studies in Conflict & Terrorism 36, no. 8 2013: 635653-.
- Jebnoun, Noureddine. “Is the Maghreb the” Next Afghanistan”: Mapping the Radicalization of the Algerian Salafi Jihadist Movement”. Center for Contemporary Arab Studies, Georgetown University, 2007.
- Joffé, George. “The Arab spring in North Africa: Origins and Prospects.” The Journal of North African Studies 16, no. 4 2011: 507532-.
- Kalpakian, Jack. “Building the human bomb: the case of the 16 May 2003 attacks in Casablanca.” Studies in Conflict & Terrorism 28, no. 2 2005: 113127-.
- Karam, Azza M. “Islamist parties in the Arab world: Ambiguities, contradictions, and perseverance.” Democratization 4, no. 4 1997: 157174-.
- Khatab, Sayed. “Hakimiyyah and jahiliyyah in the thought of Sayyid Qutb.” Middle Eastern Studies 38, no. 3 2002: 145170-.
- Klausen, Jytte. “Tweeting the Jihad: Social media networks of Western foreign fighters in Syria and Iraq.” Studies in Conflict & Terrorism 38, no. 1 2015: 122-.
- Lauziere, Henri. “Post-Islamism and the religious discourse of Abd al-Salam Yasin.” International Journal of Middle East Studies 37, no. 2 2005: 241261-.
- Lauzière, Henri. “The construction of Salafiyya: Reconsidering Salafism from the perspective of conceptual history.” International Journal of Middle East Studies 42, no. 3 2010: 369389-.
- Levitt, Matthew. “Foreign Fighters and Their Economic Impact: A Case Study of Syria and al-Qaeda in Iraq AQI.” Perspectives

on Terrorism 3, no. 3 2009: 1424-.
- March, Andrew F. “Taking People as They Are: Islam as a “Realistic Utopia” in the Political Theory of Sayyid Qutb.” American Political Science Review 104, no. 1 2010: 189207-.
- Marret, Jean-Luc. “Al-Qaeda in Islamic Maghreb: A “Glocal” Organization.” Studies in Conflict & Terrorism 31, no. 6 2008: 541552-.
- McAllister, Brad. “Al Qaeda and the innovative firm: demythologizing the network.” Studies in Conflict & Terrorism 27, no. 4 2004: 297319-.
- McCauley, Clark, and Sophia Moskalenko. “Mechanisms of political radicalization: Pathways toward terrorism.” Terrorism and political violence 20, no. 3 2008: 415433-.
- Rogers, Amanda E. “Warding off terrorism and revolution: Moroccan religious pluralism, national identity and the politics of visual culture.” The Journal of North African Studies 17, no. 3 2012: 455474-.
- Saud, Laith. “The Islamic roots of the Egyptian Revolution.” Journal of Islamic Law and Culture 12, no. 3 2010: 187196-.
- Steinberg, Guido, and Isabelle Werenfels. “Between the ‘near’ and the ‘far’ enemy: Al-Qaeda in the Islamic Maghreb.” Mediterranean Politics 12, no. 3 2007: 407413-.
- Trujillo, Humberto M., Javier Jordán, Jose Antonio Gutierrez, and Joaquin Gonzalez-Cabrera. “Radicalization in prisons? Field research in 25 Spanish prisons.” Terrorism and Political Violence 21, no. 4 2009: 558579-.
- Wagemakers, Joas, and R. Meijer. “The Transformation of a Radical Concept: al-wala’wa-l-bara’in the Ideology of Abu Muhammad al-Maqdisi.” Meijer, R.ed., Global Salafism-Islam’s New Religious Movement 2009: 81106-.
- Werenfels, Isabelle. “Between Integration and Repression.” Government response to Islamism in the Maghreb. SWP

Research Paper. Berlin: SWP 2005.
- Wiktorowicz, Quintan. “Anatomy of the Salafi movement.” Studies in Conflict & Terrorism 29, no. 3 2006: 207239-.
- Wiktorowicz, Quintan. “Conceptualizing Islamic Activism.” ISIM Newsletter 14 2004: 1.
- Woltering, Robbert AFL. “The Roots of Islamist Popularity.” Third World Quarterly, 23 no.6: 11332002 .1143-
- Zeghal, Malika. "Réformismes, islamismes et libéralismes religieux." Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée 123 2008: 1734-.
- Zollner, Barbara. “Prison talk: the Muslim Brotherhood’s Internal struggle during Gamal Abdel Nasser’s persecution, 1954 to 1971.” International Journal of Middle East Studies39, no. 3 2007: 411433-.

## Reports

- Asseburg, Muriel. “Protest, Revolt and Regime Change in The Arab World: Actors, Challenges, Implications and Policy Options”. Stiftung Wissenschaft und Politik, German Institute for International and Security Affairs, 2012. https://www.swp-berlin.org/fileadmin/contents/products/research_papers/2012_RP06_ass.pdf
- Carter, Joseph A., Shiraz Maher, and Peter R. Neumann. “# Greenbirds: Measuring Importance and Influence in Syrian Foreign Fighter Networks.” International Center for the Study and Radicalization and Political Violence, 2014. https://icsr.info/wp-content/uploads/201404//ICSR-Report-Greenbirds-Measuring-Importance-and-Infleunce-in-Syrian-Foreign-Fighter-Networks.pdf
- Fishman, Brian, Jacob Shapiro, Joseph Felter, Vahid Brown, and Peter Bergen. “Bombers, Bank Accounts, & Bleedout. Al-Qa’ida’s Road In and Out of Iraq”. Military Academy West

Point NY, 2008. https://apps.dtic.mil/dtic/tr/fulltext/u2/a484494.pdf
- Fishman, Shira. “Community-Level Indicators of Radicalization: A Data and Measurement Workshop”. Report to Human Factors/Behavioral Sciences Division, Science and Technology Directorate, US Department of Homeland Security. 2009. https://www.start.umd.edu/research-projects/community-level-indicators-radicalization-data-and-measurement-workshop
- Haddad, Fanar. “Sunni-Shia Relations After the Iraq War”. United States Institute of Peace, 2013. https://www.usip.org/sites/default/files/PB160.pdf
- Liepman, Andrew, and Christopher Chivvis. North Africa’s Menace: AQIM’s Evolution and the U.S. Policy Response. USA: Rand Corporation, 2013. Accessed Feb 19th, 2019. https://www.rand.org/pubs/research_reports/RR415.html
- Neumann, Peter R. “Foreign fighter total in Syria/Iraq now exceeds 20,000; surpasses Afghanistan conflict in the 1980s.” International Centre for the Study of Radicalisation and Political Violence 26 2015. https://icsr.info/201526/01//foreign-fighter-total-syriairaq-now-exceeds-20000-surpasses-afghanistan-conflict-1980s/
- Pẽna, Charles V. $400 Billion defense budget unnecessary to fight war on terrorism. Cato Institute, 2005. https://www.cato.org/publications/policy-analysis/%24400-billion-defense-budget-unnecessary-fight-war-terrorism
- Pew Global Attitudes Project. A Rising Tide Lifts Mood in the Developing World: Sharp Decline in Support for Suicide Bombing in Muslim Countries: a 47-nation Pew Global Attitudes Survey. Pew Global Attitudes Project, 2007. https://www.pewglobal.org/200724/07//a-rising-tide-lifts-mood-in-the-developing-world/
- Schmid, Alex. Radicalisation, De-Radicalisation, Counter-

Radicalisation: A Conceptual Discussion and Literature Review. The Hague: The International Centre for Counter-Terrorism ICCT, 2013. https://www.icct.nl/download/file/ICCT-Schmid-Radicalisation-De-Radicalisation-Counter-Radicalisation-March-2013.pdf

- The Global Legal Research Center. Treatment of Foreign Fighters in Selected Jurisdictions. USA: The law Library of Congress, https://www.loc.gov/law/help/foreign-fighters/index.php

**المقابلات**

- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع عبد الحكيم أبو اللوز، أغسطس/آب 2010، الرباط.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع أ.ح. مدينة فاس، 10 أغسطس/آب 2013.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع أحد تلاميذ الفيزازي، طنجة، 25 ديسمبر/ كانون الأول 2012.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع إيمان لغريس، عبر الفيسبوك، من 15 ديسمبر/ كانون الأول 2013 إلى 20 يناير/كانون الثاني 2014.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ج.ع، مدينة الرباط، 18 أغسطس/آب 2013.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ح.ب. مدينة الرباط، يوم 18 أغسطس/آب 2013.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ح.ك. مدينة الرباط، 12 ديسمبر/كانون الأول 2012.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع.ب. طنجة، 7 يونيو/حزيران 2015.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع.ب من التيار التكفيري، مدينة فاس، يوم الأحد 10 مارس/آذار 2013.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع.ش. بمدينة الدار البيضاء، 14 نوفمبر/تشرين الثاني 2015.
- مقابلة عبر الواتساب أجراها الباحث مع ع.ش. يوم 10 أكتوبر/تشرين الأول

.2014
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع.ش. مدينة سلا، 15 أغسطس/آب 2013.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع.ش. مدينة سلا، 25 أغسطس/آب 2014.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع.ش. مدينة سلا، 25 أغسطس/آب 2014.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع.غ. فاس. 8 مارس/آذار 2014.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع.غ، يوم السبت 9 مارس/آذار 2013 بمدينة فاس.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع عبد الصمد الإدريسي، محام، مدينة الرباط، أغسطس/آب 2013.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع عبد الفتاح الحيداوي، معتقل سلفي سابق، 15 نوفمبر/تشرين الثاني 2015.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع عبد الفتاح الحيداوي، الرباط، 14 ديسمبر/كانون الأول 2012.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع عبد الفتاح الحيداوي، بمدينة الرباط، يوم 10 سبتمبر/أيلول 2015.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع عبد الفتاح الحيداوي، مدينة الرباط، يوم 26 أغسطس/آب 2014.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع عبد الفتاح الحيداوي، مدينة سلا، 15 نوفمبر/تشرين الثاني 2015.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع عبد الفتاح الحيداوي، مدينة سلا، يوم 20 يناير/كانون الثاني 2015.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع عصام.ش. مدينة سلا، يوم 4 أغسطس/آب 2013.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ف.ز.، أحد السلفيين المقيمين بمدينة فاس، يوم 22 سبتمبر/أيلول 2014.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع م.خ، بالرباط، 25 يوليو/تموز 2013.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع م.ر. الدار البيضاء، 18 ديسمبر/كانون الأول 2012.

- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع م.ر. الدار البيضاء، 20 أغسطس/ آب 2013.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع م.ر. برلين 10 نوفمبر/ تشرين الثاني 2014
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع م.ر. فاس، 15 ديسمبر/ كانون الأول 2012
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع محمد رفيقي أبو حفص، الدار البيضاء، 20 أغسطس/ آب 2013.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع محمد رفيقي أبو حفص، 22 مارس/ آذار 2014.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع محمد رفيقي أبو حفص، فاس، 1 ديسمبر/ كانون الأول 2012.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع محمد عبد الوهاب رفيقي، الرباط، يوم 20 مايو/ أيار 2015.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع مصطفى.ح، بمدينة الدار البيضاء، يوم 3 نوفمبر/ تشرين الثاني 2015،.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع.الشافعي، حي سيدي مومن، الدار البيضاء، 14 نوفمبر/ تشرين الثاني 2015.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع ع.ح. مدينة سلا، 17 أغسطس/ آب 2014.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع م.ر. معتقل سلفي سابق، الدار البيضاء، 15 أغسطس/ آب 2013.
- مقابلة خاصة أجراها المؤلف مع حسن الكتاني، الرباط، ديسمبر/ كانون الأول 2012.
- مقابلة عبر السكايب أجراها المؤلف مع ع.ح.، فبراير/ شباط 2018.
- مقابلة الكاتب مع علي العلام، متطوع سابق في الجهاد الأفغاني، الرباط، أغسطس/ آب 2018.

## عن هذا الكتاب

يسعى هذا الكتاب إلى فهم سياقات ومبررات تحوُّل بعض المغاربة نحو الفكر والممارسة الجهادية، ويقترح إطارًا تفسيريًّا للصيرورة الجهادية المغربية يدمج العامل الدولي بالمحلي؛ فيتحدث عن البيئة السياسية الدولية وعلاقتها بالتطرف وعولمة الإرهاب، ويلقي الضوء على البيئة السياسية المغربية ومقاربتها الأمنية والاجتماعية والدينية لمكافحة التنظيمات الجهادية، كما يدرس التيارات الجهادية المغربية نفسها، فيسلِّط الضوء على أفكارها وتنظيماتها وآليات اشتغالها، ليقدم في النهاية صورة أكثر دقة لبيئة الجهاديين المغاربة والأسباب التي جعلتهم رقمًا لافتًا في منظومة الجماعات والتنظيمات الجهادية العابرة للحدود.

## نبذة عن المؤلف

**محمد مصباح**، رئيس المعهد المغربي لتحليل السياسات، زميل مشارك ببرنامج الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في معهد تشاثام هاوس-لندن. اشتغل سابقا باحثًا غير مقيم في مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، وزميلًا بالمعهد الألماني للشؤون الدولية والأمنية. حصل مصباح على دكتوراه في علم الاجتماع من جامعة محمد الخامس، وتُركِّز أبحاثه على قضايا السلفية والإسلام السياسي والسلطوية والحركات الشبابية.